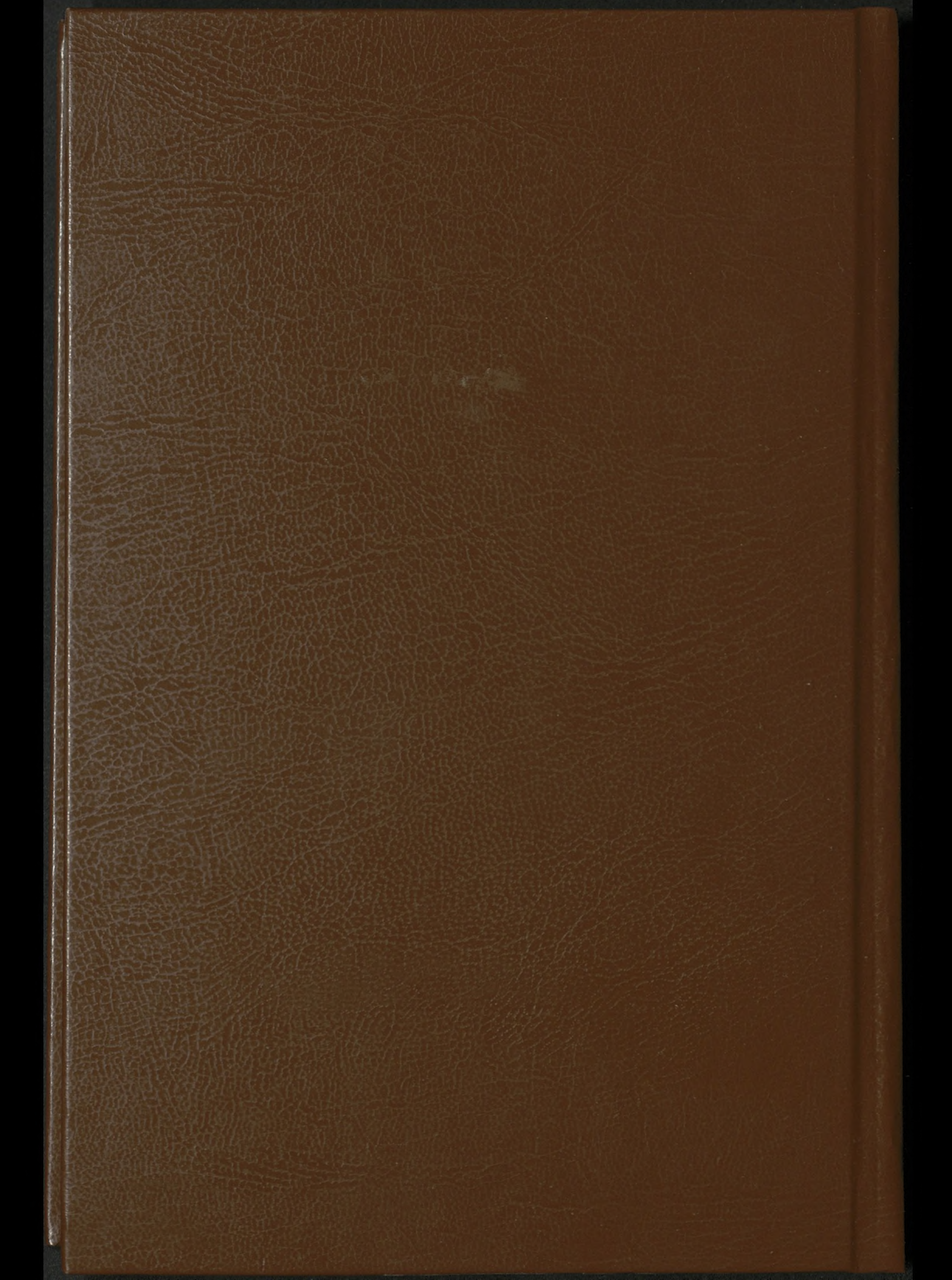
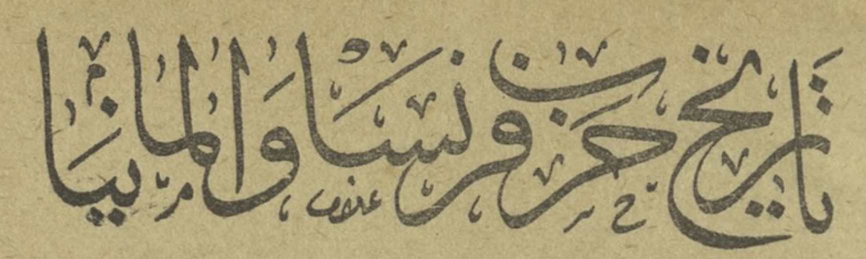




تاريخ حرب فرنسا والمانيا

بقلم

المؤرخ الشهير جرجي افندي يني الطرابلسي

منشئ مجلة المباحث الغراء

(عنى بطبعه)

يوسف توما البستاني

(نقل عن « الجنان » باجازة المؤلف)

« الطبعة الأولى »

(سنة ١٩١١ م – سنة ١٣٢٩ هـ)

طبع بمطبعة الجمالية – بمصر

(الكائنة بحارة الروم بعطفة التترى)

(لاصحابها محمد أمين الخانجي وشركاه — وأحمد عارف)

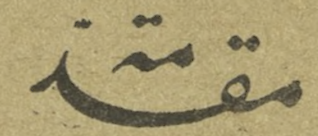
مقدمة الطابع

نشر هذا التاريخ في مجلة (الجنان) تباعا بقلم المؤرخ الشهير جورجي أفندي يني الطرابلسي منشيء مجلة المباحث الغراء ومؤلف كتاب (تاريخ سوريا) وقد بحثت كثيراً عن تاريخ باللغة العربية يصف حقيقة تلك الحرب التي شبت نيرانها بين الفرنساويين والالمانيين سنة ١٨٧٠ فلم أجد غير جمل وشذرات مدرجة بعض المجلات السيارة فوجدت أن هـذا لا يكفي ولا يفي بالمرام فأرسلت أطلب التصريح من حضرة المؤلف لاطبعه على حدة وسرعان ما أجابني بالتصريح والاذن بطبعه وها أنا أقدمه للقراء الكرام وعلى الله الاتكال م

يوسف توما البستاني

القاهرة في ١٥ أغسطس سنة ١٩١١





لما كان التاريخ من أنفع العلوم التي يرتاح اليها الطبع البشرى وكانت الحرب الاخيرة التي شبت نيرانها سنة ١٨٧٠ و ١٨٧١ بين فرنسا والمانيا من الحروب التي يهم كل انسان الوقوف على حقيقتها وعلى الخصوص بعد أن يكون قد طالع ماجريات الحرب الغير الواضحة الاسباب والمصادر كان من الامور الضرورية تقرير ذلك التاريخ معتمدين بالاكثر على جريدة انكليزية شهيرة تدعي الجانتلمانز جورنال تطبع في مدينة لندرة وقلت في نفسي عند الشروع فى هذا العمل ان اصبت فرمية من غير رام وان اخطأت فامثلي الخطأ وللكرام المعذرة

اسباب الحرب

انه يقتضي قبل الشروع في تقرير تاريخ هذه الحرب المهلكة ان نوضح أسبابها وتفاصيل مصادر العدوان التي طالما اختلجت فى صدور الفرنساويين والالمانيين فنقول : انه لوفتح الانسان كتاب رسم الارض لرأي ان أكبر قسم من الجهة الشمالية الغربية من قارة أوربا يسكنه أمتان مختلفتان وهما الامة الفرنساوية أى الغالية والامة الالمانية أي التوتينية ومع ان بلاد المانيا كانت منقسمة الى ولايات وحكومات مستقلة كانت متحدة بعلاقات المحالفة الحقيقية المسماة بالاتحاد الالماني وكانت تبادر الى التحالف والتعاضد عند ماترى ضرراً ألم بالامة أما كيفية المساعدة والنجدة فهى بالنسبة الى عدد

سكان كل قسم واتساعه . اما أوستريا وهي النمسا التى كانت لها ولبروسيا السطوة على بقية الممالك المتحدة كسالسبورج وساكسونيا وغيرهما فكانت رئيسة هذا الاتحاد وأما عوائدهم فكانت واحدة ومع ان المخاصمات بينهم كانت كثيرة فانهم يعتبرون أنفسهم عائلة واحدة وكانوا منذ أوائل القرون المتوسطة أعداء لجيرانهم الغاليين أي الفرنساويين

أما مسئلة الحدود فطالما كانت موضوعا للمنازعات والخصومات التي كانت تقع بين الامة الالمانية ومجاوريها وكثيراً ما حملتهم على القتال . اما انكلترة فتخلصت من تلك المنازعات منذ اتحدت مع اسكوتلندا ذلك الاتحاد السعيد لان حدودها قد أصبحت حدوداً طبيعية فاصلة وهي البحر واذا طالعنا رسم الارض نرى ان الحدود التى بين فرنسا وايطاليا وبينها وبين اسبانيا هي حدود واضحة وهي سلسلة جبال غير انه مامن حدود طبيعية بين فرنسا والمانيا كتلك الحدود . ولقد ادعى الالمانيون ان الرين نهر الماني ولانقدر ان نقول ان هذه الدعوي صحيحة لان النهر لايخرج من البلاد الالمانية ولايصب فيها فاتي ذلك بحروب شديدة اما الفرنساويين فاستولوا علي مقاطعتي الالزاس واللورين وكانتا للالمانيين وعلى قسم كبير من الالزاس وهو في الجهة الغربية من الرين وكانت الامة الالمانية ترغب كل الرغبة في ارجاع البلاد على ان أهالى الولايتين قد اكتسبوا بتمادى الايام العواطف والاميال الفرنساوية معانهم لايزالون يتكلمون لغتهم الاصلية وهي الالمانية وكانوا يكرهون الانضمام الي المانيا ولم تتمكن المانيا من ارجاع الولايتين قبل الحرب الاخيرة . اما بروسيا فكانت تؤمل ان المانيا تعضدها في الحصول على ماطالما صبت اليه فصادف أملها نجاحاً باتحاد الامة الالمانية مصدر العدوان بين الامتين وعلى الخصوص بين فرنسا وبروسيا

ولايخفى ان الاكتشافات التي تمكن الانسان منها بواسطة العلوم وعلي الخصوص استنباط السلك البرقي والوسائط التي سهلت الانتقال وحضور رجال من أهل الدراية والحذق في ميادين القتال ليكتبوا الحوادث مكنتنا في هذه الايام من الوقوف

على مالم يتمكن أسلافنا من الوقوف عليه في زمانهم عند ما كانت تشب نيران الحروب ولكنهم كانوا يقفون علي بعض حقائقها بعد أن تكون قد ضعفت رغبتهم في الوقوف عليها و بناء على ذلك نقول اننا نكاد نؤكد انه عند ماانتصر الفرنساويون سنة ١٨٠٦ للميلاد في معركة جيتا عاملوا البروسيانيين معاملة قاسية ووحشية كالمعاملة التي يقول الفرنساويون الآن ان البروسيانيين قدعاملوهم بها في هذه الحرب الاخيرة اذا لم تقل انها كانت أشد منهاولذلك هجم البروسيانيين علي باريز وهكذا تمكن البروسيانيين من أن يقوموا بحق ثأرهم بنوع اخمد بعض ما كان عندهم من الرغبة في الانتقام

وكانت الامتان تنتهزان كل فرصة تمكن الواحدة من الاخرى لان بروسيا لم تكتف بما تمكنت منه من الانتقام لان الدول التي كانت متحدة معها كانت تمنعها عن تنفيذ كل مآربها كما ان فرنسا طالما كانت ترغب في رفع العار الذي لحق بها بسبب انكسار جيشهافي واترلو ودخول الاعداء الى عاصمتها . هذا وكان الفرنساويون يبغضون الانكليز كما كانوا يبغضون الالمان ودام هذا البغض والميل الى أخذ الثار الى ان اتحدت الامتان في حرب القريم

اما عداوة الفرنساويين للانكليز فلم تكن كعداوتهم للبروسيانيين لان القائد الانكليزي والنتون كان قد شدد الاوامر لمنع الجنود عن اساءة معاملة الفرنساويين وكان يعاقب بكل صرامة كل من أساء معاملتهم أو معاملة الاهالي بالسلب والنهب وغير ذلك اماالقواد البروسيانيين فلم يكتفوا حينئذ بان يرخصوا لجنودهم باساءةمعاملة الفرنساويين ولكن المسموع ان بلاستار نفسه وهو قائدهم لم يمنع الجنود عن نهب شيء له ولايخفي ان البروسيانيين كسروا الفرنساويين شر كسرة في معركة واترلو وتبعوهم وقتلوا منهم كثيرين وكان نابوليون الاول يعرف حق المعرفه انه لو سلم نفسه للبروسيانيين بعد تلك المعركة أولغيرهم من المتحدين معهم خلا الانكليز لقتلوه انتقاماً و بما اننا قد قرنا مما بين العدوان الذي طالما كدر العلاقات الممتدة بين فرنسا و بروسيا

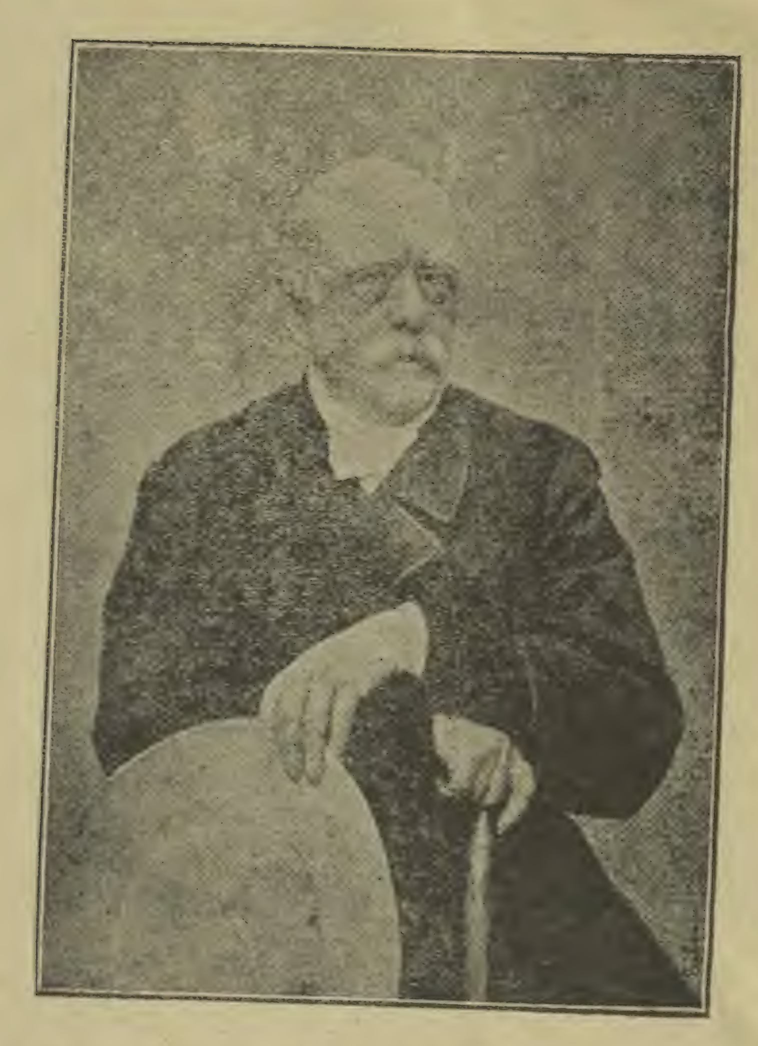
سنبادر الى تقرير ما كان سبباً لفتح هذه الحرب الاخيرة فنقول :

— الاتحاد الالماني وحرب الدانمرك —

كانت الامة الالمانية راغبة جدا في ان تتحد كلها معاً وذلك لانها كانت تعرف ان اتحاد كل ممالكها الاولية والثانوية معاً يقويها جدا ويمكنها من دفع كل المهاجمات التي ربما كانت تطرأ عليها من الخارج وعلى الخصوص من فرنسا . على ان الذي أعاق اتمام أمر هذا الاتحاد سنين كثيرة بعد صلح سنة ١٨١٥ للميلاد كان ميل دول المانيا الثانوية وأمرائها الصغار الى المحافظة على استقلالهم مع ان كثيرين من الامة الالمانية وغيرها كانوا يرغبون جدا في اتمام هذا الاتحاد . ومعلوم ان الفرنساويين كانوا يضادون ذلك كل المضادة وكانوا ينظرون بعين الحسد الى كل ما من شأنه تقوية المانيا بذلك الاتحاد وربما كان ذلك الاتحاد مما لا يتم أبدا لو لم تبادر بروسيا الى السلوك في السبيل الذي وصل بها اليه بواسطة اشهار الحرب على الدانمرك سنة ١٨٦٤ لتأخذ منها مقاطعة الشالسويك والهولستين التي كانت تدعى انها من المانيا وليس المقصود ان نقرر هنا مايعده البعض عارا على انكلترا وهو منعها عن ان تتداخل بالقوة لتساعد الدانمرك غير اننا نقول انه لو تداخلت حينئذ انكلترا وفرنسا ربما كانت أحوال هذه الايام على غير ما هي عليه الآن

وهكذا شرع البروسيانيون في المسير في سبيل مرغوباتهم بدون ان يصادفوا معارضة وفي مدة قصيرة نالوا ما كانوا يرغبون بنواله مع ان الدانمركيين دافعوا حق الدفاع . فتبين حالا ان حرب الدانمرك انما هو ابتداء أعمال بروسيا فكانت كأنها الهجمة الاولى لجهة اتحاد المانيا الذي كان يتبين انه لا يمكن الوصول اليه بوسائط سلمية

وبعد حرب الدانمرك انفتحت حرب بين بروسيا والنمسا سنة ١٨٦٦ وكانت النمسا



البرنس بسمارك آخر رسم له

ص٧

قبل تلك الحرب الدولة الاولى في الاتحاد الالماني ولما رأى العالم مارأى من سرعة انتصار بروسيا وتغلبها تغلبا تاما على عدوها وقف متعجباً وكان أكبر أسباب هذا النصر البنادق التي كانت للبروسيانيين ولم تكن للنمساويين وكان هذا الانتصار الجديد مجلبة للكدر والغيظ في فرنسا فان امبراطورها ووزراءها كانوا غير قادرين ان يكتموا ماخامرهم من الحسد من جراء تعاظم قوة بروسيا تعاظما سريعاً جداً حتى انه ربما كانت فرنسا أشهرت الحرب على بروسيا لو لم ترض فرنسا ان تجعل المعاهدة المسماة بمعاهدة براك المعقودة لجهة انشاء اتحاد جديد في المانيا معاهدة تقيم اتحادا بين الممالك الالمانية الشمالية بدون الممالك الالمانية الجنوبية التي صار القراران تقيم اتحادا وحدها

وهكذا كان الامبراطور نابوليون يؤمل بانه يتمكن من اضعاف قوة المانيا بانشاء اتحادين المانيين الواحد في الشمال والآخر في الجنوب عوضاً عن انشاء اتحاد الماني واحد فان الامبراطور نابوليون كان يخاف جدا من تمكن المانيا من الاتحاد

غير ان الظاهر ان الامم في هذا العصر تعتبر المعاهدة كما تعتبر أوراقا خالية من كل نفع فانه بعد ذلك بزمان طويل حاول البرنس بسمارك التخلص من بعض شروط تلك المعاهدة اذا لم نقل انه خرق بعضها خرقا تاما فانه بحذقه السياسي عقد عهودا مع الممالك الالمانية الجنوبية مآلها انه اذا وقع اختلاف بين بروسيا وغيرها من الدول بباعث الحوادث الاخيرة تكون كل قوات الدول الجنوبية الالمانية خاضعة لأوامر ملك بروسيا وقد قال قوم بتأكيد مستند الى مايحملنا على تصديق ذلك القول : ان بروسيا نكثت الوعد الذي كانت قد وعدت به فرنسا في نفس ذلك الزمان . وهكذا نرى انه يسوغ لفرنسا ان تشكو من سوء تصرفات بروسيا اذا لم نقل انه يسوغ لها ان تفتح الحرب عليها

وفي السنة التابعة التي هي سنة ١٨٦٧ للميلاد وقع نزاع جديد بسبب اقامة بروسيا في لكزمبورج ولولا مداخلات انكلترا لانتشبت الحرب بين الامتين على انه صار

تسوية الامر في الجمعية الدولية التي عقدت في لوندرا في تلك السنة . وهكذا صار اخماد نيران الحرب التي كادت تشب في ذلك الزمان اخمادا وقتيا لان رماد السياسة سترها بدون ان يطفئها فكانت كأنها مترصدة هبوب ريح سياسية ولو كانت ضعيفة تشب شبوبا يوافق استعدادها فبات جميع الذين يهتمون بسياسة أواسط أوربا مترصدين وقوع قتال بين بروسيا وفرنسا في زمان مستقبل وكانوا يعرفون انهم اذا منعوا حدوث الحرب اليوم فسيحدث ما يقيمها في الغد . ولذلك كان قصاري اجتهاد الدولتين مصروفا في سبيل تقوية قواتهما الحربية واصلاح كل ما يلزم الاصلاح منها بحيث أضحت ذات قوة فتاكة في ساحة القتال . اما نجاح كل منهما في هذه الاعمال أوعدمه فهو مما قد قامت باظهاره حق القيام الحوادث المتأخرة فانها قد أوضحته للعالم باجلى بيان

هذا ومن الامور المقررة ان تأهب الدول للحرب يمنع حدوثها كما يمنعه تركها للاسلحة وقد أجمع القوم على ان الذى كان يؤخر فرنسا وبروسيا عن أن يقيما القتال بينهما قبل أن اقاماه في السنين الاربع أوالخمس السابقة للحرب ليفصلا بحكم السيف المنازعات الكثيرة والمتصلة التي كانت واقعة بينهما هو معرفة فرنسا وبروسيا بان كلا منهما مستعدة حق الاستعداد لدفع مهاجمات الاخري . وهذه هي ظروف الحال التى كان يراها أهل السياسة في أوائل سنة ١٨٧٠ وكان يظهر ان دوام السلام أوشبوب نيران الحروب كانا متوقفين على ارادة أحد رجلين كان لكل منهما سلطان كاف ليحمل أمتين عظيمتين على الغوص في بحار الويلات بمجرد التلفظ بكلمات قليلة وربما اتسع الامر وحمل أوربا على الاشتراك في ويل مامثله ويل وهذان الرجلان هما الامبراطور نابوليون الثالث والبرنس بسمارك لأنه مع ان الملك غليوم البروسياني هو ذو حذق ويعرف الفنون الحربية حق المعرفة ويعتقد بأنه هو الذى وهبه الله سبحانه وتعالى حق الملك نرى ان البرنس بسمارك هو بدون ريب الذى يحق له أن يسمي حاكم بروسيا المطلق (اكتيتور)

— فرنسا أيام نابوليون الثالث —

كان نابوليون الثالث يقول منذ تبوأ تخت الامبراطورية الفرنساوية « ان الامبراطورية انما هي السلام » ومايأتي هو حرفيتها في اللغة الفرنساوية :
(L'empire C'est La Paix) ومع ان قوما من الذين ينشرون الكتابات الهزلية والاستهزائية قد حرفوها بما يأتي (L'empire C'est Là L'épée) ومعناه « ان الامبراطورية انما هي السيف » والفرق انما هو في اللفظة الاخيرة كما يتبين لمن يعرف اللغة الفرنساوية فان لابي هو السلام وليبي هو السيف نرى ان اجتهادات الامبراطور نابوليون كانت مصروفة في سبيل المحافظة على السلام وانه في مدة امبراطوريته التي هي ١٨ سنة لم يقم حرباً مالم تسقه الي قيامها ظروف الاحوال على رغم أنفه غير انه ربما كان مصدر بعض هذه الظروف مراعاة الصوالح الخصوصية. والظاهر ان مقصده كان توطيد أركان دولته بواسطة تنجيح أحوال فرنسا الداخلية بزيادة مداخيلها وتوسيع دائرة تجارتها الداخلية والخارجية وترقية أسباب سطوتها وبزيادة محاسن باريز وغيرها من المدن الكبيرة وليس باستجلاب المجد الذي كلف فرنسا خسائر كثيرة بواسطة جرآات عمه نابوليون الاول ومن الامور المؤكدة انه قد صرف جهده أكثر من مرة في سبيل حفظ علاقات الوداد والسلام بين انكلترا وفرنسا وذلك خلافاً لآراء أعوانه الحربيين لان اراءه هي كاراء التجار وأصحاب الصنائع الذين يحسبون الحرب خراباً لهم . غير انه صار القبض على زمام الامبراطورية بالسيف والجنود الذين كانوا يعضدون تختها فقد صح فيها ما قيل عن غيرها من انها سقطت بالسيف غير ان ذلك السيف كان أجنبياً وهو السيف الذي لم يكن نابوليون الثالث يخافه بقدر ما كان يخاف سيف العصيان الداخلي

ومع ان الاحوال كانت في اضطراب في أوائل سنة ١٨٧٠ مضي نصف السنة

بدون أن يتكدر السلام وفي أوائل شهر تموز (يوليو) تبين للعالم ان أكثر الصعوبات والمشاكل التي كانت تكدر راحة أوربا منذ زمان ليس بقصير قد أمست مفضوضة فكان العالم يظن ان السلام قد غلب الحرب وان الصلح مسود بين أمم أوربا مع انه كان قد بات عرضة للتبديد زماناً طويلاً فان هذا الهدو انما كان كالهدو الذي يسبق الاضطراب في الانحاء القطبية فان انواء الحروب التي كانت قريبة الظهور ظهرت بعنف شديد وأضرت بالعالم ضرراً لم يقدر نظيره في أخبار القرون الحديثة مع انه المحرك الذي حرك ذلك الشر العظيم في أواسط أوربا وأتي بذلك الغيم الكثيف الذي حجب شموس السلام

— البرنس ليوبولد وتاج اسبانيا —

ومعلوم انه منذ حدوث الثورة في اسبانيا سنة ١٨٦٨ التى حملت الشعب على خلع ملكتهم أمست تلك المملكة بلا ملك وكان الجنرال بريم الاسبانيولي العسكري قد صرف أقصى جهده ليتمكن من اقامة ملك ليجلس على عرش ملك بلاده تكون به الاهلية اللازمة وكان هذا الجنرال قد ارتقى اليها بالاهليــة الى المراتب العليا حيث كان قد ارتقى اليها وكان أمينا يفضل صوالح وطنه على صوالحه الخصوصية لانه رفض ان يتبوأ هو ذلك التخت الذي كان قد عرض عليه القوم ان يتبوأه ومع ان أول أمره كان نجاحا وتوفيقاً كان آخره هلا كالانه لم يتمكن من الوصول الى مرغوبه حتى قتله غدرا رجل نذل وهكذا مات شهيد حبه لوطنه وغيرته على أهله وكان هذا الجنرال قد عرض تاج المملكة الاسبانيوليه التي كان نائبا لملكها بامر المجلس العالي على أكثر من رجل واحد من العيال الملوكية غير انه لم يجد منهم من كان يرغب في قبول هذه العطية الفاخرة لانهم كانوا ناظرين للاتعاب التي كان يتكبدها الملوك الاسبانيوليون في هذه

السنين الأخيرة وهكذا بات تاج اسبانيا التي كانت قبلا أقوى ممالك أوربا واغناها يتسول ملكاً من عيال ملوك أوربا بدون ان ينال مطلوبه وذلك كما كانت مملكة اليونان تسأل ملكا منذ بضع سنين وفي نهاية الامر سر جدا الجنرال بريم لما رأى ان البرنس ليوبلد من عائلة الهوهنزلرن السكمارنجن الالمانية قد قبل ان يلبس تاج بلاده وكان هذا الجنرال يعتقد ان قبول هذا البرنس تاج اسبانيا يأتيها بنفع كثير وكان لذلك البرنس من السن ٣٥ سنة فقط وهو ابن البرنس هو هنزلرن البكر وهذا البرنس أي ابو البرنس الذي قبل تاج اسبانيا كان قد وهب ملك بروسيا حق الرياسة على بلاد كان مسودا عليها والظاهر ان الجنرال بريم كان يعتقد ان البرنس ليوبولد المشار اليه هو من الذين يوافق البلاد ان تكون تحت سيادتهم الملوكية وكان هذا البرنس قائدا في جيش بروسيا وكان متزوجا بشقيقة ملك البرتغال على ان نابوليون الثالث وأكابر الامة الفرنساوية كانوا ينظرون الى هذا الامر من جهة أخرى

هذا وكانت بروسيا منذ بضع سنوات سالكة مسلكا يمكنها من ان تعظم وتوسع دائرة مملكتها وسطوتها وكانت قد أدركت من القوة الدرجة التي طالما صبا أكابرها الى ادراكها مع ان غيرهم كانوا يعتقدون ان ذلك من الاحلام الباطلة حتى انها حركت الامة الفرنساوية من الغيرة ما كانت تلك الامة غير قادرة ان تحتمله علاوة على العداوة التي كانت تكدر علاقات الامتين الودية نظرا للاسباب التي قد قررناها وهذا العمل الاخير أي اقامة البرنس ليوبولد ملكا لاسبانيا الذي كان يقول الفرنساويون انه صادر عن الطمع كان سببا لشبوب نيران الحروب التي كانت مشتعلة بين الامتين منذ زمان طويل ولكنها كانت مغطاة برماد السياسة لان الفرنساويين كانوا لا يطيقون ان يتصوروا ان رجلا من اخصاء ملك بروسيا سيتبوأ تخت مملكة اسبانيا فيصير رجل من الجنس التوتوني ملكا على أمة لاتينية وكان الفرنساويون يعتقدون ان ذلك يخل بميزانية القوة في أوربا ويمكن الامة الالمانية التي كانوا يقولون انها

كانت بلغت من الطمع درجة مضرة من رجحان في القوة مضر جدا ولما رأى امبراطور فرنسا ما رأى من ذلك الحال وكان مستيقظاً جداً ويتجنب فتح حرب على المانيا لانه كان يعرف أكثر من أعوانه الغير المتيقظين ان لالمانيا قوة مخيفة أمسى بارتباك عظيم وكان يقول ان ذلك انما هو صادر عن تكبر المانيا وتعديها مع انه معلوم انه يسوغ ان يقال انه يحق لاسبانيا ان تنتخب لنفسها الملك الذي تحب ان يكون مالكا عليها

وفي ٦ تموز (يوليو) سنة ١٨٧٠ للميلاد بلغ وزير خارجية انكلترا خبر هذه الحوادث وكان قد شاع في باريز ان البرنس ليو بلد قد قبل ان يتبوأ تخت اسبانيا في ٤ الشهر المذكور أي قبل ان بلغ الخبر وزير خارجية انكلترا بيومين ولما شاع هذا الخبر في باريز حدث هيجان شديد واضطراب كثير وفي ٥ من الشهر تأكد ذلك الخبر وفي ٦ منه قال الدوق دوكرامون وزير خارجية فرنسا في المجلس القضائي في باريز ان الحكومة الفرنساوية لا تقدر أن تسلم بأن تمسي صوالح فرنسا وناموسها مثلومة وميزانية القوة في أوربا قد وقع فيها خلل بواسطة تبوء برنس من العائلة الهوهنزلرنية تخت اسبانيا

وكان كلام الدوق كلاما صادراً عن مسند ذي سلطة وكان مآله مهيجاً للعدوان ويحمل فرنسا على أن تسلك في سياستها مسلكا مكدرا للسلام حتى انه تبين ان الحرب قريبة وتبين أيضاً ان أمر انتخاب البرنس المشار اليه ليتبوء عرش اسبانيا كان موضوعاً للتبصر قبل ذلك بسنة أى منذ ربيع سنة ١٨٦٩ وكانت وزارة خارجية انكلترا تجهل ذلك كل الجهل وكانت الحكومة الفرنساوية قد أمرت المسيو بنديتي سفيرها في برلين ان يقول للبرنس بسمارك وزير المانيا الشمالية الاول ان فرنسا لا تقبل أبداً بان يتبوأ برنس الماني تخت مملكة اسبانيا ويقال ان البرنس بسمارك أجاب حينئذ ان ذلك لم يخطر أبداً لبروسيا ببال وان ذلك هو من الامور التي لا يمكن حدوثها وقال غير بسمارك من المأمورين الكبار البروسيانيين لسفير فرنسا قولاً يؤكد عدم صحة ما كان قد بلغ الحكومة الفرنساوية وهكذا انقطعت المخابرات بهذا الشأن

هذا ولا يخفي ان أموراً كثيرة تجري بين رجال السياسة بدون أن يتمكن العالم من معرفتها غير انه لاريب ان بروسيا كانت تعلم ان قبول برنس الماني بان يتبوأ عرش اسبانيا يكون سبباً لشبوب نيران الحرب بينها و بين فرنسا وان حكومة المانيا تظاهرت بما دل على انها كانت تسخر بذلك حال كونها كانت تعضده

ومع ان الامر بلغ درجـة حملت العالم على ان يعتقد انه مامن مهرب من الحرب اقنعت الدول التي كانت مقيمة على الحياد ملك بروسـيا بان لا يسعف البرنس ليو بلد على ذلك وهـذه الدول أفرغت الجهد قبل فتح الحرب في ان تمنع حـدوثها حتي ان المسموع ان ملـكة انكلترا بعثت الى ملك بروسيا مكتوباً كتبته بيدها طالبة اليـه أن يمنع البرنس ليو بلد عن قبول ذلك التاج ولمـا رأي أبو هذا البرنس انملك بروسيا قد أجاب طلب الدول المتحايدة وتنحى عن مساعدته أشار الي ابنه أن يمتنع عن قبول التاج بعد ان كان قد قبله وهكذا توطدت آمال الامتين اللتـين كانتا تنتظران بقلب خفوق النتيجة بدوام السلام بعد ان كانتا تتأكدان حدوث الحرب

وفي ١٢ تموز (يوليو) اعلن رسمياً انه بواسطة تداخل ملك بروسيا قد تمنع البرنس ليو بلد عن أن يقبل تاج اسبانيا ولـكن لـما رأت حكومة فرنسا ان هـذا الاعلان لا يخلو مما يسوغ لها ان تحسبه موارية وكتمان الحقيقة وعلى الخصوص لان مصـدره هو البرنس بسمارك الجامع بين الحذق والدراية والحيل السياسية طلبت ماطلبت ولذلك اذا نظرنا الى الامر نظراً خارجياً نري انه مامن مسوغ يسوغ لفرنسا ان تطلب الى المانيا ماطلبه سفيرها الموسيو بنديتي في ١٣ من الشهر المذكور وهو أن تضمن لهـا ان أميراً المـانيا لا يقبل أن يملك في اسبانيا فى المستقبل غير اننا اذا أمعنا النظر في الاحوال التي كانت جارية نعذر فرنسا في الحاحها على بروسيا الحاحاً لا يخلو مما كان يجب أن تتجنبه لولا الظروف الـتي ذكرناها والمظنون انه لوطلبت فرنـسا الي بروسيا ما طلبت بنوع خال مما ربما اعتبرته بروسيا اهانة وكان الامبراطور نابوليون وملك بروسـيا راغبين حق

الرغبة في منع حدوث الحرب لربما كانا تمكنا من تسوية هذا الامر بنوع مرض الدولتين اللتين كانتا قد اغتاظتا مما كان قد حدث غيظاً مهيجاً ومانعا للحكمة وسعة الصدر والتأني حتى ان الهيجان الحاضر أعمى القوم عن النظر الى سوء عواقب المستقبل وهو انه وطلبت فرنسا ماطلبت واجابتها بروسيا ما أجابت بنوع منعهما عن ان يرجعا عن المركز الذي أخذاه في مخابراتهما المذكورة

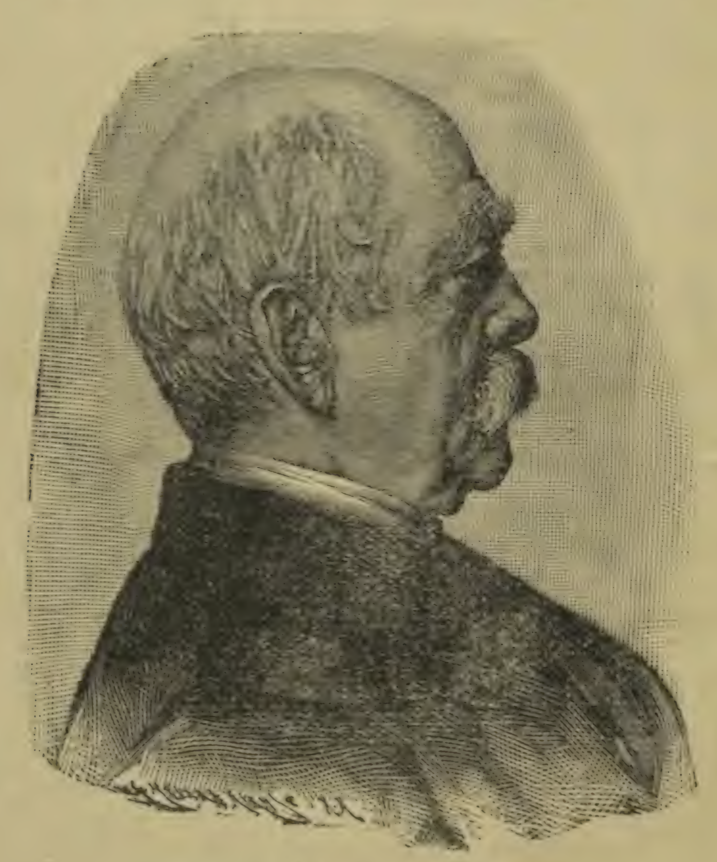
هذا وقد طلب المسيو بنديتي سفير فرنسا في برلين الى ملك بروسيا ما طلب لما كان هذا الملك يتنزه في متنزه أيمس العمومي وهو مكان جميل وبهج جدا فيه مياه جارية وكان ملك بروسيا يأتي ذلك المكان ليصرف بعض أيام من فصل الصيف فيه ولما أتاه السفير المشار اليه كان يتمشى تمشي متنزه في ذلك المكان وكان يكلم بعض أعوانه كلام حظ وتقدم اليه تقدم جسور والظاهر أنه لم يلاحظ عادة القوم في ما يتعلق بالدخول على الملك ولما دنا منه أعطاه التحرير وطلب اليه أن يجيبه في تلك الساعة عن طلب فرنسا .

وكان الملك يعتبر أن المسيو بنديتي السفير فعل ما فعل قاصدا اهانته فغضب من ذلك ومع ذلك أخفى غضبه غير أنه رفض أن يجيب طلب فرنسا أي أنه رفض أن يتعهد لها بأنه ما من أمير ألماني يتبوأ تخت ملك اسبانيا في المستقبل وقال ان تصرفه في المستقبل انما يكون بحسب اقتضاء الظروف وعند ما شرع المسيو بنديتي بلجاجة اعتيادية ومجاوزة لحدود الاعتدال في أن يلح في الطلب على الملك ليجيب طلب فرنسا قال له الملك طالباً اختصار الحديث بعد أن مال عنه انه من اللازم أن يصير تبليغه كل المخابرات المتعلقة بذلك في المستقبل بواسطة وزارته .

واذا اعتبرنا الواقع نقول انه صار اشهار الحرب في ١٣ تموز (يوليو) سنة ١٨٧٠ للميلاد في ذلك المتنزه الجميل في أيمس لأن الجميع كانوا يعرفون انه ما من أحد من الفريقين أي حكومة فرنسا وحكومة بروسيا يقدر أن يرجع عن مركزه بدون أن يحسب رجوعه اهانة . هذا



المسيو بنديتي يخاطب ملك بروسيا في منتزه ايمس العمومي



البرنس بسمارك

وقد طلب موسيو بنديتي أكثر من مرة بعد ذلك أن يسمح الملك له أن يقابله ولكن الملك كان يرفض أن يجيب طلبه .

ولما بلغ جواب ملك بروسيا باريز غضبت غضباً شديداً وكان المسيو بنديتي قد طلب أن يرخص له بالخروج من برلين عاصمة بروسيا ونال الرخصة المطلوبة وكذلك طلبت حكومة فرنسا الى البارون وارثر سفير ألمانيا في باريز أن يرجع الى وطنه وقيل انه ورد تحرير من باريز الى البرنس بسمارك مآله أن يعتذر ملك بروسيا الى فرنسا عما صدر منه من عدم الالتفات الى سفيرها وأن البرنس بسمارك لم يعرض هذا التحرير على الملك لأنه ظن انه طلب مضحك لا يليق تبليغه الى الملك ولا يخفى أنه يصعب تصديق هذا الخبر والمرجح انه كذب .

— اعلان الحرب —

هذا وعندما انتشر خبر تمنع البرنس ليوبلد هوهنزلرن عن قبول تاج اسبانيا ارتفعت جداً أسعار قراطيس فرنسا المالية بعد أن كانت قد نزلت كثيراً عندما كان العالم منتظرا شبوب نيران الحروب وعند ما بلغ أهالي باريز خبر نتيجة مقابلة سفير فرنسا لملك بروسيا في ١٣ تموز (يوليو) نزلت أسعارها كثيرا وفي ١٦ من الشهر المذكور أعلنت دولة فرنسا رسمياً اشهارها الحرب على بروسيا على أن هذا الخبر لم يبلغ برلين الا في ١٩ من الشهر المذكور .

ولما انتشر الخبر في باريز هاجت وماجت وطلب البعض الانتقام بصوت عال وهيجان مخل وكانت الجماهير تجتمع في محلات الاجتماعات العمومية وفي الشوارع وكثر ازدحام الذين كانوا يطلبون قيام الحرب حتى أنه بطل البيع والشراء الاعتيادي في الاسواق وكانت الجموع تصرخ قائلة « فليحيي الامبراطور فلتعش فرنسا هلموا الى

برلين » وكانت شوارع باريز غاصة من جراء كثرة ازدحام الاهالي المهيجين وكانو يغنون ليلا ونهارا بدون انقطاع أغنية المارسيليازالتي كانت الحكومة قد منعتها لانها مهيجة وكانت الجموع تجتمع منتظمة وتنشر الرايات بعد أن تكتب عليها كتابات حربية مهيجة ونشروا منها في كل المحلات العمومية وعلى الخصوص امام منزل سفير بروسيا الذي لم ينج بيته من النهب الا بواسطة مدافعة الضابطين الفرنساويين غير ان الحكومة الفرنساوية اعتذرت بعد ذلك الى هذا السفير عن هذه الاهانة ·

ومع ان هيجان برلين كان أقل من هيجان باريز كان يظهر مايبرهن على ان البروسيانيين كانوا يرغبون في قيام الحرب بقدر ما كانت فرنسا ترغب في ذلك وازدحمت جماهير كثيرة في اتاردن لندن وهو الشارع المبني بجانبه القصر الملوكي وكان القوم يعلنون بكل حرارة انهم يرغبون في ان يعضدوا الحكومة في السياسة التي تعول عليها لتنتقم من الذين أهانوا ملكهم وبلادهم

وهكذا كانت الامتان تعتقدان انه قد دنت الساعة التى طالما كانتا تنتظرانها وربما كانتا تخافانها وربما كان هذا الاعتقاد مما يرفع عنهما اثقال ذلك الانتظار المقلق الذى يسبق حوادث كهذه فى مثل تلك الظروف وكان يظهر ان الامتين كانتا ترغبان رغبة واحدة في الحرب وكان كل منها يعتقدان الفوز انما يكون له ·

ومعلوم ان اهل هذا العصر الذي هو عصر تمدن واجتهاد يعتبرون الحروب شروراً مهلكة قاطعين النظر عن اعتقاد ابطال القرون القديمة بهذا الشأن ولذلك يلومون كل اللوم من أقام حرباً مالم يلتزم أن يقيمها للدفاع من دمار لاغنى له عن الدفاع عنه ولذلك يقال ان الذين ابتدؤا في تكدير السلام في العالم المتمدن هم الامبراطور نابليون الثالث ووزراؤه لانهم هم الذين أشهروا الحرب على ملك بروسيا وأكثر الكتاب يقولون ان هذه الدولة الامبراطورية هي التي أتت بهذه الحرب التى كادت تضرم نيران الويل والهلاك في كل أوربا غير اننا اذا أمعنا النظر في الحوادث وتبصرنا فيها بالتأني نرى

ما يحملنا على التردد عن تحميل الامبراطور نابليون والامة الفرنساوية كل اللوم ورفعه عن غيرهما ومع ذلك لابد من تقرير أمر واحد مهم والظاهر أنه قد فات تقريره كتاب الجرائد وغيرهم من مؤرخي هذه الحرب الحاذقين وهو ما يأتي :

ان الملك غليوم ملك بروسيا خطب عند اعطاء الفرصة لمجلس الاتحاد الالماني الشمالي في ايار (مايو) سنة ١٨٧٠ خطبة قال فيها انه ينتهز تلك الفرصة ليبشر المجلس العالي باتمام تنظيم أحوال الاتحاد الالماني الشمالي الحربية

ولا يخفى ان هذه البشارة هي من الامور غير المهمة عند ماتكون الاحوال غير مكدرة والنوايا سليمة ومعلوم انه بعد ان قال الملك ماقال في هذه الخطبة باسبوعين أو ثلاثة قبل البرنس ليو بلد هوهنزلرن تاج اسبانيا فاذاقطعنا النظر عن كل متعلقات ذلك لانقدر ان نقطع النظر عن قبول البرنس التاج بعد ان قال الملك ماكان قد قال بمدة قصيرة بنوع يحملنا على اساءة الظن في المقاصد اذالم يحملنا علي أكثر من ذلك وبما ان كل أوربا كانت تعرف ان فرنسا والمانيا كانتا تستعدان منذ مدة ليست بقصيرة للقيام بحق حرب كان يظهر لهما أنه لامهرب من قيامها ومع انهما كانتا ترغبان في قيامها ولكنهما كانتا تخشيان سوء عواقبها يتبين لنا ان البرنس بسمارك رأي ان الزمان المناسب كان قد دنا لقيام الحرب التي كان يؤمل هو ومولاه الملك انها تضعف قوة فرنسا وتزيل المانع الذى كان يحول دون اتمام اتحاد المانيا تحت سلطة بروسيا

وعرف رجال سياسة كل الدول التى كانت محافظة على الحياد ان غيرة الفرنساويين وحدتهم اللتين كانتا مهيجتين تهيجاً كافياً بامتداد سطوة بروسيا تمسيان عند قبول البرنس هو هنزلرن تاج اسبانيا في هيجان ليس فوقه هيجان ولاريب ان ملك بروسيا ووزيره الاول كانا لايجهلان ان ذلك سيؤثر التأثير المذكور في فرنسا وعلي الخصوص بعد ان كانت بروسيا قد أكدت قبل ذلك باقل من سنة انه لم يخطر لها ببال قيام دولة المانية في بلاد من بلدان أوربا الجنوبية

هذا وقد بين كاتب حاذق من الذين كتبوا تاريخ هذه الحرب بواسطة الكتابات الرسمية المنشورة التي جرت بين وزير خارجية انكلترا وسفيرها في برلين ان البرنس بسمارك كان مستعداً ان يعتبر ما كان يعرف انه سيسمعه من الكلام الصادر عن غيظ فرنسا سبباً حسناً يسوغ له فتح الحرب وهكذا اذا دققنا النظر في الامور التى قد ذكرناها وفي غيرها مما هو أقل أهمية منها نميل الى ان نقول ان امبراطور الفرنساويين وأعوانه أمسوا مخدوعين بشدة حذق البرنس بسمارك وأجراآته هذه بحيث انهم سيقوا الى فتح حرب كان البرنس بسمارك يحاول أن يجعلهم يفتحونها لتحصل بروسيا علي ماحصلت عليه في أول الامر وهو ميل أوربا اليها ومساعداتها الادبية لها ومع ذلك لا نقدر ان نرفع اللوم الشديد عن الامبراطور نابوليون وقومه

وما أدرانا ان مرور الزمان واخماد الهيجان الحالى يمكننان المؤرخ الصادق الخالى من الغرض من أن يثبت أمراً لا نقدر ان نثبته الآن حق الاثبات وهو انه منذ قال ملك بروسيا في خطابه المذكور ماقال صار أمر فتح الحرب على فرنسا منتظراً الزمان الموافق له ومع ذلك نحب أن نقول انه ولئن كانت بروسيا مستعدة حق الاستعداد للحرب ربما كانت تمتنع عن فتحها لاسباب سياسية بدون أن تفعل فرنسا فعلاً ظاهراً يسوغ لها ذلك . هذا وقد ذكرنا في مامضي من هذا التاريخ شيئاً مما يتعلق بالاجراآت التي أجراها الفرنساويون في المانيا بعد ان فتحها نابوليون الاول واذا كان ما نسمعه من الالمانيين عن اعمال الفرنساويين القاسية عند ما دخلوا بلادهم في الزمان المذكور خالياً من المبالغة الكثيرة نقول ان الانتقام مجلبة الشر على المنتقم في نوبته فان الامبراطور نابوليون الاول وهو أول من ملك من عائلته سقى الامة الالمانية وعلى الخصوص البروسيانيين مر كاسات الذل حتى ثمالتها كما ان البروسيانيين قد سقوا الامبراطور نابوليون الثالث الذى ربما كان آخر امبراطور من العائلة النابوليونية كاس ذل يحاكي الكاس التي شربوها من يد سلفه وعمه

ومع كل ذلك يصعب علينا أن نصدق أنه قد حدث ما قد حدث من التغيير العظيم في قوات فرنسا والمانيا في زمان نقول انه قصير بالنظر إلى أزمنة الامم بالسرعة العجيبة التي تم فيها انكسار فرنسا انكساراً تبين أن بروسيا تمكنت منه بسهولة غريبة فان ألمانيا كانت منكسرة أمام فرنسا منذ خمسين أو ستين سنة وفي هذه البرهة القصيرة انعكس الأمر

وكان نابوليون الأول ينظر بعين الاحتقار الى البروسيانيين دون غيرهم من أعدائه الكثيرين فان النمساويين والايطاليين والاسبانيول والروسيين صادموا هجمات جنوده التي كان يغزو بها بلدانهم صداما ثابتاً غير أنهم التزموا جميعاً أن يسقطوا في نهاية الامر على أنه لم يقدر أن يذل الانجليز أعداءه الثابتين والأقوياء والتزم في نهاية الأمر أن يسلم لهم غير ان الروسيين أنزلوا به ويلا كثيراً سنة ١٨١٢ باحتمال خسران كثير بواسطة حرق عاصمتهم موسكو وقال أكثر القوم ان الخسائر الكثيرة التي لحقت بجيشه عند ذلك كانت مما أتى بسقوطه غير انه لا يخفى ان قوة ذلك الامبراطور العظيم ضعفت كثيراً في الحرب الشديدة التي أقامها في أسبانيا ضد الأهالي والانكليز . فانه هلك كثيرون من جيشه من هجمات جنود اسبانيا الغير المنظمة وكان أكثرهم من الفلاحين الذين التزموا أن يتقلدوا الاسلحة لصدامه وكانوا أعرف من جيش نابوليون الأول بالبلاد ولذلك كانوا يختبئون في الأحراش وفي أغوار الجبال و يهاجمون منها الفرنساويين الذين كانوا يهاجمون بلادهم و ينزلون بهم اضراراً كثيرة جداً بدون أن يلحقهم منها شيء يستحق الذكر .

ومع ذلك فتح نابوليون الأول الممالك الألمانية بكل سهولة ولم تقدر بروسيا التي كانت تعد نفسها من دول أوربا الأولية ان تثبت أقل الثبات امام صدمات جنوده الباسلة وكان يحتقرهم كل الاحتقار حتى انه كان يقول انهم كلاب المانية و بروسيانية و بعد أن كسرهم تلك الكسرة العظيمة في معركة جينا سنة ١٨٠٦ وشتت شمل كل

الجيوش البروسيانية ودخل عاصمتهم وأقام فيها فعل ما أذلهم كل الاذلال وجرحهم حتى قلوبهم جرحاً لم يقدر البروسيانيون أن ينسوه ولا أن يسامحوا الفرنساويين به فان نابوليون الأول أخذ سيف ملك بروسيا فردريك الكبير من قبره وذهب به فرحا إلى باريز وقال ان البروسيانيين الذين قد أدركهم الفساد والجبن لا يستحقون أن يكون عندهم السيف الذي كان يتقلده ذلك الملك العظيم .

ولا يخفى ان هذا الامور التي زادت ذل البروسيانيين وقهرهم في ذلك الزمان أثرت في قلوبهم تأثيراً لا يمحوه كرور الأيام كما أنها أثرت في كل الألمانيين فأضمروا من ذلك الزمان السوء للفرنساويين وصمموا على الانتقام الذي صادف شيئاً مما أرضاهم في معركة واترلو التي سببت سقوط نابوليون الأول ارضاء غير كاف اذ ان المتحدين معهم تمنعوا عن أن يتجاوزوا حدود الاعتدال في اذلال الفرنساويين فالتزم القائد بلوشار البروسياني أن يوافقهم على ذلك رغماً عن أنفه .

الاصلاح الادبي والعسكري في المانيا

ولما كنا قد وقفنا على الضعف الذي كان البروسيانيون عليه في أوائل القرن التاسع عشر كان من اللازم أن نبحث لنرى كيف تمكنوا من أن يبلغوا من القوة الدرجة التي بلغوها بحيث تبين منذ سنة ١٨٦٤ انهم أمة تغلب فانهم ابتدؤا من هذه السنة بقيام حروب انتصار أولها فتح ولايتي الشالسويك والهولستين وضمهما إلى الحكومة الالمانية

ولا يخفى أن التاريخ قد أثبت أن كل الامم التي نهضت مما يعد ضعفاً بالنسبة إلى القوة متى وصلت اليها والدرجة التي بلغتها من السطوة والعظمة تأثرت تأثيراً مهماً بواسطة تهييجات الشعراء والكتاب الذين كثيراً ما حركوا قلوب الشعب إلى محبة المجد والفتوحات فان الشاعر كورنار والشاعر ارندت وغيرهما من الشعراء الالمان قد قاموا بحق واجباتهم بكتابة الأغاني الكثيرة الحربية التي كتبوها وكانوا غالباً ينوون

كتاباتهم وأغانيهم على أن لألمانيا حقاً أن تتملك كل الرين وقد أتت هذه الأغاني بالنتائج المرغوبة وحملت الأهلين على بغض الفرنساويين وهيجتهم إلى طلب ترجيع الولايات التي أخذتها فرنسا من المانيا في القرون الماضية .

ومعلوم أنه لا فائدة من تهييج الأمة إلى ذلك بدون أخذ الوسائل اللازمة لاستخدام ذلك الهيجان في أمور مادية ولا يخفى أنه من عادات الفرنساويين اقامة جيوش كثيرة العدد قياما دائماً بحيث كانوا غالباً قادرين أن يغزوا أواسط أوربا كلما رغبوا في أن يغزوها فانهم كانوا يدخلون في عسكريتهم جبراً قسما معيناً من فتيان البلاد الصحيحي الأجسام ولم يعفوا من هذه الخدمة العسكرية غير أولاد الأرامل الوحيدين وأبكار الوالدين الذين كانوا يستندون اليهم لقيام أودهم والذين كانوا يتعلمون ليدخلوا الخدمة الدينية وقليلين غيرهم .

ولما رأى ذلك البروسيانيون وغيرهم من دول الاتحاد الألماني الشمالي عزموا على أن يحذوا في ما يتعلق بالعسكرية حذو فرنسا وان ينظموا لعسكريتهم نظاماً أحسن كثيراً من نظامها بحيث يصير كل الراشدين من الذكور الصحاح الأجسام من المنتظمين في الخدمة العسكرية وقادرين على الخدمة فيها عند ما تمس الحاجة فأتى نظامهم أحسن كثيراً ولا يقتضي له من المصاريف ما يقتضي لاجراء نظام فرنسا .

تبوأ غليوم أمبراطور المانيا تخت ملك بروسيا في ١٨ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٨٦١ للميلاد وكان يطلب اليه البرنس بسمارك بالحاح أن يبتدئ في تنظيم العسكرية تنظيما جديداً فشرع فيه بمساعدة البرنس المشار اليه سنة ١٨٦١ وكان عمر الملك غليوم حينئذ ٦٥ سنة وكان عمر البرنس بسمارك ٥٠ سنة واشتهر بسمارك بأنه من أحذق رجال السياسة في أوربا ولا ريب أنه من أكثرهم توفيقاً .

أما عدد سكان الممالك الالمانية الشمالية فكان ٣١ مليونا من الانفس وقرر قرار المجلس العالي بعد أن صادف مقاومات كثيرة من بعض أعضائه ولكن بدون أن

يلتفت الملك غليوم ووزيره اليها على أن يصير ادخال مائة ألف رجل في الخدمة العسكرية في كل سنة أي رجل من كل ثلثمائة نسمة من كل الأهالي ورجل من كل ٦٠ ذكرا راشداً وعين المجلس للابتداء في الدخول سن العشرين أما مدة الخدمة فتعينت ١٦ سنة منها ٣ سنوات في العسكرية النظامية الدائمة و ٤ سنوات في الرديف تحت الطلب عند الاقتضاء و ٥ سنوات في العسكرية الاحتياطية المسماة عندهم (لاندوهر) وتكون خدمته في محل اقامته عند الاقتضاء ومع ذلك اذا مست الحاجة يصير جمعهم لمحاربة الاعداء في الخارج كما صار في الحرب الأخيرة فان هذه الجنود الاحتياطية أتت فرنسا وحاربت فيها و بعد مضي هذه الخدمة التي تدوم ١٢ سنة لا يخلص الالماني من واجباته العسكرية ولكنه يكون ملتزما أن يخدم في الدفاع عن وطنه اذا دخله عدو وهكذا نرى أنه بعد ابتداء تنظيم الخدمه العسكرية بثمان سنوات أي سنة ١٨٧٠ كان للممالك الالمانية الشمالية المتحدة جيش عدده ثمانمائة ألف مقاتل جميعهم دون الثلاثين سنة هذا مع قطع النظر عن الجنود القدماء الأبطال الذين أقاموا دائما في العسكرية وعن الجنود الاحتياطية المسماة عندهم باللندستزم الذين لودخل الفرنساويون المانيا لخدموا كغيرهم من الجنود المنتظمة هذا ولم تدفع الحكومة أجرة الجنود الرديف والاحتياطية اذا كانوا متقلدين أسلحة وهذا يبين ان المانيا كانت قادرة أن تجمع جيشاً جراراً كلما حست بدون أن تتكبد مصاريف كثيرة للحصول على ذلك الجيش وهكذا كان يتعلم كل الذكور فن الحرب بدون أن تلتزم الحكومة أن تدفع أجرة كثيرين وتقوم بأودهم وكذلك كانت الحكومة قادرة عند ما تمس الحاجة أن تجمع من الجنود من النوع الثاني من الاحتياطية عدداً قدر عدد تلك الجنود ومن النظام أن ينضم كل انسان من هذه الجنود إلى الفرقة التي كان فيها لترقية أسباب الالفة الناتجة عن المرافقة . أما نظام عسكرية فرنسا وقوتها عند ما انفتحت الحرب فكان كما يأتي :

كانت فرنسا تجمع من فتيانها مائة ألف جندي كل سنة كالمانيا ولكن بما أن

عدد سكان فرنسا كان ٤٠ مليونا أي أكثر من عدد سكان المانيا بعشرة ملايين كانت الحكومة تأخذ رجلا من كل ٣٧٠ نسمة أي رجلا من كل ٧٠ ذكرا راشداً وفي سنة ١٨٦٨ قرر مجلس فرنسا العالي أن يزاد عدد العساكر الفرنساوية حتى تبلغ الثمانمائة ألف جندي وذلك خلا أربعمائة ألف جندي من الحرس الوطني وواجبات هذا الحرس هو كواجبات اللندستوم من جنود المانيا ولا يخفى أن هذا الجيش هو جيش عظيم جرار غير اننا اذا دققنا النظر في نظام هذا الجيش الفرنساوي نرى ان حسن نظامه كان اسما لغير مسمى لأن كل رجل الماني من الجيش الغير العامل كان ملتزماً أن ينتظم في سلك العسكرية عند الاقتضاء وكان يعرف حق المعرفة فن الحرب لان الحكومة كانت قد اعتنت حق الاعتناء في ترويضه وتعليمه حال كون أسماء الجنود الفرنساوية كانت أكثر كثيراً من مسمياتها وكان كل جندي فرنساوي ملتزما أن يخدم تسع سنين ونصف سنة في العسكرية الدائمة وأربع سنين في الرديف و بعد نهاية هذه المدة يقدر أن يخرج من سلك الخدمة الجندية فاذا نظرنا إلى الجيشين نظراً خارجياً نقول أن عدد جيش المانيا وجيش فرنسا عند ابتداء الحرب كان متساويا ونظامهما كان واحدا غير أن في ذلك كل الاختلاف بين الجيشين فان الالمانيين اعتنوا كل الاعتناء في تعليم جنودهم وترويضهم وكان عدد أسمائها في دفاتر الحكومة مساويا لعدد مسمياتها ولم يكن أحد من المنتظمين في سلك العسكرية يعفى من الخدمة عند ما دعته الحكومة ليقوم بحق خدمته في الوقت المعين لها أما في فرنسا فاذا قطعنا النظر عن الاهمال المخل والمعيب الذي وقع في تعليم الجنود وترويضها نرى ان العساكر التي كان يحق للحكومة أن تدعوها للقيام بحق الخدمة كانت أقل كثيراً من الاسماء المقيدة في دفاتر العسكرية والسبب ان كثيرين كانوا قد أعفوا من الخدمة بدفع بدل نقدي وكانت الحكومة قد أهملت ما كان من واجباتها أن تعتني به كل الاعتناء وهو أن تستأجر بالمال المدفوع بدلا من يقوم مقام الذين دفعوه أما المال فأمسى مبذراً ولا يعرف كيف صار تبذيره

وكانت الحكومة قد أهملت تعليم الحرس الوطني حتى ابتدأ الحرب ولذلك عندما أقيموا ليحرسوا القلاع أو الطرق أو ينجدوا الجنود العاملة كانوا لا يعرفون كيف يقومون بالواجبات التي كانت مسلمة لهم فكانوا كانهم زراعون جهلاء انتقلوا دفعة واحدة من الحراثة الى ممارسة فن الحرب .

هذا وان ما قررناه عن تقصير الفرنساويين والخلل الذي خامر نظام عسكريتهم كاف لتبيان حقيقة فساد النظام الذي أضعف قوة فرنسا العسكرية في ذلك الوقت مع أنها كانت أقوى قوات أوربا وأنظمها فظهر ضعفها منذ ابتداء الحرب وليس فقط ذلك ولكنه تبين حالا ان الالمانيين كانوا يعرفون قوة القلاع والحصون المبنية في شمالي فرنسا واستعداداتها وتقسيم البلاد الواقعة ومعابرها وجبالها وطرقها أحسن كثيرا مما كان يعرفها القواد الفرنساويون أنفسهم وهذا أتاهم بعار لم يخطر لهم ببال وكذلك كانت الامة الفرنساوية وأمبراطورها ووزراؤه لا يعرفون ما كان من واجباتهم أن يعرفوه حق المعرفة من متعلقات قوة بلادهم وكيفياتها ومقدارها وفضلا عن ذلك تبين أنهم يجهلون صفات الامة الالمانيـة وميلها ومشربها جهلا يجلب عليهم من اللوم ما هو كاف لقيام الحجة عليهم .

ولا يخفى ان الملك غليوم الألماني ووزيره الأول البرنس بسمارك كانا قد شرعا في اجراء السياسة التي كانا يستحسنانها لجهة تعظيم المانيا بالاتحاد قبل اشهار الحرب الاخيرة بزمان ليس بطويل وذلك باعلان الحرب على كثير من الدول الصغيرة وفتح بلادها وضمها إلى بروسيا كما فعلا في شالسويك وهو لستين سنة ١٨٦٤ وكان نابوليون معتقدا عند ما أشهر الحرب على بروسيا هو وأكابر مشيريه أن هـذه الدول الصغيرة التي كانت قد حاربتها بروسيا قبل ذلك بزمان قصير تسر عنـد ما ترى أن الزمان قد مكنها من أن تتحد مع فرنسا في محاربة بروسـيا قياماً بحق ثارها وتسترجع ما كانت قد فقدته من الاستقلال غير أن هذه الدول الصغيرة ليس فقط تمنعت عن

الاتحاد مع فرنسا ولكنها اتحدت مع بروسيا وحاربت فرنسا أشد محاربة وكان الامبراطور نابوليون يظن أن دولة الدانمرك ستكون متحدة معه والمظنون أنه كان مصيباً في ما كان يعتقده من ان العداوة التي بين البروسيانيين والدانمركيين هي شديدة والمظنون أنه لو كان ملك الدانمرك معتقدا ان فرنسا أقوى من بروسيا لاتحد معها بكل سرور طلباً للنصرة التي تمكنه من أن يسترجع البلاد التي كانت قد أخذتها منه بروسيا حال كونها قسما كبيرا من مملكته الصغيرة غير أنه لم يكن معتقدا ان فرنسا أقوى من بروسيا وكان عارفا أنه اذا انتصرت بروسيا عليه وعلى فرنسا اذا كانا متحدين يصادف الملك غليوم والبرنس بسمارك باتحاده مع فرنسا ومحاربته لبروسيا ما يحملهما على مهاجمة بلاده الدانمركية وربما كانت النتيجة أخذها كلها وضمها إلى بروسيا ولذلك عزم على المحافظة على الحياد وقد بينت الحوادث التي جرت بعد فتح الحرب أنه أصاب واية اصابة .

ومن الامور الغريبة أن نرى الامبراطور نابوليون كان يجهل حقيقة صفات الالمانيين وحاسياتهم لأنه كان من الواجب أن يعرف أنهم يعتبرون المنازعات الداخلية التى تحدث بينهم كالاختلاف الطفيف الذي كثيراً ما يحدث بين أعضاء عائلة واحدة وانه لم يعرف بأن اشهاره الحرب على بروسيا التي انما هي رئيسة تلك العائلة الالمانية يقوى علاقات الاتحاد الالماني الذي طالما رغب في ابطاله .

ومع أن العدوان الذي كان بين فرنسا وبروسيا كان شديدا جدا كان حكام الامتين قادرين أن يفعلوا ما يمنع حدوث الحرب المهلكة التي حدثت وأن يستخدموا المهمات الكثيرة الحربية التي اهتموا بقيامها وكانت تأتي أوربا بالقلق الذي شعرت به بما يئول الى نفع الامتين عوضاً عن أن يستخدموه في اهلاك بعضهم البعض وذلك باتفاقهم على التعدي على العهود المقررة بالاستيلاء على الممالك الصغيرة وضم بعضها إلى فرنسا والبعض الآخر إلى المانيا قاطعين النظر عن مقتضيات الصداقة والامانة غير ان

الغيرة الكائنة بين حكام الامتين والحسد حملهما على ان لا يركن أحدهما للآخر منعت اتمام ذلك . هذا وان صدقنا كل الاشاعات التي اشاعتها الجرائد وغيرها التي ظن انها ولئن كان بعضها كذبا كان البعض الآخر صدقا وذلك قبل ابتداء الحرب نرى ان هذه الحرب انما هي نتيجة اختلاف مصدره تلك الاعمال الغير الممدوحة .

ذكرنا في ما مضى من هذا التاريخ أن الأمة الانكليزية تأثرت تأثرا مكدرا عند ما قرأت في جريدة التيمس ما نشرته فيها بروسيا مما يتعلق بعقد معاهدة سر بين فرنسا و بروسيا وذلك بعد معركة سادوا من الحرب التي أقيمت سنة ١٨٦٦ بين بروسيا وايطاليا و بين النمسا مآلها ان الامبراطور نابوليون سيعترف اعترافا رسمياً بما فعلته بروسيا بعد الحرب المذكورة و يسمح باتحاد كل ممالك المانيا خلا املاك النمسا لتسعفه بروسيا في أخذ اللكسمبرج وفضلا عن كل ذلك ستتحد الامتان اتحاد مهاجمة ودفاع وهذا الاتحاد يمكنهما من أن يخضعا لارادتهما كل ممالك أوربا ومع أن بروسيا نشرت هذه المعاهدة المعيبة بارادتها نرى أنها لم تظهرها الا بعد أن صارت المفاوضة بشأنها بسنين كثيرة وعند ما رأت انه لا بد من الحرب . فانكرت فرنسا ما أدعته بروسيا من أنها هي التي طلبت اليها أن تعقدها واجتهدت في أن تلقي اللوم على بروسيا وكذلك فعلت بروسيا غير أنهما لم يقدرا أن يبررا أنفسهما ولذلك وقع اللوم على الدولتين .

وفضلا عن هذه الاشاعات التي تجلب اللوم على الذين قاموا بها قد شاعت اشاعات مبنية على أسس يركن اليها لجهة محاولة عقد اتفاق بين الدولتين منذ ١٨٦٥ مآله ان فرنسا تساعد بروسيا على النمسا وتأخذ عوض هذه المساعدة ليس فقط بلجيكا واللكسمبرج ولكن بعض بلاد بافاريا الواقعة في الجهة اليسرى من نهر الرين أما بروسيا فتأخذ كل بلاد النمسا الالمانية و بلاد هانوفر وسكسونيا وكذلك شاع ان فرنسا رغبت في أن تضم هولاندا الى بلادها وان بروسيا منعتها وربما كان الذي حملها على منعها رغبتها هي في الاستيلاء عليها .



البرنس فريدريك شارل

هذا وكيفما كانت الحال نقول انه لا ريب في أن فرنسا وبروسيا تخابرتا بخصوص عقد معاهدة سرية مضرة بغيرهما غير مستندة إلى الامانة وقد قيل أن هذه المخابرات من الأسباب التي أعاقت قيام الحرب بين فرنسا وبروسيا سنين كثيرة .

ولا يخفى أنه في ابتداء الحرب قطعت اكثر الجرائد الانكليزية النظر عن تصرف بروسيا بالعدوان السابق وقالت انها تحب السلام وكل اجتهادها مصروف في سبيل المدافعة عن نفسها ومعلوم أن صالحها في أن تكون مستعدة لدفع المهاجمات غير أن تمكن أمة تميل للسلم من أن تأتي حدودها بعد اشهار الحرب اشهارا رسمياً بأيام قليلة بثلاثة جيوش جرارة مستعدة كل الاستعداد ومنظمه كل النظام وقادرة أن يتخابر بعضها مع البعض الآخر وكلها مع باريز هو مما يحملنا على أن نشك في صفاء طويتها وكانت هذه الجيوش مستندة بعضها الى بعض وكلها إلى غيرها حتى أنه لو التزم أحدها أو كلها ان يتقهقر لوجد جيشاً آخر يستند اليه مع ان فرنسا التي اشهرت الحرب صرفت أسابيع بدون أن تقدر أن تأتي حدودها بجيش قادر أن يصادم جيشاً واحدا من جيوش المانيا

اما الجيش الاول البروسياني فكان خمسين ألفاً من الجنود المشاة وستة آلاف وستمائة فارس و ١٩٢ مدفعاً وكان تحت قيادة الجنرال استنمتز ونائبه فون اسبرلن والجيش الثاني كان مائة وتسعين ألف جندي من المشاة وأربعة وعشرين ألفا ومائتين من الفرسان وستمائة واثنين وسبعين مدفعاً تحت قيادة البرنس فردريك شارل الساكسوني ونائبه الكولونيل استهل والجيش الثالث كان مائة وسبعين ألف جندي من المشاة وسبعة عشر ألف فارس وخمسمائة وستة وسبعين مدفعاً وكان تحت قيادة البرنس فردريك البروسياني ولي عهد ملك بروسيا وهو ابنه ونائبه الجنرال فوه بلومنثل فيكون مجموع هذه الجيوش كلها أربعمائة واثني عشر ألف جندياً من المشاة وسبعة وأربعين ألفاً وثمانمائة فارس وألفاً وأربعمائة وأربعين مدفعاً وهذا هو أكبر الجيوش التي اجتمعت فى القرون المتأخرة

وكانت كل هذه الجيوش تحت قيادة الملك غليوم ونائبه البرنس فون مولتك وهو من أقدر مقيمي الاعمال الحربية وكان مدير حركات الجيوش

وفي ٢٧ تموز (يوليو) وصل الجيش الاول الى الحدود وأقام في يسار ممتداً الى جهة ستراسبرج و بعض طليعته في مرزك وسارلو يوس و بلسكاستل اما عمدة الجيش فاقامت في اوتولار وهمبرج ولاندزتهل وهذه المحلات مرسومة في كل خارطات هذه الحرب وفي غاية تموز (يوليو) عبر الجيش الثاني نهر الرين عند مانتز ومانهم وفي اليوم الثاني أقام عن يسار الجيش الاول ونزل في بناسنس وزو يبركن وعمدته أقامت عند خط طريق المركبات الحديدية بين لاندستوهل ولاندو وفي ٤ آب (أغسطس) وصل الجيش الثالث وأقام عن يسار الجيش الثاني وأقامت عمدته في لاندو ونوشار واسبايرس وجرمرشيم

هذا ولا يخفى ان من أغرب الامور سرعة وصول هذه الجيوش الجرارة المستعدة حق الاستعداد الى الحدود ولها كل ما يلزمها من الاسلاك البرقية للاستعمال في المعارك والجراحين والحمالين وكل شيء حتى حفاري القبور وتظهر غرابتها عند مقابلتها بحركة الفرنساويين البطيئة

اما مجموع الجيوش الفرنساوية التي كانت عند الحدود قبل ابتداء الحرب فكان مائة وخمسة وستين ألفاً وأربعمائة جندي من المشاة وثمانية عشر ألفاً وأربعمائة فارس وأربعمائة وستة وخمسين مدفعاً خلا جيش الرديف وكان عدده واحداً وستين ألفاً وأربعمائة وخمسين جندياً من المشاة واثني عشر ألفاً وخمسمائة فارس و١٩٨ مدفعاً وكان القائد الاول الامبراطور نابوليون ونائبه والنائب هو رئيس الاركان الحربي كان المرشال لو بوف وكان هذا الجيش مقسوماً الى خمسة جيوش تحت قيادة المرشال ما كماهون والجنرال فرواسار والمرشال بازين والجنرال دولاميرولت والجنرال دي فيلي وكان الجنرال بورباكي قائد الحرس الامبراطوري ارسل خلا هذه الجيوش جيشاً الى حدود اسبانيا وجيشاً قليلا ليسعف العمارة البحرية الفرنساوية في بحر البلطيك وكان وراء هذه

الجيوش الفرنساوية القلاع الحصينة المسماة ميتس وستراسبرج وفالسبرج و بتش وطور وغيرها

— معركة سار بروك —

(فاتحة القتال)

وحدثت حركات حربية كثيرة قبل ان اشهر الحرب رسمياً في برلين في ١٩ تموز (يوليو) سنة ١٧٨٠ للميلاد وكانت طليعة الجيش الفرنساوي في لاندو في ١٦ الشهر المذكور وفي ١٧ أخذ الفرنساويون في الاجتماع في ميتس وكان البروسيانيون قد نزلوا في قرية فرنساوية بالقرب من لونكوي وفي ٢٣ من الشهر المذكور هدم البروسيانيون الجسر الذي كان يصل ستراسبرج بكهل بالبارود وفي اليوم الثاني دخلت فرقة من الفرسان البروسيانيين البلاد الفرنساوية بالقرب من ساريكومتس وقطعوا الطريق الحديدية التي بين المكان المذكور وهاكينو وهكذا قطعوا العلاقات الفرنساوية مع سان افولد و بتش وفي ٣٠ تموز (يوليو) دخل فرنسا عند لوتر بورج عشرون فارساً من الباديين وقطعوا السلك البرقي الذي كان مقاماً على الطريق الحديدية الى نيادر بون وفي اليوم الثاني هجم بغتة على هؤلاء الفرسان الباسلين وهم يأكلون في الصباح في بيت زراع مبني في تلك الجيرة وفي هذه المعركة الصغيرة قتل مستر ونسلو الذي كان قد انتظم في سلك جندية بروسيا طوعا وهذا الضابط الاول الذي قتل في هذه الحرب هو رجل انكليزي

اما العالم فكان ينتظر بفروغ صبر ورود اخبار نتيجة المعركة الاولى المهمة وكان لا يعرف حقيقة الفرق في عدد الجنود وفساد الجندية الفرنساوية ولذلك كان الاكثرون يظنون ان النجاح يكون لفرنسا وليسوا بقليلين الذين كانوا يظنون ان النجاح انما يكون لبروسيا ومع ذلك كان اختبار أهل العالم الماضي يحملهم على ترجيح نجاح فرنسا والخبر الاول الذي ورد بهذا الشأن ثبتهم في ظنهم وهذا الخبر هو خبر نتيجة معركة سار بروك التي انتصر فيها الفرنساويون غير انها انما كانت معركة صغيرة لا يعتد بها وعلى الخصوص اذا قابلناها بالمعارك التي كانت بعدها

وتقلد الامبراطور نابوليون قيادة الجيش وأقام امرأته الامبراطورة أوجيني نائبة الامبراطورية وأخذ ابنه البرنس امبريال معه الى الحرب وكان هذا البرنس قد بلغ ١٦ وكان قد تقرر انه راشد عند مابلغ سن ١٤ وفي المعركة كان راكباً بجانب أبيه وكان يعرف الامبراطور انه يلزم ان يفعل ماينشط جنوده وكان عارفاً ان جيشاً المانيا كان مقيما في سار بروك التي كانت ذات أهمية فانها مركز ثلاثة طرق حديدية فعزم على مهاجمتها وصار القيام بذلك في مدة قصيرة وفي ٢ آب (اغسطس) تقدم جيش كثير العدد من الفرنساويين وأتى التلال التي كانت تمكنهم من أخذ المدينة فابتدأت المعركة حالاً وفي أولهـا صرخ الفرنساويون صراخاً عالياً مترحبين بالامبراطور وابنه البرنس فتقدما وقد قال من يركن الى قولهم انهما اقاما في مكان يقع فيه رصاص بنادق العدو وكان هذا الرصاص يسقط حولهما مدة المعركة بطولها اما المدافع الفرنساوية الراشة المعروفة بالمتراليوز ففعلت افعالا مهلكة وهي مدفع ذو محلات كثيرة يطلق بسرعة وكان الالمان لايعرفون مفعول هذا المدفع فاهلك كثيرين منهم ومع ذلك دافع الالمانيون عن المدينة ببسالة غير انهم رأوا في نهاية الامر انهم غير قادرين على الثبات فاخلوها وتقهقروا بدون ترتيب

وكانت النيران التي شبتها في ساربروك طلقات المدافع الفرنساوية قد احرقت بيوتاً وأماكن كثيرة وفي الساعة الاولى بعد الظهر ارتد الالمانيون ونزل الفرنساويون المنتصرون في المدينة واستولوا عليها وكان ذلك بداءة استيلاء الفرنساويين على بلاد المانيا ونهايته ولما خمدت نيران هذه المعركة أرسل الامبراطور خبراً على السلك البرقي الى امرأته الامبراطورة التي كانت نائبة عنه في القيام بحق مهام الامبراطورية وهو متقلد قيادة الجيش العمومية في الحرب وكانت مقيمة في باريز وهذا تعريب تلك الرسالة البرقية التي حملت الى الامة الفرنساوية بشرى فوز لم تكن تترصد حدوث ماحدث بعده: ان لويس البرنس الصغير (الذي هو ولي العهد) قد اعتمد الآن بالنار وقد كان

معركة سار بروك

ص ٣١

هادئا هدوأً عجيباً ولم يتأثر أبداً. وقد نزلت فرقة من جنود الجنرال فرواسارد في الاعالي المشرفة على الناحية اليسرى من سار بروك اما البروسيانيون فقد ناضلوا حق النضال وكنا في الجهة المقابلة وكان الرصاص وكرات المدافع تتساقط تحت أقدامنا وقد التقط لو يس واحدة كانت قد سقطت بقربه . وقد اغرورقت اعين بعض الجنود بالدموع عند مارأوه على ما كان عليه من السكينة ولم يفقد منا سوى ضابط واحد وعشرة رجال

(الامضاء) نابوليون

ومن مطالعة الصورة المطبوعة في جانب هذه الصفحة يرى ان البرنس هو الراكب الجواد السائر بجانب جواد أبيه الامبراطور وبرنيطته محاطة بمنسوج ابيض ولاريب ان الامبراطور والبرنس ابنه اقاما في مكان كانا فيه عرضة للخطر عند ما كانت نيران الحرب تشب في سار بروك وثبتا الى المنتهي ثباتاً ممدوحاً وفي المساء رجع الامبراطور الى معسكره في ميتس اما البرنس امبريال فالظاهر انه لم يكن يخطر له ببال حدوث ماحدث من الويلات التي خلعت اباه عن تخت الملك وألزمته هو وامرأته وابنه ان يعيشوا منفيين خارج فرنسا فاخذ يشتغل بعد المعركة في تصوير صورة المعركة وأرسلها الى ابن البارون لومبارت الذي كان من أعز أصدقائه وكان منخرطا في سلك الجندية في احدي فرق الحرس الامبراطوري . اماتسليم سار بروك فلم يعد سوي نجاح جزئي حتى ان الفرنساويين أنفسهم لم يعدوا ذلك من الانتصارات العجيبة ولا من الحروب التي ظهرت فيها بسالتهم في أراضي المانيا ولم يصدق الالمانيون عند ماقالوا باحتقار ان هذه المعركة انما هي نزاع صغير خارجي لااهمية له لان الظاهر انهم كانوا ينظرون الى هذه المدينة بعين الاعتبار لانها مبنية في الحدود ولذلك دافعوا عنها بضع ساعات بكل نشاط وثبات ولم يتركوها الا بعد ان فعلت فيهم طلقات المدافع الفرنساوية الراشة فعلا مضراجدا أهلكت منهم أكثر مما هلك من أعدائهم المهاجمين

ولا يخفى أنه مع أن الالمانيين كانوا يتمنعون عن اظهار تأثيرات الفرح الشديد

عند ما كانوا ينتصرون الانتصارات التي لامثيل لها كانوا يجتهدون في أن يظهروا أنه لا أهمية للانتصارات القليلة التي انتصرها الفرنساويون كما أن هؤلاء كانوا يعظمون فوزهم القليل الذي لا يقال أنه ذو أهمية ·

وقد قلنا ان الامبراطور نابوليون قد رجع إلى ميتس بعد هذه المعركة أما الجنرال برواسارد فلما علم بنزول البروسيانيين في قرية بجوار ميتس تدعى جوهان وذلك في الجهة المقابلة نهر السار تحصن بين مدينة سار بروك والنهر ليحمي الاملاك الفرنساوية التى كان يظن أنها كانت تحميه حق الحماية فى تلك الظروف ·

ولم تكن هذه هي المعركة التى أطلقت فيها المدافع الراشة وحدها المرة الاولي ولكنها هي المعركة الاولى التي أطلقت فيها البنادق الفرنساوية المعروفة بالشاصبو وتقابلت مقابلة امتحانية بالبنادق البروسيانية المعروفة ببنادق الابرة والنوعان من أحسن الاسلحة غير انها ثقيلة اما بندقية الابرة فقد تسمت بهذا الاسم لان دفع الكرة منها يكون قطعة من الفولاذ كالابرة وسرعة اطلاقها ثلاثة اضعاف البنادق الاعتيادية التى يصير حشوها من أسفل حديدتها وسرعة بنادق الشاصبو الفرنساوية هي أكثر قليلا من بنادق الابرة غير ان الشاصبو اضيق من الابرة ورصاصها أصغر ولذلك يقدر الجندي ان يحمل من رصاصها أكثر مما يحمل من رصاص بنادق الابرة ويقال انمسافة طلقها أبعد ورصاصها يندفع مستقيما أكثر من رصاص بنادق الابرة والمؤكد أن رصاصتها تنفجر بعد خروجها من فمها ولذلك فعلها اكثر تأثيرا من رصاصة بندقية الابرة وبما أن حديدة بندقية الشاصبو الفرنساوية هي أضيق من حديدة الابرة تتوسخ حالا بوسخ البارود والستيك الذي يدفع الرصاصة يذوب بسرعة ولذلك كثيرا ما كانت بنادق الفرنساويين تتعطل فيتوقفون عن استعمالها إلى أن يتمكنوا من تنظيفها وكذلك كثيرا ما تتعطل ابرة البنادق الالمانية المذكورة فتتعطل كل البندقية وحاصل الكلام ان النوعين هما من الاسلحة القتالة والمهلكة ومع ذلك يطرأ عليهما مايقلل كثيرا نفعهما ولذلك يقول كثير من أصحاب المعرفة في عمل الاسلحة أن البندقيتين المارتين اللتين

ربما كانت دولة انكلترا مصممة على ان تقلدهما لعساكرها هما أحسن بنادق الدنيا

ومع ان الفرنساويين حازوا النصرة في ساربروك يقال ان لوائح الكدر والهم كانت تلوح على وجه الامبراطور نابليون والظاهر انه كان يخطر بباله ما كان يحمله على انتظار حلول الهوان الذي حل به وقد قال كتاب الجرائد ان هذه اللوائح كانت تلوح على وجهه منذ خروجه من باريز الى أن تم الويل والمظنون ان ذلك انما كان لتأثير الاخبار التى تكاد تؤكد انه كان يعرفها لانه يصعب علينا ان نقول بتأكيد انه لم يكن عارفا بان أولئك الوزراء الذين كان يركن اليهم كل الاركان كانوا قد خدعوه وأى خداع فانه كان قد قيل له بتأكيد ان استعدادات جيوشه هي أحسن وان كل مايلزم لها معد بطريق يتكفل لها بالفوز

فلما أتى الحدود كان منتظراً ان يرى جيوشه على الحالة التى قيل له انها عليها غير انه رأى عند فوات الفرصة الممكنة من العدول عن الحرب أو الاصلاح انها لم تكن حسنة الترتيب والنظام وان الفرق لم تجتمع حق الاجتماع وان الضابطين الاولين كانوا يحتاجون الى صفات عسكرية اما الضباط الالمانيون فكانوا يشاركون الانفار العسكرية في اتعابهم وكانوا مثل السيارتيين لا يبالون بالتعب والخدمة اما القواد الفرنساويون فكانوا غائصين في أبحر التنعمات والملذات فامسوا لا يهتمون بشيء بل دأبهم عدم اركان بعضهم الى البعض الآخر واتوا ساحة الحرب بالطباخين والمآكل والمشارب والحشم حتي ان بعضهم استصحب نساء من الفاجرات . ولاعجب اذا لاحت لوائح الكدر على وجه الامبراطور بعد ان رأى ما يأتيه ويأتي بلاده بالويل والهوان والذل والعار

وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر تموز (يوليو) وذلك قبل استلام ساربروك باسبوع ذهبت الامبراطورة اوجيني بصفة وكيلة الامبراطور الى شانبورج حيث كانت العمارة المدرعة البحرية الفرنساوية مستعدة للذهاب الى بحر الباطيك وتلت خطاب الامبراطور للشعب الفرنساوي بين الجماهير المجتمعة للاستماع الذين أظهروا امارات

الاركان للدولة والغيرة عليها و بعد ذلك صار ارسال عمارة حربية وكان يظن الفرنساويون ان هذه القوة البحرية ستأتي باعمال كثيرة نافعة لانه مقرر ان فرنسا أقوى جداً من روسيا في البحر فاقامت هذه المراكب الحربية الحصار على المواني الالمانية الواقعة على الشطوط البلطيكية وطرأ ضرر على تجارة المانيا غير ان هذه العمارة الكبيرة التي كانت تحت قيادة الاميرال بون واليموز لم تقدر ان تحصر غير اسكلتين تجاريتين المانيتين صغيرتين وتمسك بعض مراكب تجارية المانية ولما رأت الدول المحافظة على الحياد مارأت من قلة نفع هذه العمارة القوية تعجبت عجباً تحاكى شدته شدة كدر الفرنساويين لما خابت آمالهم من الحصول على نفع من خدمة هذه القوة البحرية وذلك كخيبة أمل الانكليز في حرب القريم فان روسيا كانت تعرف ان قوتها البحرية هي دون قوة انكلترا فاغرقت بعض مراكبها وسترت البعض الآخر وراء المراكب التي اغرقتها بنوع يمنع الانكليز عن الوصول اليها وكذلك الالمان لم يمكنوا الفرنساويين من ان يصادموهم في البحر ولايخفي انه اذا تمنعت مراكب دولة عن ان تنازل مراكب أعدائها في البحر تقدر هذه المراكب ان تنزل بها ضررا

وبعد انتصار الفرنساويين الغير المهم أتت على قدم السرعة ويلاتهم التى لم تتأخر يوماً واحدا الابعد ان وصل الالمانيون الى تحت أسوار باريز بعد ان استولوا استيلاء مطلقاً على كل الولايات الشمالية الشرقية من فرنسا

— واقعة وايسمبرج وغيرها —

وبعد طلوع شمس اليوم الرابع من آب (اغسطس) أى بعد ان فتح الفرنساويون سار بروك بيومين بينما كانت جنود فرقة الجنرال دوي الفرنساوي مهتمة باعداد الطعام على قمم عالية تدعى جيبورج وهي تبعد ميلا واحدا عن وايسمبورج التي تبعد بضع أميال

للجهة الجنوبية الشرقية عن سار بروك وهي داخلة في الحدود الفرنساوية هاجمتهم بغتة الجنود البروسيانية التى تحت امرة ولي عهد بروسيا وهي المعسكر الثالث

اما مدينة وايسمبرج فمبنية على شاطيء نهر لوتر وهي ذات حصن منيع محصنة بحصون تسمى حصون وايسمبورج وهذه الحصون مبنية على شاطيء اللوتر التي ما للفرنساويين من الاراضي التى داخل الحدود وتتصل بواسطة الطرق الحديدية بحصون هاكينو الفرنساوية و بقلعة لاندو الالمانية في بافيرا اما الاراضي المحيطة بها فهي محروثة حراثة حسنة وذات احراش مرتبة ظريفة وفيها ماء وقرى صغيرة ودساكر وفنادق . ولما طلع الفجر كان الجو ساكنا سكونا جميلا مؤثرا وكان الفرنساويون معسكرين في اعالي جبل يشرف على واد عميق يرى من ينظر منه أطراف الوادي الواسعة وكل علامات السلام والنجاح وكانوا قد أرسلوا في اليوم الذي قبله جواسيس ليقفوا على خبر الاعداء فلم يروا مايقتضي أن يتحذروا منه ولم يكونوا يظنون ان العدو قريب منهم لان ظلام الفجر كان يحجب أعداءهم عنهم و بينما كانوا على تلك الحال رأوا سلام الوادي يتكدر بغتة بسقوط كرات محشوة كثيرة وقتالة في المعسكر الفرنساوي وفي البلدة المجاورة احرقت بيوتا كثيرة من بيوتها حتى قبل ان تمكن الفرنساويون حق التمكن من تقلد أسلحتهم وجدوا جيشا جرارا يهاجمهم قاطعا النهر الضيق القليل الماء من اماكن كثيرة ومسرعا بالتقدم اليهم

اما البلاد الواقعة فى عبر النهر فهي بلاد المانية وفيها احراش كثيرة ملتفة وفيها تجمع الجيش الالماني الذي كانت طليعته قد نزلت في فاندن جانكش في طريق تريفس الحديدية بدون ان يراه الفرنساويون لان اجتماعه كان في الليل وعند طوع الفجر استعد للمهاجمة

اما الفرنساويون الذين كانوا نازلين في مكان مرتفع فبذلوا الجهد ليدافعوا عن مراكزهم غير انهم رأوا بعد ابتداء المعركة بزمان قصير انه لا أمل لهم بذلك لان الاعداء كانوا قد هاجموا مقدمتهم وجناحيهم في وقت واحد وذلك بقوة تفوق كثيرا

قومهم فلذلك تقهقروا حالا اما الفرقة الفرنساوية التى كان يقودها الجنرال دوي التى كانت قدعسكرت في وايسمبورج لتلتقي جيش المرشال مكماهون وهو سائر من ستراسبرج وهي على يسار الخط الفرنساوي لتتمكن من الاجتماع بجنود الجنرال دوفالي في بيتش التى تبعد بضع أميال عن وايسمبرج الي الجهة الشمالية الغربية فكان عددها عشرة آلاف مقاتل اما عدد الجيوش التى كان يقودها ولى عهد بروسيا وهي من الفرقة الخامسة والفرقة الحادية عشر البروسيانيتين والفرقة الثانية البافارية فكان من ٥٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ وربما كان الصحيح ٧٥٠٠٠ وهذا يبين انه لم يكن للفرنساويين أمل بالنجاح والظاهران هذا العمل هو الغلطة الاولى من الاغلاط الكثيرة التى طرأت على ادارة الجيوش الفرنساوية في هذه الحرب وقال قوم ان الامبراطور كان قد أمر المرشال مكماهون ان يسير بجيشه الي الجهة الشمالية ويتقدم في الحدود التى لا يفصلها عن حدود المانيا جبل ولا نهر وهكذا أمسى مكماهون بعيدا عن الجيوش الفرنساوية التى تقدران تسعفه عند ماتمس الحاجة لانه كان عرضة لمهاجمات الالمان ولذلك صار ارسال الجنرال دوي ليحرس مسير الفرق الاربع التي يقودها المرشال مكماهون ويحميها في المكان الذي كان يخاف من أن يغدره العدو فيه والظاهر انه لم يخطر لاحد من القواد الفرنساويين ان الفرقة المرسلة لتحمي فرق مكماهون كانت معرضة نفسها لخطر غدر العدو بها كالفرق التى كانت تفوقها عددا فكانت النتيجة انكسار الفرنساويين في أول معركة كبيرة وتشتيت شمل فرقة كاملة من جيشهم ومع انه لم يكن للفرنساويين غير ثلاثة مدافع ليصادموا بها عدوهم الذي كان معه مدافع كثيرة هجموا هجمة الاسود الضارية على الجيوش المهاجمة لانهم كانوا يعرفون انه لا أمل لهم الا بان يقاتلوا بالسيف والحراب لانه لم يكن لهم من المدافع ما كان يلزمهم للذب عن أنفسهم ونزال جيش عدده يفوق كثيرا عددهم ولما هجموا تركوا وراءهم ما يحمله الجندي على ظهره للقيام باحتياجاته اما البروسيانيون فاضرموا في وجوههم نيران مهلكة ومخيفة

فتكت بهم فتكاً شديدا فالتزموا ان يتقهقروا ويلتجئوا الى بيوت الفلاحين القريبة منهم غيران البروسيانيين طاردوهم وأخذوا منهم هذه المراكز وبعد ذلك اشتد القتال بالسيوف والحراب اشتدادا مخيفاً وقيل ان فرقة (التركو) وهي فرقة من الجنود المنظمة في الجزائر وأكثرها من العرب وبعضها من الهنود وفيها قليلون من الفرنساويين كانت تقاتل قتال الاسود الضارية وتهاجم هجومَ من لايخاف الموت ولايخشي فعل آلات الفناء فكانوا ينقضون على الالمان والكرات المدفعية ورصاص البنادق تنصب عليهم كانصباب البرد ويقاتلونهم بحراب البنادق بدون ان يبالوا بما كان يهلك صفوفاً كاملة من صفوفهم دفعة واحدة وقد قاتلت كل الفرقة قتالا يستحق المدح وثبتت ثباتا يليق بالجنود الفرنساوية وفي الأثناء وصلت الى ساحة القتال فرقة أتت في المركبات البخارية غير انها لم تعرف بشبوب نيران الحرب هناك الاعند ماوصلت الى المعركة فنزلت هذه الجنود بسرعة لامزيد عليها من مركباتها وهجمت على الاعداء لمساعدة رفاقها ودخلت في معمعة القتال خائضة في بحيرة من النار المضطرمة على ان كل ماأظهروه من البسالة والشجاعة كان عبثاً لان قوة مدافع عدوهم كانت أكثر جدا من قوة مدافعهم وعدد عساكره أكثر كثيرا من عساكرهم فدامت الحال على هذا المنوال الى الظهر فقتل الجنرال دوي وجرح الجنرال مونتادي وغيرهما كثيرون من الضباط والقواد جراحات بليغة وتأكد الفرنساويون عند ذلك ان النصر لاعدائهم ومع ذلك لم يسلموا وفي الساعة الثانية بعد الظهر تأكدوا ان المدافعة تأتيهم جميعا بالهلاك فأخذوا يولون الادبار هاربين الى الاحراش الواقعة وراء وايسمبورج تاركين في ساحة القتال خيامهم ومدافعهم ومهماتهم وجرحاهم وزادهم وقد قيل انه عندما كانت نيران المعركة شديدة الشبوب أخذت فرقة التركو (العرب من الجزائر) ثمانية مدافع من الالمانيين ولم يتمكنوا من ذلك الابهلاك كثيرين منهم ومن الاعداء الذين كانوا يصادمونهم غير ان فرقة من الفرسان البروسيانيين المدعوين هوسارز استرجعوها بعد

ذلك وهلاك نصفهم في الهجوم لاستردادها

ولا يخفى ان الالمانيين أنفسهم يقولون ان هؤلاء الفرنساويين أظهروا من الشجاعة والبسالة والثبات ما يستحق كل المدح لانهم كانوا خمس مرار أقل منهم فكان الجندي يقاتل خمسة وثبتوا في النزال ساعات كثيرة في ظروف رديئة جدا أخطأ الذين وضعوهم فيها أما الذين سلموا من الفرقة الرابعة والسبعين الفرنساوية فكانوا أربعة عشر رجلا فأصروا على عدم التسليم ولو لم يهجم عليهم البروسيانيون ويغلبوهم بكثرة العدد ويمسكوهم لثبتوا الى أن قتلوا عن آخرهم

ولا ريب ان الجنرال دوي قتل بكرة محشوة على انه لما كانت البسالة والشجاعة ومحبة الوطن مما يتحلى به القواد الفرنساويون الشديد والتهييج ربما كان قد أهلك نفسه ضحية وطنه المحبوب عنده عند مارأى ان الدائرة ستدور عليه ورأوه عند الظهر بعد ماخاب أمله من الفوز واقفا في مكان عال معرضاً نفسه لنيران العدو وكان ينظر الى اجتهاد عساكره الاخيرة النشيطة وبعد ذلك أخذ ينحدر في احد ورقائداً حصانه ثم بلغ الضباط أوامره ثم أطلق غدارته على حصانه وقتله وبعد ذلك أخذ يصعد على تل مقابل لذلك الاحدور وسار الى جهة الاعداء فسأله بعض عساكره قائلين الى أين تذهب فاجابهم انني ذاهب الى الالمانيين وسار مسيرا زميلا الى ان اصابته الكرة المذكورة وقتلته حالا

وفي المساء التجأ أكثر الجنود الفرنساويين الذين انهزموا الى قلعة هاكينو وكان منظرها في الساعة الثامنة افرنجية بعد الغروب محزنا ومكدرا جدا فان أهالي القرى المجاورة رجالا ونساء وأولادا كانوا قد التجأوا الى هذه القلعة خوفا من ان يأتيهم البروسيانيون لانهم كانوا قد سمعوا بالويل الذي كان قد طرأ على جنود بلادهم فأتوا بمركبات فيها أثاث بيوتهم وفرشهم وزادهم ونزلوا في الشوارع تحت الاشجار وكان كثيرون منهم ينوحون نوحا شديدا لانهم كانوا معتقدين ان بيوتهم قد أمست رمادا

وكان يأتي معهم وو راءهم الجنود الفرنساويون المنهزمون الذين كانوا يصلون الى بلدة القلعة وقد أضنكهم التعب والجوع وكانت أرجلهم مهشمة من المسير فان كثيرين منهم كانوا قد أقاموا ٢٤ ساعة بدون ان يأكلوا شيئاً لان العدو هاجمهم وهم يهيئون أكل الصباح وكانوا جميعا يقصون خبرا واحدا مكدرا فانهم كانوا قد قاتلوا حتى كلوا من القتال ولو كانوا عشرين ألف جندي لاخبروا بما لم يقدروا ان يخبروا به حينئذ لان كثرة جيش أعدائهم طرحتهم في الويل ومنهم من كان حاملا سيفا من سيوف ضباطهم الذين قتلوا أوغدارات من غداراتهم وكانوا يقبلونها ويبكون فقدان أصحابها أوفقدان رفيق محبوب وكانت المركبات تأتي المدينة في الليل وفيها الجرحى الكثيرون الذين كانوا قد جرحوا في تلك المعركة فكانوا يأتون بهم الى المستشفيات وكانت بنات الرحمة يركضن في الشوارع من مكان الى مكان طالبات الاسعاف لمداواة المجروحين وبعد ذلك بزمان قصير ضربت الطبول لجمع رجال المطافئ الذين من أعمالهم اطفاء النيران عند ماتشب في البيوت ليذهبوا ويأتوا بالجرحى الذين خارت قواهم قبل ان وصلوا الى المدينة فسقطوا في الطريق ليدفنوا الذين ماتوا منهم وقد قيل انه قتل من الفرنساويين وجرح ثلاثة آلاف جندي وهم نحو ثلث كل الجيش الفرنساوى الذي حارب في ذلك المكان أما عدد قتلى الالمانيين وجرحاهم فلم يصر تقريره غير انه قد قيل انه كان كثيراً فانه قتل وجرح من الضباط البروسيانيين خلا بقية ضباط الالمان ١٨٥ ضابطاً

أما البروسيانيون فهاجموا جسبرج بثبات عجيب وبسالة لامزيد عليها فانهم هجموا صاعدين على التل والفرنساويون يطلقون عليهم نيران مهلكة بدون ان يطلقوا هم بندقية واحدة مع ان كثيرين منهم كانوا يقعون وهم سائرون مجروحين جراحات مهلكة ولما بلغوا قمة التل هجموا على الفرنساويين بالسيوف والحراب وكانوا يجندلونهم بقوتهم وثقل أجسادهم وهذا هو الذي كان يجعل الفرنساويين يخافون أن يقاتلوا الجنود

الانكليزية بضرب السيف وطعن الحراب في المعارك القديمة واذا عرفنا ان ثقل أجساد ثلاثة رجال فرنساويين هو ثقل رجلين المانيين نقول انه لاعجب من انتصار الالمان على الفرنساويين في معركة كان عددهم أقل كثيرا من عدد الالمان وكان القتال بالحراب والسيوف والمهاجمون أقوى منهم وأكبر أجسادا وقد تحقق ذلك في مستشفيات الالمان الذين وزنوا جنودا فرنساوية وألمانية ووجدوا ان الفرق هو الثلث لانه لايخفى ان كبر الجسم وثقله لايسعفان صاحبهما اذا أقيم القتال باطلاق الاسلحة عن بعد ولكن اذا اشتبك المتقاتلون وتطاعنوا بالحراب وتضاربوا بالسيوف يكون لهما مفعول وأي مفعول

هذا وقد قرر الالمان في تقريراتهم الرسمية انهم أسروا أكثر من خمسمائة جندي من الجنود الفرنساويين الغير المجروحين وان أكثرهم من (التركو) وانهم أخذوا مدفعا فرنساويا وقد قال الفرنساويون انهم تمكنوا من أخذ هذا المدفع بسبب قتل الحصان الذي كان يجر مركبته وبعد هذه المعركة فر الفرنساويون الى جهة قلعة بيتش والظاهر ان الالمان لم يطاردوهم مسافة طويلة ولو أطالوا طرادهم لاسروا منهم كثيرين وعند ذلك عبر بعض الجنود البافارية النهر عند لوتربرك وحاولوا ان يسدوا على الفرنساويين المتقهقرين مذاهب الفرار غير ان مسير المنهزمين كان سريعاً فلم يتمكنوا من تنفيذ مقصدهم وعلى الخصوص لانه لم يكن مع ولي عهد بروسيا فرقتا اللتان من الفرسان البروسيانيين ولذلك كان لايقدر ان يتبع المكسورين

أما الجنود البافارية التى عبرت نهر اللوتر فتجسست البلاد لجهة سالتز وأخذت ثلاثين قاربا وجدتها عند شاطئ النهر فركبتها وعبرت الى الجهة الالمانية بسلام

ومع ان الفرنساويين انهزموا فى معركة وايسمبرج هزيمة أتتهم بخيبة الامل والخجل فانها لم تأتهم بخسائر لايقدرون ان يعوضوها لان الجيش الذي انهزم فيها كان جيشاً واحدا من جيوشهم الكثيرة هزمته كثرة الجيوش التى هاجمته واذا قابلناويلها بويلات المعارك التى حدثت بعدها بمدة قصيرة نرى انه كان خفيفاً

ولما سمع المارشال مكماهون الفرنساوي بانكسار الفرنساويين في معركة وايسمبرج وبقتل الجنرال دوي سار بجيشه الى ريتشيوم عند حضيض جبال الفوج فاجتمعت اليه حالا بقية الجيش المنهزم فقالت له ان الجيوش الالمانية التي كانت آتية من وايسمبرج هي كثيرة جدا حتى انه لايقدر ان يفوز اذا صادمها بالجيش الذى كان معه وربما كان الذي حملها على تبليغه ذلك خيبة أملها أوخوفها الناشيء عما صادفته في تلك المعركة التى لو ثبتت فيها أمام العدو لفعلت فعل المجانين وطرحت نفسها فى الهلاك غير ان المارشال مكماهون كان يركن الى نفسه واقتداره وكان يفتخر بانتصاراته الكثيرة في الجزائر وفوزه العظيم في حروب كثيرة مجيدة في أوربا ولذلك لم يكن من الذين يصغون الى أقوال كهذه الاقوال مصدرها الخوف وخيبة الامل أما عدد جنود جيشه فلم يكن أكثر من خمسين ألفا وربما كان أقل من ذلك وقد قال في تقريره عن هذه المعركة ان عدده كان ٣٥ ألفا واذا قلنا ان عدده كان خمسين ألفا نرى انه كان أقل كثيرا من عدد جيش ولي عهد بروسيا فنزل المارشال المذكور بجيشه فى مركز حسن جدا يبعد نحو أربعة فراسخ الى الجهة الجنوبية الغربية من وايسمبرج وصف جيشه بهيئة نصف دائرة كان جناحه الايمن ممتدا بجانب الطريق الحديدية الممتدة على شاطيء نهر الرين الى ستراسبرج وكان وسطه على التلال مقابل قرية ريتشيو وكان جناحه الايسر محميا بالحرش وراء القرية المذكورة وبالقرب من الطريق الحديدية التي تنفصل عن الطريق الاصلية التي تأخذ الى هاكينو وتقطع جبال الفوج في طريق بيتش وأقام هنالك ينتظر هجمات العدو بدون خوف واذا راجع المطالع رسوم أماكن الحرب يرى هذه الاماكن

أماولاية الالزاس التي أقيمت فيها هذه المعارك فهي من أجمل الولايات الفرنساوية فان فيها جبالا واحراشا وأودية بهجة وأنهرا كثيرة وكان المكان الذي أقام فيه مكماهون وجيشه يحاكي في المنظر المكان الذي كان فيه جيش فرنسا في وايسمبرج

وفي ٥ آب (أغسطس) سار ولي عهد ملك بروسيا بجيشه الجرار سرا الى الجهة الجنوبية الغربية من وايسمبرج وفي مساء ذلك النهار وصل الى القرب من جيش مكماهون وقد ذكر في تقريرات الالمانيين ان عدد جيشه كان ١٣٠ ألفا فانه أتته نجدة كبيرة بعد معركة وايسمبرج ومع ان عدد جيشه كان أكثر من ضعف عدد جيش مكماهون لم يكن راغبا فى مهاجمته قبل وصول جيش الفرسان وغيره من العساكر التي كانت آتية لنجدة عساكره لان مركز الفرنساويين كان حسناً جدا غير انه حدثت معركة صغيرة بين الالمان وطليعة جيش فرنسا حملت قواد الفريقين على ان يترصدوا حدوث معركة عمومية ففي الساعة السابعة افرنجية من صباح اليوم السادس من آب (أغسطس) ابتدأت المعركة العمومية وكان ابتداؤها باطلاق مدافع أطلقتها فرقتان من الجنود البافارية وفرقة من جنود ورتمبرج من تلال كورسدروف فهاجمت هذه العساكر الفرقة الاولى والثالثة من عساكر الفرنساويين أما المارشال مكماهون فكان يخاف ان تقام مهاجمة يخسر بها جيشه مركزه ولذلك غير هيئة صفوف جيشه وبعد ان كانت كنصف دائرة صارت خطا مستقيما

فلما رأى الالمانيون ان مهاجمتهم لجناح الجيش الفرنساوي اليساري قد ذهبت بتدبير المارشال مكماهون سدى هاجموا وسط الجيش غير انهم ارتدوا بعد ان قتل كثيرون منهم وكان الفرنساويون يصادمون صداما غريبا ويدافعون دفاعا عجيبا حتى انه عند الظهر كان يظن ان النصر لهم غير انه بعد الظهر ببرهة قصيرة هجمت الفرقة البروسيانية الحادية عشرة على جناح الجيش الفرنساوي الايمن هجوما يزعزع الجبال الرواسخ وكان يسعفها ستون مدفعا موضوعة على قمم تلال كنستل وتبين من تلك الساعة ان الفرنساويين لايقدرون ان يثبتوا أمام أعدائهم مع انهم قاتلوا قتال الاسود وأقاموا نضالا مهلكا . أما الفرسان الفرنساويون المدرعون فكانوا عازمين على اجراء كل مايقدر بشران يجريه ليفوزوا وينتصروا بعد ان رأوا ان النصر انما

هو لاعدأيهم وقد قال مكاتب جريدة انكليزية ان ضباط فرق الفرسان الفرنساويين أتوا وودعوا المارشال مكماهون قبل ان هجموا على الاعداء وداعا نهائيا لانهم كانوا عارفين انهم سائرون الى الموت الاحمر فنجا قليلون منهم وقتل ثلثة أرباع أكثر فرقهم وأخذ جناح الجيش الفرنساوي الايمن يرتد تحت حماية الجناح الايسر الذي لم يقتل منه قدر ماقتل من الجناح الايمن وكان لايزال في مراكزه في فورشولار ور يشوفن وقام الجناح الايسر بواجبات الحماية الصعبة قياما يستحق كل المدح فتمكن وسط الجيش من الرجوع بدون ان يقتل كثيرون منه

بعد ذلك بمدة قصيرة أخذت الجنود الفرنساوية تلقي أسلحتها وتفر الى الجهة الجنوبية وهذه نتيجة الخوف الذي كثيرا ما يخامر ابسل الجنود ويحملهم على التقهقر بغير انتظام وساروا عن طريق هاجينو فوصل ثلثة آلاف منهم الى ستراسبرج وكانوا تعبين تعبا لامزيد عليه وعند ماتم اجتماعهم انضموا الى الجيوش التي كانت تحافظ على قلعة ستراسبرج والظاهر ان ماطرأ على هؤلاء الجيوش من الخوف طرأ على بقية الجيش الفرنساوي الذي كان تحت قيادة المرشال مكماهون فأخذ الجنود في القاء بنادقهم والفرار مع ان قوادهم كانوا يفرغون الجهد في ان يحملوهم على حفظ الترتيب وهكذا أمسى أعوان المرشال مكماهون وحدهم بعد ان هجرتهم الجنود فهلك أكثرهم حتى ان المرشال نفسه لم يتمكن من الوصول الى سافرن الا في مساء غد يوم المعركة فوصل متعباً كل التعب لانه كان قد سار سيراً سريعاً في طرق الجبال وبقي ١٥ ساعة بدون ان ينزل عن جواده

— اسباب الفشل ونتائجه —

وقد قال المرشال مكماهون ان لانكسار جيشه سببين الاول فراغ مهمات جيشه في الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم المعركة والثاني عدم وصول النجدة التي كان منتظرا وصولها لان السكة الحديدية التي كانت بين ستراسبرج وميدان الحرب أمست في يد البروسيانيين الذين انتصروا في وايسمبرج ولولا وصول فرقة الجنرال دوفالي الى ساحة الحرب وتمكنها من ان تسعف المرشال مكماهون في حماية جيشه وهو متقهقر لتكبد الفرنساويون خسارة تفوق الخسارة التي تكبدوها

أما خسائر الفريقين المتحاربين في هذه المعركة العظيمة الثانية فكانت كثيرة واسم هذه الموقعة معركة ورث ولم يعلن الالمانيون عدد الذين قتلوا منهم فيها أما الفرنساويون فلما وصلوا الى ستراسبرج وجدوا ان المفقودين من الجيش مع الخمسة أو الستة آلاف أسير الذين أسرهم الالمانيون هم ٢٤ ألفا غير ان بعض هؤلاء وصلوا الى ستراسبرج بعد المعركة ببضع أيام وهم الذين تاهوا في الاحراش وأخذ الالمانيون رايتين فرنساويتين وستة مدافع وثلثين مدفعاً رشاشاً عاديا

وفي اليوم الثاني نشر المرشال مكماهون اعلانا على جنوده مآله انه ولئن كان الفرنساويون قد انغلبوا في المعركتين الاوليين مع انهم كانوا مؤملين ان النصر يكون لهم في كل هذه الحرب فهم لايزالون مؤملين في تعويض ماخسروه بالاجتهاد والثبات ومايأتي هو ترجمة الاعلان المذكور:

ياأيها الجنود . ان حوادث الحرب أتتكم بخيبة الامل في ٦ آب (أغسطس) غير انكم لم تخسروا مراكزكم الا بعد ان دافعتم عنها دفاع الابطال تسع ساعات والذي غلبكم كثرة عدد أعدائكم لان عددكم ٣٥ ألفا وعددهم ٤٠ ألفا فالغلبة التي تأتي بها الظروف التي أتتكم بالكسر هي غلبة مجيدة وسيقر المؤرخون ان الفرنساويين



المارشال مكماهون

هو ثانى رئيس للجمهورية الفرنساوية بعد المسيو تييرس للرئاسة ولد سنه ١٨٠٨ وانتخب في ٢٤ ايار (مايو) سنه ١٨٧٣ وتنازل عنها في ٣٠ كانون الثانى (يناير) سنه ١٨٧٩ وتوفى سنه ١٨٩٣

في معركة كروشولاراي ورث قاتلوا ببسالة تفوق بسالة أعدائهم وان خسارتكم هي كثيرة على ان خسائر العدوا كثر منها ولم يتبعوكم لانكم أوجعتموهم والامبراطور محظوظ منكم وكل البلاد تشكركم لانكم دافعتم عن رايتنا ذلك الدفاع المجيد . هذا ومن اللازم ان تنسوا الويلات التي طرأت علينا لانه سيصير تنظيم الجيش الاول والمأمول اننا سنقوم بعون الله بحق انتقام مجيد (الامضا) مكماهون

هذا ولايخفى انه من اللازم ان يصير سبل ذيل المعذرة على اعلان قصد صاحبه ان ينشط جيشاً مكسوراً لانه ولئن كان لاريب في ان عدد الجيوش الالمانية كان أكثر من عدد الجيوش الفرنساوية فالمظنون ان المرشال مكماهون لم يقرر العدد الصحيح أما الجيش الفرنساوي فدافع دفاعا يليق به غيران فراره كان فرار جيش شديد الخوف مع ان المرشال نفسه قد قال ان العدو لم يطارده

أما الامة الفرنساوية فلم تقم بحق الشكر الواجب لاولئك الجنود الذين دافعوا عن رايتها دفاع الابطال ومع انهم قالوا ان الجنود حاربوا ببسالة كانوا يقولون ان الخيانة أتت الجيش بذلك الويل والظاهر ان الامة كانت تترصد حلول ما حل بها فكانت تظن ان الخيانة قد خامرت كل القواد من الامبراطور الى الذين هم دونه وهكذا أمست كل البلاد في اضطراب وارتباك مع ان دوي وهو غيرالذي قتل وكانر وبرووبازين ولارول كانوا يقودون ٢١ فرقة من المشاة و٨ من الفرسان خلا جيش الحرس الامبراطورى وكل هؤلاء القواد هم من أهل الحذق والشهرة والنشاط وكانوا لايزالون حاصلين على كل قوتهم لانهم لم يكونوا قد أقاموا الحروب في هذه المرة وهذا يبين ان ارتباك الفرنساويين وخوفهم كان في غير محله غير ان تعودهم الانتصار الدائم حملهم على الخوف واليأس عند مارأوا انهم انكسروا في معركتين حتى ان نتيجة رسالة الامبراطور التى بعث بها الى الامبراطورة كانت غير النتيجة التي كان قاصداً ان تنتج عنها فانه قال اننا ربما كنا قادرين ان نعوض كل ماخسرناه وهذه العبارة زادت

قلق الفرنساويين وخوفهم ولايخفى ان الفرنساويين يحبون النجاح محبة ليس فوقها الا العبادة ولا يعذرون الذي لايتمكن من النجاح ويمسي في الفشل ولذلك نقول انه لو نجح الامبراطور نابوليون لرفعوه الى درجة ليس فوقها الا درجة الالوهية ومع انهم كانوا يعتقدون ان المرشال مكماهون هو من القواد الذين لا يغلبون باتوا بعد هذه الغلبة لايركنون اليه وذلك لانه لم يقدر ان يغلب جيشاً عدده ضعف عدد جيشه

هذا ولايخفى ان اسم المرشال المذكور يبين أصله الايرلاندى غير ان أجداده سكنوا فرنسا قبل ولادته بقرون كثيرة وقد حاز الشهرة في الحروب التي أقامها في الجزائر وقد قال قوم من الذين يعرفون فنون الحرب وأبوابه حق المعرفة ان حروب أهل الجزائر لاتعلم القائد ان يحسن محاربة جيوش اوربية منظمة حق النظام لان معاركها يلزم لها قواد من أهل الشجاعة والاقدام لانها غير منظمة

غير ان المرشال مكماهون كان قد اقام القتال قياماً ممدوحاً في حرب القرم وكان حينئذ من الجنرالية العموميين واسعف بجيشه في فتح حصن مالاكوف وبعد ذلك اشتهر كل الشهرة في حروب ايطاليا سنة ١٨٥٩ وتبين انه من أحذق قواد هذا القرن ولذلك كان يركن القوم اليه كل الاركان اما انكساره في هذه المعركة فهو من نتائج الاغلاط الكثيرة التى ارتكبها القواد الفرنساويون في هذه الحرب فانه اقيم في مركز لايمكنه من الرجوع بانتظام وحماية ولا من الثبات الى وصول النجدة اليه ولذلك كان يهون على جيش عدده ضعف عدده ان يتغلب عليه

هذا ويسهل على المطالع ان يعرف من ملاحظة الظروف والاحوال قدر الكدر والغم والقلق الذي خامر الامبراطورة اوجينى زوجة الامبراطور نابوليون عندما قرأت رسالة زوجها البرقية التى بعث بها اليها من ستراسبرج عن الخسائر التى طرأت على جيشه وفيها مايبين ان كاتبها يكاد يمسي في يأس وحسبنا برهاناً الجملة الاتية المقررة فيها وهي « لقد صادفنا رزايا غير انار بما كنا قادرين ان نرد ماخسرناه » فان الامبراطور كان

عارفاً عند ما كتب هذه الرسالة انه قد دارت الدوائر عليه ولا يخفى انه ربما كانت الدوائر تدور على أعدائه لو كانت تبليغات وزرائه عن قوة فرنسا صحيحة وعلى الخصوص تبليغات وزيره الاول المسيو وليفيه الذي قال له انه داخل في الحرب بقلب خفيف اي بدون ان يكون خائفاً من سوء العواقب وكان الامبراطور يركن الى هذا الوزير أكثر مما كان يركن الى جميع وزرائه ومعلوم ان خبر انكسار الفرنساويين في المعركتين المذكورتين وتلك الرسالة البرقية المكدرة أظهرا للامبراطورة سقوط عائلة مالكة كانت مؤملة ان حكمها يكون مخلداً بواسطة ابنها ومع ذلك لم تقصر عن القيام بحق الواجبات المهمة التي حملها اياها زوجها والمحافظة على المركز الذي كانت فيه حتى رأت في نهاية الامر انه لا مفر من الاعتزال وان امرأة ضعيفة بدون عضد ومساعد لا تقدر ان تحفظ ذلك المركز في تلك الظروف ولو كانت ذات نشاط وهمة وعلى الخصوص بعد ان حفظته أياما كثيرة بعد ان طلب الفرار أولئك الوزراء الشديدو الاصوات والضعيفو القلوب خوفاً من انتقام الامة التي خدعوها وخانوها هي وامبراطورها ولذلك هربت الى انكلترا هذا ولا حاجة لذكر تفاصيل هذه الامور قبل الوصول اليها ولذلك كان من اللازم ان نرجع الى الكلام في ما حل بالجيوش الفرنساوية في وايسمبرج وورث من المصائب فنقول :

— معركة فورباش وغيرها —

انه بينما كانت الرزايا تحل في المكانين المذكورين كان يحدث في مكان لا يبعد عنها الا بضع اميال ما كان يزيد تلك الرزايا فانه بعد ان فتح الفرنساويون سار بروك في ٢ آب (اغسطس) أقام الجنرال فرواسار الفرنساوي بالجيش الثاني وعدده من ٢٨ الى ٣٠ ألفاً في التلال المشرفة على المدينة المذكورة وبقي فيها الى مساء اليوم الخامس

من الشهر المذكور وكان معه ٧٢ مدفعاً وكان الامبراطور يخاف ان العدو يهاجمهم بغتة كما هاجمهم في وايسمبرج وكسرهم فامر الجنرال فروا سار أن يذهب بجيشه الى تلال اسبشرن التى تقابل تلال ساربروك ولكنها أحسن منها لانها مشرفة أكثر والاراضي المحيطة بهذه التلال هي ذات احراش وفيها تلال ووهاد كثيرة حتى انه كان يظن ان مراكز الجيش الفرنساوي في التلال المذكورة لاتؤخذ ومع ذلك سار الالمانيون في ٦ آب (اغسطس) في السهل الذي تشرف عليه قمم هذه التلال فيوسط وقوع كرات الفرنساويين المحشوة والغير المحشوة وكان سقوط رصاصهم كالغيث المنهمل وكان قد أتى الجنرال فرواسار الفرنساوي نجدة من جيش المرشال بازين فاصبح عدد جيشه ٤٠ ألفاً فابتدأ الالمان فيمهاجمة هذا الجيش باربع فرق وكان عددها أقل من عدد جيش الفرنساويين غير انه وردت اليهم نجدات كثيرات حتى أمسى عدد الفرنساويين دون عددهم قبل نهاية القتال ويسمون هذه المعركة (معركة فورباش) وهو اسم قرية تبعد عنساربروك نحو ستةأميال وعن قرية اسبشرن وتلالها ثلاثة أميال ونصف ميل

وهكذا كان القتال متشباً في ورث وقتال آخر أضيق دائرة منه ولكنه كثير الاهمية متشباً فيهذا المكان الذي لايبعد عن ورث أكثر كثيراً من مسافة رمية كرة من كرات المدافع القوية واجتهد البروسيانيون فيذلك اليوم مراراً كثيرة في ان يستلموا مراكز الفرنساويين ولكن بدون نتيجة ومع انهم كانوا يقاتلون يبسالة لامزيد عليها كانوا يتقهقرون بارتباك واضطراب و بعد ان انتشب القتال زماناً طويلاً تمكنوا بحذقهم من ان ينتهزوا فرصةحسنة مكنتهم منهاحركة أقامها الجيش الفرنساوي وذهبت به الى جهة (فور باش) ولم يكن الالمان منتظرين الحصول على ذلك فانه مكنهم من الاستيلاء على التلال وان يردوا جناح الفرنساويين الايسر بهجمة شديدة ونتيجةذلك كانت قطع الفرنساويين عن الطريق الاصلية التي تأخذ الى ميتس وهى التي كانت

في أيدي الالمان فلما رأى الفرنساويون أنهم انغلبوا في مركز كانوا يظنون انه مامن أحد يقدر ان يخرجهم منه تقهقروا بسرعة الى الجهة الجنوبية واتوامتيس بقطع طريق طويلة وهم مضطربون وخائفون ودامت هذه المعركة من أول النهار الى ان خيم الظلام ولم يطارد الالمان أعداءهم والظاهر انهم لم يكونوا عارفين حسن مراكزهم هذا ولا نعرف ماذا كان يحمل الالمان على التمنع عن مطاردة الفرنساويين عند ما كانوا يكسرونهم في ابتداء الامر مع انهم كانوا قادرين ان يجنوا فائدة بالمطاردة من انتصاراتهم التى كانوا يحصلون عليها بالعناء الشديد

فكان كثيرون من أعدائهم يتمكنون من النجاة من الاسر وكان الالمان يقولون ان سبب ذلك انما هو عدم وجود عدد كاف من الفرسان معهم وأرسل الفرنساويون في ميتس جيش الحرس الامبراطوري لنجدة جيش فرواسار وذلك بعد ان ابتدأ القتال غير انه لم يصل في الوقت المناسب ولذلك لم يقدر ان ينفع الجيش المتقهقر فاسر الالمان من الفرنساويين نحو ألفي جندي اما عدد القتلى والجرحى فليس أقل من ضعف عدد الاسرى وقد قاتلت جيوش الفريقين في هذه المعركة الدموية قتالاً يليق بابسل الابطال وأشجعهم حتى ان الفرقة ٧٦ و ٧٧ من المشاة الفرنساويين والفرقة ٣ من جيوش الشاشورايه أي الصيادين المشاة الفرنساويين كانت تكاد تفني كلها ومع اننا لا نعرف حق المعرفة عدد جرحى الالمان وقتلاهم نظن انه لم يكن أقل من عدد قتلى الفرنساويين وجرحاهم

— تطرق الخلل على الجيش الفرنساوي —

وفي هذه المرة هاجم الالمان الفرنساويين بغتة فانهم عند ابتداء القتال كان سلاح المشاة منهم منزوعاً عنهم وكانوا مشتغلين بالطبخ وبتنظيف آنيتهم أو كانوا متكئين طلباً للراحة وكذلك كانت عساكر المدافع غير مستعدة وقبل ان سمعوا

دمدمة المدفع الالماني الاول بدقائق قليلة لم يكونوا يظنون ان في القرب منهم عدوًّا واحداً ونتيجة هجوم العدو عليهم بغتة ارتباكهم كما ارتبكوا في وايسمبرج غيرانا لانقدر ان نعذرهم في تقصيراتهم بعد أن عذرناهم مرة واحدة وهكذا أمست جيوش فرنسا بعد هاتين المعركتين اللتين أقيمتا في ٤ آب (اغسطس) في اسوأحال وقد أتت خيبة الامل عساكر فرنسا بأكدار لا مزيد عليها وهذا حمل الجنود على أن تقول مشتكية انه ليس لهامن القواد من بهم الاهلية للقيام بالحروب المنتشبة ولذلك كانت كل العساكر تقول لقد فعلنا كل ما يقدر الانسان أن يفعله وقد صببنا دمنا كما يصب الماء وهكذا قد قام الجنود الفرنساويون بمقتضيات صيتهم وناموسهم غير أننا أمسينا ضحية لأولئك الذين من واجباتهم أن يقودونا فبتنا مخدوعين ومخونين ومنذ هذه الساعة وقع الخلل في نظام الجيش وقل اعتبارهم لقوادهم حتى ان ما كان يري من ذلك قبل الحرب كان يمتد بعد هذه المعارك امتداداً مخلا ومكدراً وكان الجميع خلا الفرنساويين يعتقدون أنه قد انقطع أمل النجاح .

وبعد معركة (فور باش) وانكسار أعظم قواد الفرنساويين أي القائد الذي كانت تركن اليه الأمة أكثر مما كانت تركن على بقية القوادبات الفرنساويون لا يركنون إلى أنفسهم ولا يركن بعضهم إلى البعض الآخر ولا إلى حكامهم ولا قوادهم وقد قال الدكتور روسل في وصف جنود الجيش الفرنساوي المتقهقر الذي كان يمر في قرية قريبة من ساحة الحرب وفي الكلام عن الأهالي أنفسهم ما يأتي :

اني لم اري منظراً محزناً ومكدراً كهذا المنظر وأتوسل الى الله أن لا يريني إياه مرة ثانية فكان مرأى الجنود يحمل الانسان على أن يشفق عليهم فانهم كانوا يأتون أفواجاً افواجاً وكانت ثيابهم مقطعة ووسخة وكانت لوائح اليأس وخيبة الأمل تلوح على وجوههم أما أهالي القرية فكانوا في اضطراب وارتباك وخوف وشقاء وعناء لا مزيد عليها فانهم رأوا حالاً الشقاء الذي كان مزمعاً أن يحل بهم فكنت أرى أمهات فاقدات

أولادهن و يفتشن عليهن صارخات ومبديات من الحركات ما ينتج عن الحزن الشديد والخوف المقلق وشيوخا وشيخات سائرين في الليل حاملين بعض مقتنياتهم ومرتجفين الارتجاف الذي ينتج من الضعف وكانوا صامتين صمت الذين يطرأ عليهم الحزن وهم في الشيوخة وأولاداً صغاراً من الذين لم يكونوا يعرفون حقائق الوقائع يخرجون قايدين هراً أو كلباً صغيرا وغير ذلك مما يحبه الاولاد ويسيرون على غير هدى بدون أن يظفروا بمن يقدر أن يسعفهم وأزواجا كثيرين يساعدون زوجاتهم حاملين أطفالهم ومنهم من كان حاملا طفلين أوثلاثة و يجتهد في أن يشدد عزائم عائلته بالملاطفة والتعزية وكانت أصوات اليأس والخوف ترتفع من الأحراش المجاورة مع الصلاة للمخلص وللعذراء والقلم لا يقدر أن يقوم بحق وصف تلك المصائب والرزايا التي حلت بأولئك الجنود والأهالي ٠

وفي يوم الأحد الواقع في ٧ آب (أغسطس) وذلك بعد المعركة بيوم أرسل الامبراطور نابوليون خمس رسالات برقية إلى باريز وما يأتي هو ترجمة الرسالة الاولى:
قد أخبرني الجنرال جل ان المارشال مكماهون قد انغلب في معركة كان عدد جيوش الاعداء فيها أكثر جداً من عدد جيشه غير أنه تقهقر بانتظام وفي الجهة الثانية وهي جهة اليسار انتشب القتال الساعة الاولى وفي أول الامر لم يتبين أنها ذات أهمية غير أنه كثرت أهميتها شيئاً فشيئاً فان عدد الاعداء كان يكثر رويداً رويداً بدون أن يلزم الفرقة الثانية أن تتقهقر وعند الساعة السادسة بعد الظهر تكاثر عدد الاعداء كثيراً فالتزمت الفرقة الثانية والفرق التي كانت تعضدها أن ترجع عن التلال وان الليل قد مر ونحن في سكينة أما أنا فذاهب لاكون في وسط المراكز (الامضاء) نابوليون

والرسالة الأخرى هي بهذا الشأن وقد قال في رسالة من رسالاته الاخيرة ما يأتي:
يقتضي أن تجهد باريز وفرنسا أنفسهما جهداً مبنياً على حب الوطن ٠ أما نحن فلم نخسر سعة صدرنا ولا أركاننا غير ان التجربة هي تجربة شديدة ٠ انتهى

والظاهر أن ذلك الامبراطور المتفكر الذي يحكم في الأمور بالتأني والصبر رأى سوء عواقب تلك الحوادث ولذلك قال ان التجربة شديدة ولم يسقه إلى ما انساق اليه غير سوء ادارة وزرائه وبعد انتصار الفرنساويين الصغير في ساربروك بأيام قليلة انتشب القتال بين المتحاربين في معركتين وأسر ألوف من الفرنساويين وقتل كثيرون وأمسى جيشان منهما مشتتين وذلك قبل أن يمضي شهر من الزمان الذي كنا نسمع فيه الفرنساويين يصرخون قائلين: « هيا بنا الى برلين ! هيا بنا الى برلين » ومنذ الوقت الذي كان الفرنساويون يتكلمون فيه كلاماً يبين أنهم مزمعون أن ينتصروا بدون أن يجهدوا أنفسهم وقبل مضي ذلك الشهر شرع أهالي باريز في أن يستعدوا ليدافعوا عن عاصمتهم خائفين من أن يروا عند أسوارها ذلك العدو الذي كانوا يتظاهرون أنهم لا يبالون به

والظاهر انه بعد انكسار المارشال مكماهون قطع القواد الفرنساويون الأمل من التمكن من ارجاع نظام الجيش وتعويض ماخسروه بحسن الادارة والترتيب فأمسوا جميعاً في ارتباك وحيرة . ومن الحوادث الغريبة ماصادفه ألف جندي فرنساوي كانوا سائرين في المركبات البخارية من هاكينو الى بيتش فان قوادهم كانوا يجهلون ان الالمان كانوا قد قطعوا وايسمبرج ومع أنهم كانوا يعرفون أنهم قريبون من الأعداء لم يتخذوا الوسائل اللازمة لمجانبة هجوم العدو عليهم بغتة فعند ماوصلوا الى نصف الطريق تقدمت فرقة من البروسيانيين المشاة وأوقفوا آلة المركبة بدون ابداء ما يمكن الفرنساويين من الوقوف على خبرهم وأسروا كل أولئك الجنود بدون أن يصادفوا ممانعة وكان هؤلاء الالمان الذين كان الفرنساويون يحتقرونهم في أول الأمر يقومون حق القيام بكل مايلزم القيام به من الاحتياطات الحربية لمنع هجوم الفرنساويين عليهم بغتة ولاستغنام كل الفرص المناسبة لهم وكان البارون مولتك الملقب الآن كونت مولتك جالساً في وسط أسلاك التلغراف ورسوم كيفيات الحرب ومعداتها وهذا الكنت هو من أحذق



الكونت مولتك

ص ٥٢

مدبري الحرب والعارفين أبوابها وحيلها فكان يعرف كل حركات الفرنساويين واجراآتهم بواسطة جواسيسه الذين كانوا في كل مكان يلزم أن يكونوا فيه فكان ينصب الفخاخ لأعدائه في كل جهة حتى انه كان يعرف قوة الفرنساويين وحالتهم ومسالك بلادهم وطرقها ومحلاتها أكثر مما كانوا يعرفونها هم في باريس وفي ٧ آب (أغسطس) أعلن الفرنساويون ان باريز في حالة الحصار وكان مجلس الوزراء في التئام دائم ودعت الامبراطورة اليها رئيس مجلس النواب المسيو روهر ورئيس المجلس القضائي المسيو شنيدر باكراً في الصباح قبل الظهر بسبع ساعات وقر قرارهم على نشر اعلان للامة الفرنساوية مآله اخبار الأمة أن الجيوش الفرنساوية صادفت تأخراً وتحريضهم على الاتحاد بقلب واحد ونفس واحدة ليبادروا إلى تعويض الخسائر التي لحقت بهم .

وكان الوزراء ينشرون الاعلانات ويعلقونها على حيطان المدينة وكانوا يحثون بها الاهالي على الاتحاد ومحبة الوطن فكانوا يقولون لهم : « انهضوا غضبي وأحلفوا بأن تجاهدوا الجهاد العظيم » وحرروا في اعلان من هذه الاعلانات ما يأتي : « انهضوا انهضوا يا رجال باريز وأنتم يا أهالي أواسط البلاد وجنوبها وشمالها الذين لا تلحق بكم ويلات الحرب بادروا بهمة واحدة إلى مساعدة اخوتكم أهالي شرقها واحملوا فرنسا المتحدة في النجاح على أن تكون متحدة اتحاداً أقوى في زمان المصائب ملتمسين إلى الله أن يبارك جهادنا » وكتبت جريدة باريز جملاً مهيجة كهذه الجملة وكذلك جريدة الجورنال أوفسيل وأظهرت الأمة الفرنساوية في ذلك الزمان اظهارات ممدوحة مصدرها الغيرة ومحبة الوطن وهاجت هيجاناً عظيماً على أولئك الذين شنوا الغارة على فرنسا وكانت تقول انهم سيدفنون فيها - ولا ريب أن أمة كالامة الانكليزية تستهزئ بهذا الهيجان . على ان الامة الفرنساوية ليست من جنس الامة الانكليزية وهم مفطورون على محبة الوطن والشجاعة والهيجان في الحرب .

هذا ولا يخفى أنه قد ذكر في هذا الاعلان أنه لا بد من الانتقام من الذين

تجاسروا أن يشنوا الغارات على فرنسا وهذا من التقريرات التي لا يقدر الانسان أن يقررها بدون أن يبدي مايخطر بباله من الملاحظات عليها لانه معلوم ان الفرنساويين شنوا الغارات على ألمانيا قبل أن دخل الالماني بلادهم فشرع الفرنساويون في أن يحضروا باريز للحصار بحيث تكون قادرة أن تدفع صدمات جيوش منظمة وفي جمع جيوش جديدة وعزموا على أن ينظموا في الجيوش التي نقص عددها جنود الحرس المتنقل والحرس المحلي وهذا يمكنهم من ان يرسلوا إلى ميدان الحرب جيشاً عدده ١٥٠ ألفاً كما أنهم كانوا قادرين أن يرسلوا الجيوش التي وقعت القرعة عليها سنة ١٨٦٩ بعد ذلك ببضع أسابيع وعددها ٦٠ ألف رجل وكان عندهم علاوة على ذلك فرسان ومدافع ومهندسون وجيوش والفرانتيرور وهم جنود طوعية غير منظمة والحرس الوطني وقال وزير الحرب ان مجموع هؤلاء يكون مليونين من الجنود الذين لهم ما يلزمهم من السلاح هذا خلا مليون غيرهم من الجنود الاحتياطية وأصدرت الحكومة أمراً مآله أنه من واجبات كل الرجال الذين سنهم من الثلاثين إلي الاربعين والذين لم ينتظموا في سلك جيش الحرس الوطني أن ينتظموا في سلك الحراس ليدافعوا عن العاصمة وطلبت الحكومة إلى المجلس القضائي أن يقرر أنه من واجبات كل البالغين من الذكور الذين سنهم دون الثلاثين أن ينتظموا في سلك الحرس الوطني اذا لم يكونوا من المنتظمين فيه فهذه هي الاجرا آت التى قامت بها الحكومة الفرنساوية للذب عن الوطن والعاصمة غير أنه لسوء الحظ كان قد خامر الفرنساويين في باريز قلق مصدره التذمر والهيجان الناشئ عن الارتباك وامتد ذلك من باريز إلى بقية البلاد حتى ان الأمة أمست في حالة مضطربة سلبت منها النشاط الذي يجعلها أهلاً للقيام بتلك الواجبات المهمة التي كان يجب أن تقوم بها وكانت الحكومة تخشى نتائج ذلك فكتمت عن الامة أخبار الويلات التي طرأت على الجيوش وهذه السياسة هي سياسة فاسدة وغير جائزة ومصدرها الجبن والحمق فكان الفرنساويون يقفون على أخبار تلك الحوادث بمطالعة الجرائد الانكليزية

وليس ذلك فقط ولكنها خدعت الامة عمدا فانها سمحت بنشر أخبار كاذبة عن نجاح الجنود في الحرب وهذا هو الذي حمل الأمة على أن لا تركن إلى أحكامها وعلى ان تغضب غضباً مهيجاً حملها على ارتكاب مالا يليق بها أن ترتكبه .

وفي الساعة الخامسة بعد الظهر من ذلك اليوم الذي فيه وردت إلى باريز أخبار انكسار جيش فرنسا في وايسمبرج في الجرائد الانكليزية التي انتشرت في مساء أمسه اجتمع قوم من الفرنساويين بقرب مكتب صراف في زاوية شارع ريشيليو وهذا المكتب للخواجات ليون ودرهار وكلاء سفارة روسيا وكان هؤلاء القوم يطالعون أخبار أحوال المانيا ليتمكنوا من ان يقفوا على حقيقة الأحوال السياسية كما نحاول نحن ان نقف على أحوال السياسة من حالة قونصوليد دولتنا العلية فقال رجل خارج من المكتب ان البروسيانيين قد ذاقوا المرارة التي يجب ان يذوقوها فظن القوم أن هذا الرجل يسخر بهم اذ أن جيوشهم كانت قد انكسرت في وايسمبرج فهجموا عليه هجوما مبيناً ولولم يبادر بعضهم إلى غلق باب المكتب لدخلوه وارتكبوا ما يجلب عليهم العار وأقام قوم يهيجون الليل بطوله بالقرب من هذا المكتب وكانوا يغنون أغنية المارسيليز وهي أغنية مهيجة جدا كان قد منع الامبراطور الأهالي عن أن يغنوها وكانوا يصرخون قائلين الموت للبروسيانيين ورأوا رجلاً قالوا أنه يشبه الالمان فهجموا عليه وكادوا يقتلونه وكسروا أخشابا كثيرة من أخشاب نوافذ الحوانيت وفعلوا غير ذلك حتى أتى حرس باريز وفرقهم وكانت العامة تميل إلى تصديق الاخبار بدون أن تدقق النظر في مصادرها وصحتها وكانت تحاول أن تهين الذين يظهرون أنهم يشكون في صدقها .

وفي ٦ آب (اغسطس) شاع في باريز ان البروسيانيين انكسروا كسرة شديدة ومهلكة وان الفرنساويين أسروا ابن ملك بروسيا وأتوا به الى امام الامبراطور نابليون وانه عند مارأى نفسه على تلك الحال قتل نفسه باطلاق الرصاص فصدق الباريزيون هذا

الخبر بدون تردد مع انه كان من الواجب ان يترددوا عن تصديقه بعدما بلغهم ما كان قد بلغهم عن انتصار البروسيانيين في وايسمبرج وشاع الخبر في المدينة بسرعة عجيبة وصدقته الدائرة المالية ورفعت أسعار القراطيس الدولية الى ٩٢ فرنكا ونصف وانقاد السماسرة الى تصديق الخبر بما رأوه من الشعب فكانوا يصرخون صراخ الفرح ويرفعون برانيطهم وازدحمت أقدام المجتمعين في كل محلات الاجتماع وازدحمت المركبات حتى انه كان يصعب على الانسان ان يمر في الشوارع التي كانت فيها

ونشروا الرايات في كل النوافذ ورأى القوم موسيو كوبول المغني فى مجتمع الغناء فالزموه أن يصعد على سطح مركبة مغطاة وان يغني اغنية المرسيليز وكانت السيدة ساس والسيدة كيمار راكبتين في مركبة وتغنيان هذه الاغنية وهما سائرتان وكان الجمهور يسعفهما في غناء الدور وكانتا تغنيان وتجمعان اموالاً لمساعدة المجاريح وكانت باريز في هيجان شديد مقلق لان فرحها كان متجاوزا حدود الاعتدال وكان الجمهور بين الذين كانوا يتجاسرون ان يقولوا انهم مرتابون في صدق هذا الخبر وبعد ان دامت الحال على هذا المنوال نحو ساعتين قال قوم من المتعقلين لماذا يا ترى لم تبادر الحكومة الى نشر خبر هذا الانتصار رسمياً فلما سمع ذلك بعض الاهالي أسرعوا بالذهاب الى وزارة الداخلية وسألوا الموظفين عن صحة الخبر فقيل لهم انه لم يرد خبر انتصار الجيوش الى الحكومة فلما سمع القوم ذلك تكدروا كدرا مهيجاً يقدر ما فرحوا عندما سمعوا خبر النصر وشاع ان قوماً من الذين لهم صوالح مالية أشاعوا ذلك الخبر فصرخ الجمهور صراخاً شديدا قائلا أنزلوا الويل برجال المالية وبالسماسرة وهجموا على محل اجتماع رجال المالية وتمكنوا من الدخول الى ساحته الخارجية غيران الصيارف والسماسرة تمكنوا من الهرب قبل وصول الجمهور الهائج ولولا دفاع حراس باريز لخربوا المكان ومع ذلك كان جمهور من المهيجين يسير في الشوارع من مكان الى مكان صارخاً « هيا بنا الى برلين » وكانوا يلزمون

الاهالي الذين نشروا الرايات في النوافذ وغيرها ان ينزلوها و بعد ذلك اجتمعوا امام وزارة العدلية وطلبوا ان يخرج موسيو أوليفيه الوزير الاول فخرج الى مكان مرتفع امام باب من أبواب الوزارة وخاطبهم قائلا ان رجلا غير معروف اشاع الخبر الذي خدع به الاهالي وان الحكومة ستبادر الى نشر الاخبار الصحيحة التي ترد اليها وعند ذلك تفرق الجمهور غير ان مكتب الخواجات ليون ودرهار بقي مقفلا لانه قيل أنه مكتب بروسياني وليس فرنساوي

وفي اليوم الثاني وهو يوم الاحد شرعت الحكومة في اجراء ما ربما كان واسطة لمنع سريان الويل وتخليص الامة من الرزايا التي كانت تتهددها وكان هذا اليوم يوم حزن وكدر وابتدأ القوم يتكلمون عن تغيير الدولة وخطب كثيرون من الخطباء خطباً مهيجة ومقلقة وصار القاء القبض على كثيرين وسجنهم وكان الهيجان يزيد وكثيرون من محرري الجرائد يزيدون الهيجان بكتاباتهم المهيجة وصرخ الجميع طالبين ان يتقلد كل أهالي باريز السلاح وكانت الحكومة تخاف ان تجيب هذا الطلب لانها لم تكن تركن اليهم وكان كل ذلك قليلا وغير مهم بالنسبة الى الاخبار التي وردت بعده الى باريز تلك الاخبار التي لم تسمع فرنسا مثلها وهي (يوم سيدان) وتسليم الامبراطور نابوليون الثالث وقد قيل ان أسباب غلبة الفرنساويين انما هي أسباب سياسية ولذلك كانت المجالس تتهدد وزارة أوليفية بالعزل مع ان هذه الوزارة كانت ذات شهرة قبل الحرب بمدة قصيرة وفي ٨ آب (أغسطس) عند اجتماع المجلسين طلب المسيو باريو الى مجلس النواب والمسيو اوليفيه الى المجلس القضائي ان يرخصا لهما ان يجمعا كل رجال الأمة لينظماها جيوشاً وان يقررا نظام الحرس الوطني وغير ذلك من الامور الحربية وعند ذلك طلب أحد أعضاء المجلس القضائي ان يقام الجنرال تروشو وزيراً أول وطلب المسيو جول فافر ان يسمي المجلس عمدة مخصوصة تسمى عمدة الدفاع غير ان المجلس رفض ان يجيب هذا الطلب ولم يحمله على ذلك رغبته في عضد

الوزارة ولكن كرهه لكل شيء بسبب الحوادث المكدرة و بعد ذلك حمل المسيو دوفرنوا المجلس على ان يقرر ان الحكومة كانت غير قادرة ان تقيم الدفاع اللازم للبلاد ثم انفض المجلس وعند ما اجتمع مرة ثانية قال له المسيو أوليفيه انه قد خابر الامبراطورة وكيلة الامبراطور وانها قد طلبت الى الجنرال مونتوبان ان يقيم وزارة جديدة وهكذا سقطت وزارة أوليفيه بعد قيامها بثمانية أشهر مع ان الامة كانت منتظرة ان ترى منها أعمالا كثيرة حسنة وكان سبب سقوطها عدم الثقة بها وعند ذلك طلب مسيو جول فافر الى المجلس ان يصير تنظيم الحرس الوطني وتسليمه بحسب نظام سنة ١٨٣١ وان يستقيل الامبراطور من رياسة جيوش فرنسا التي خابت مساعيها بسبب عدم أهلية الامبراطور نابوليون ثم طلب الكونت كراتري الى المجلس ان يتنحى الامبراطور عن الملك حالا وعند ذلك حدث في المجلس اضطراب وهيجان وقيل وقال حتى ان بعض أعضاء هذا المجلس القضائي أهانوا غيرهم اهانات شخصية فالتزموا ان يفضوا المجلس وكانت الامة خارج المجلس في اضطراب وقلق وصراخ تذمر ومع ان هذا الهيجان خمد بعض الخمود بعد ٩ آب (أغسطس) كان واضحاً انه مامن شيء يقدر ان يخلص الامبراطورية من السقوط مالم تنتصر الجيوش الفرنساوية انتصارات غير اعتيادية تعوض عليهم ما كانوا قد خسروه

ـ تنازل الامبراطور عن رئاسة الجيش الى المارشال بازين ـ

وفي ٩ أغسطس (آب) تنحى الامبراطور عن رئاسة الجيوش الفرنساوية وسلمها الى المرشال بازين الذي رقي الى المناصب العالية بعد ان كان جندياً في الجيش والذي أخره عن الانتظام في سلك الضباط من أول الامر تقصيره عن ان يقوم بالفحص الذي يلتزم ان يقوم به الفتى بعد خروجه من المدرسة وقبل دخوله في سلك الضباط



المارشال بازين

ص ٥٨

وكان ابتداء تقدمه في الجزائر كابتداء تقدم مكماهون وفي سنة ١٨٣٧ حارب وهو قبطان بوي الـكاولسيون في اسبانيا برخصة من الملك لويس فيليب وفي سنة ١٨٥٤ أرسل الى القريم ورقي الى رتبة جنرال فرقة وقد اشتهر أيضاً في حرب ايطاليا سنة ١٨٥٩ وفي سنة ١٨٦٣ ارتقى الى رتبة مارشال فرنسا وخلف المرشال فوري في حرب فرنسا في بلاد المكسيك فلم تتوفق العساكر فيها ودام بازين يناضل في معارك عظيمة مع انه التزم اخيراً ان يرجع الى فرنسا بجيش مذعور والذي أرجعه تهديدات حكومة الولايات المتحدة الامركانية لانها كانت تنظر بحسد شديد الى مداخلات ممالك أوروبا في صوالح بلاد اميركا ولئن لم تكن تحت سلطتها ومع ان المارشال وقع تحت اللوم لم يثلم صيته فكانت الامة تعتبره من أقدر القواد الفرنساويين ولو سلم الامبراطور قيادة جنوده لما كماهون لكان أحسن على ان ذلك لم يكن ممكناً لان مكماهون كان قد انكسر أمام جيوش أعدائه المنتصرين فيظهر من ذلك انه كما ان حرب افريقية كانت سبباً لترقي كثيرين من القواد والموظفين الفرنساويين كانت أيضاً سبباً لايقاع الخلل في الجيوش الفرنساوية أما الادارة اللازمة للانتصار على قبيلة غير منظمة الاحوال فتختلف كل الاختلاف عن ادارة حرب تقام على جنود أوربية منتظمة كل التنظيم ولذلك ربما كان يسوغ ان نقول ان حرب الجزائر هي مصدر الخلل الذي خامر الجنود الفرنساوية وبعد ان تتهقر ما كماهون في معركة ورث في اليوم السادس من آب (أغسطس) انكسر مع جيوشه المذعورة ورجع الى سافرون ونانسي ومن ثم الى شالون ولا يخفى انه بين الرين وولاية اللورين سلسلة جبال القوج وهي سور طبيعي لفرنسا لا يمر فيه الامن مدخل ضيق لا يمكن لعدوان يجتازه اذا اقيم له الدفاع الواجب ولا نعلم اذا كان ما كماهون حاول ان يحرس ذلك الممر بجيشه غير اننا نعرف انه رأى ان جيشه لا يقدر ان يقوم بحق ذلك بعد ان حدث ما قد حدث ولذلك صار متقهقراً . اما بازين فوجد نفسه في مركز مرتبك بالقرب من ميتس التي هي حصن لم يفتحه

عدو وهي أمنع حصون فرنسا بل من أحصن حصون العالم فأمر مكماهون ودوفالي ان يجمعا عسكر يهما المشتتين مع جنود كانرو برت في شالون فوصل مكماهون في اليوم السادس عشر من آب (أغسطس) ودوفالي في اليوم العشرين وقد ظهر من ذاك الحين انه مامن شيء يخلص فرنسا من الذل التام سوى المبادرة الى الدفاع بالتكاتف وكان جيش مكماهون قد نقص كثيراً و بعد ان كان ٣٨ ألفا أمسى ستة عشر ألفا في ضنك وضيق وكانت جنود السكار وموبيل التي انضم اليها جيش مكماهون في عصيان فان أكثرهم كانوا يتمارضون وعند ما فحصهم قائدهم كانوا يصرخون قائلين فلنرجع الى باريز أما قائدهم كانرو بيد القائد الشيخ المشهور الشجاع والمجرب في المعارك فقال لهم انكم لستم أهلاً لان تدعوا فرنساو يين فكثر العصيان بينهم فالتزم ان يقتل اثنين من رؤساء القلاقل حكم عليهما في المجلس الحربي ليؤدب بهما الباقين وكان كل ذلك مما يضعف عزيمة جنود مكماهون و بالحقيقة اننا كلما راجعنا ما جريات الحرب يزداد تعجبنا واندهالنا عند مانرى من تصرف أولئك الجنود . هذا وكان كثيرون من الجنود الفرنساوية يحاربون حرب شجعان و يهلكون أنفسهم لخلاص وطنهم فهؤلاء هم الذين حافظوا على صفات الجنود الفرنساوية ولكن ما ذا يقدر ان يفعل هؤلاء المساكين و بينهم من الجنود المفسودين الانذال الخالين من كل شرف وشجاعة والمخلين بالنظام

— خروج الامبرطور من ميتس وخيانة بازين —

وفي اليوم الرابع عشر من آب (أغسطس) خرج الامبراطور من ميتس بعدان ترك قيادة الجيش و ولج بادارة الاعمال الحربية فيها المرشال بازين وأتى شالون هو وابنه البرنس امبريال وقبل ذلك نشر اعلانا على الجنود والشعب نلخصه بما يأتي :

اني أفوض اليكم الدفاع عن المدينة فلا تسلموا قلعة فرنسا للعدو الخ وقال في آخره ان المأمول انه يرجع في أيام أكثر حبوراً وسعادة يشكر الجنود والأهلين على سلوكهم الحسن انتهى ·

أما قوة المرشال بازين فكانت مؤلفة من ١٠٠٠٠٠ من المشاة و ١١٠٠٠ فارس و ٣٨٠ مدفعاً فظنوا انه يقدر ان يدافع عن تلك القلعة ولو كان عدد المهاجمين عظيما جدّاً ولا نعلم اذا كان ذلك مطابقاً للواقع ولا اذا كان الالمان قد هاجموا ميتس بجيش جرار لا يدفع في أول الحصر ولكننا نعلم ان مسيو روبنصن مكاتب جريدة الديلي نيوز الانكليزية وهو من أقدر المكاتبين الذين كانوا في ساحة القتال وكان قد أرسل من انكلترا ليكاتب تلك الجريدة التزم ان يقول مع الفرنساويين ان بازين خان البلاد وقد قال في كتابه الثاني المسمى بسقوط ميتس ما يأتي : انه لم يكن في ميتس هيجان شديد حتى وردت أخبار سيدان فانقسم المحصورون وكان بازين والحرس من حزب الامبراطورية

هذا ولا يخفى ان الدولة الامبراطورية كانت ترقي عساكر الحرس الامبراطوري وغير جيوش من المشاة والفرسان وكانت ترفع شأن الذين كانوا يركبون الخيل جيداً والذين كانت تراهم على جانب من الحسن والترتيب في العرض العمومي ولكنها لم تكن تلتفت هذا الالتفات الى عساكر المدافع والمهندسين الذين لم يكن لهم من اسباب الزينة والظرف ما لاولئك ولذلك كانوا جميعا متحزبين للجمهورية في ميتس

ومنذ ذلك الزمان أصبح بازين و بسمارك علي ما يسوغ أن نسميه اتفاقاً ولذلك كان متقاعداً عن اجراء الاعمال الحربية وكان لا يخبرنا عن حقيقة عدد الاعداء وكثيراً ما كان يزيد عددهم عن الحقيقة وعطل جرائد ميتس لانها كانت تقول انها لا تزال تؤمل بالفوز وكان ينشر جريدته الرسمية ويبين ان الاحوال في أسوإ حالٍ وكان يمتنع عن الخروج من الحصون لمقاتلة الاعداء مع ان عدد جيوشه كثير جدا

وفي أواخر أيلول (ستمبر) وسعت الجنود دائرة الحصر وهذا يبين ان الاعداء لم يكونوا فعلاً أقوى منا ولم يكن يبين ما ينشط املنا مع انه من واجباته أن يكون مصدر التنشيط ولم يكن يخرج من القصر الذي نزل فيه في سان مارتن فكان يدخل في النهار ويلعب بلياردو في الليل وقد شاع انه كان يعجز كل المدينة بطلب المأكول الذي كان يحبه حتى انه كان يدفع مبالغ وافرة للحصول على ما كان يشتهيه حال كونه كان لا يعطي الجندي في اليوم مائتي درهم من الخبز والمظنون ان هذا كان للتظاهر بالاحتياج اذ انه كان عنده ما يكفي الجيش من الزاد ولم يزر الجنود في منازلهم ليسليهم في ضجرهم الناتج عن طول زمان الحصر والانتظار ولم تحمله الانسانية على ان يزور مرة واحدة اولئك الجنود الجرحى المنكودي الحظ الذين كانوا مطروحين في المستشفيات فان المطامع الناتجة عن طلب الغايات السياسية كانت موضوع طلبه وليس القيام بحق واجباته وهكذا كان واقفاً في سكون منتظراً الجزاء الذي كان مؤملاً ان يناله وقد قال المكاتب المذكور ان الزاد لم يفرغ كله من ميتس فكان سعر لحم الخيل في كل الاوقات من بنسين ونصف الى خمسة بنسات وذلك بحسب حسنه وعدمه اما التبغ فلم يبق منه شي غير ان ثمن البيض كان مرتفعاً جداً فكانوا يبيعون فيها البيضة بفرنك وكسور وثمن الليبرة من السكر تسعة فرنكات وفرغ الفحم غير ان ثمن الحطب كان معتدلا اما الملح فقل جداً واشتد ضيق الاهالي بسبب فقده حتى صارت الليبرة منه بتسعة فرنكات . انتهى

هذا ولا يخفى انا نقلنا عن المكاتب المذكور ماقد نقلناه قبل ان نصل الى تقرير حوادث ماحدث بعد معركة سيدان ومع ذلك نقول انه اذا كان هذا المكاتب غير منقاد بالتحزب لمضادي الامبراطورية الفرنساوية الى تقرير ماقرر يكون مابلغنا بواسطته عن المرشال بازين الذي كان قائداً عمومياً لكل جنود فرنسا خبراً مكدراً جداً والظاهر من كتاباته انه قرر تقريرات واضحة خالية من الغرض والميل ومع

ذلك نقول انه مامن شيء يكدرنا أكثر من ان نرى ان الامة الفرنساوية التي كثيرا ماصرخت قد باتت ضحية الخيانة كانت فعلا مخونة فاذا كان البرنس بسمارك قد تمكن من ان يجعل رئيس الجيوش الفرنساوية يخون بلاده فماذا يقدر أن يجعل القواد الثانويين يفعلون لقيام خدمته وبناء على ذلك نقول ان الامة أتهمت بازين بالخيانة وان بازين أنكر صحة التهمة كل الانكار وطلب ان يقام التحقيق العادل فانه يقول انه قادر ان يبرئ نفسه من هذه التهمة المخيفة[1] ولايخفى ان قصر الزمان لم يمكن التاريخ من ان يقف على الحقائق وربما كان الوصول اليها موقوفا للمستقبل الذي يكشف اكثر الماضي ويصعب علينا ان نقول بتأكيد قبل الوصول الى الحقائق الواضحة ان قائداً مجربا وشيخا يرتكب الخيانة المعية ومع ذلك نسمع بتأكيد أن القواد المحصورين في ميتس كانوا يطلبون بالحاح الى بازين ان يخرج لمهاجمة الاعداء وانه كان يتمنع عن اجابة طلبهم مع ان النصر كان أقرب اليهم من الكسر ولاريب ان الاوفق نقول في الحاضر أي قبل ظهور الحقائق ان المارشال كان يخاف ان ينكسر جيشه وان يهلك جنوده بلا فائدة وهذا حمله على ان يتجاوز حدود الاعتدال في مجانبة ذلك وعلى ان يخطي ذلك الخطأ المبين الذي اغضب القوم الذين كانوا في كدر مهيج من جرى الفشل الذي لحق بهم فاتهموه بالخيانة

— قبل حصار باريز —

أما الالمانيون فكانوا قد انتصروا في وايسمبرج وورث وفورباش ولذلك عزموا على ان يهاجموا باريز اذا لم يحدث مايمنعهم عن ذلك وفي اليوم السابع من

(١) ان المارشال بازين حكم عليه المجلس العسكري بعد ذلك بالاعدام لثبوت خيانته ولكن هذه العقوبة بدلت بالسجن . وبعد أن حبس بازين فر من سجنه ملتجئاً الى سبانيا . ومات سنة ١٨٨٨ — (الطابع)

آب (اغطسس) سار ولي عهد بروسيا في أثر جيوش مكماهون بجيش الميسرة وكان جيش الميمنة والوسط قد تبوأ افولذ ونسار كو بنس وها كينوو في اليوم التاسع من آب (اغسطس) وصلت طليعة من هذين الجيشين الى مكان يبعد عن ميتس تسعة أو عشرة اميال وكان مسير ولي العهد في أثر مكماهون سريعاً وكان الفرنساويون يخافون ان ينقطعوا عن شالون قبل أن يصلوا اليها ويلتزموا أن يقيموا حرباً وهم في حالة غير مناسبة لقيامها أو ان يسلموا اما نانسي فلم يحاول الفرنساويون ان يدافعوا عنها حتى أن أربعة أنفار من الجيوش البروسيانية في اليوم الثاني عشر من آب (أغسطس) استلموها وحدثت معركة صغيرة عطلت مركز الطريق الحديدية وألزم الالمان الاهلين أن يعطوا السكة ووضعوا على تلك المدينة ضريبة مقدارها ٥٠٠٠٠ فرنك أي ٢٥٠٠٠٠ غرش ولم يزالوا سائرين وليس لهم معارض الاماندر وهاجم الالمان ستراسبرج وليتانبرج وفتحوا مدينة مارسال الحصينة بدون ان يصادفوا غير صدام قليل وسلم حصن آخر يدعى لو بتي بيير بدون حرب واستلموه وهم سائرون وطلبوا الى مدينة تول الحصينة ان تسلم غير ان عساكرها وأهلها صمموا على الدفاع وحاصروا فلسبرج وبتش حصاراً شديداً فدافعتا مدة ليست بقصيرة بنشاط وهمة أما الجيوش الالمانية فكانت تسير الى الجهة الغربية بثبات وعزم لا مزيد عليهما قاصدة باريز وكان الفرنساويون يتقهقرون بسرعة امام الاعداء هذا ويكدرنا ان نقول ما قد قلناه مما يعيب القواد الفرنساويين وهو انهم خسروا أموراً كثيرة لأنهم لم يكونوا يعرفون سبل بلادهم ومعابرها كما كان الالمان يعرفونها وفي ١١ آب (اغسطس) أعلن ملك بروسيا من سار بروك اعلاناً معنوناً باسم أهالي فرنسا غير انه لم يصر القيام بما تقرر فيه بعد نشره وما يأتي هو ترجمته :

من ملك بروسيا الى سكان البلاد الفرنساوية التي حل بها الالمانيون

لما كان الامبراطور نابليون قد هاجم الامة الالمانية براً وبحراً كان لا بد لنا

قياماً بحق المدافعة ان نجوز الحدود الفرنساوية أما نحن فنرغب ان نعيش بسلم مع الشعب الفرنساوي ونحن نحارب الجنود الفرنساوية وليس الشعب الفرنساوي ولذلك يقدرون ان يسلكوا بسلام وطمأنينة ماداموا لا يفعلون مايحملنا على ان نخسرهم حمايتنا من اظهار العدوان للجنود الالمانية أما القواد الذين يتولون امرة الجيش فسيعينون القصاصات للعموم والافراد الذين يتعدون قوانين الحرب ويعينون ما يلزم تعيينه مما يتعلق بما يحتاج الجيش اليه وأسعار النقود ليسهلوا المعاملة بين الجنود الالمانية والفرنساويين انتهى

هذا ولا بدان نقول ان الفرنساويين من سكان المدن والقرى لم يحافظوا على قوانين الحرب فانهم كانوا يهجمون هجمات سرية على بعض انفار من حرس الجيش أما الالمانيون فكانوا يهيجون هيجاناً شديداً وينهضون لطلب الانتقام بدون ان يعفوا عن الشيوخ والاطفال والنساء ولا يخفى ان اجراآت كاجراآت الفرنساويين المذكورة هي من الاجراآت الطبيعية التي ينقاد اليها الانسان بالطبع .

وفي اليوم الثامن عشر من آب (اغسطس) تمكن الالمانيون من قطع المواصلات الواقعة بين مكماهون وميتس وكان المرشال المذكور في شالون وفي اليوم نفسه وصل الملك غليوم الى هربي وهي مدينة تبعد نحو أربعة عشر ميلاً الى الجهة الجنوبية من ميتس وأخذ في الاستعداد ليحاصر ميتس التي لم يحاصرها أحد وقد اختلفت الاخبار حتى أنه ربما كان لا يمكن الوقوف على الحقيقة غير أنه ولئن كان مستررو بنصن قد قال انه لم يكن خارج ميتس من الالمانيين قدر ما كان داخلها من الفرنساويين نرى ان الالمان تمكنوا من أن يحاصروها منذ ابتداء الحصار بجيش يفوق عدداً جيش بازين وقد قال مستررو بنصن مخالفاً في قوله رأى الجمهور ان الالمانيين لم يفوزوا لانهم أحذق من الفرنساويين وأعلم منهم في أبواب الحرب ولكنهم انما انتصروا بكثرة العدد وعدم مبالاة قوادهم

بهلاك الجنود فانهم كانوا يصادمون الفرنساويين بجيش يسير على جثث قتلى جيش سبقه الى أن يضايقوا على الفرنساويين ويجعلوهم يركنون الى الفرار ويطلبون التسليم فان كان ذلك صحيحاً يكون تقدم فن الحرب منذ أوائل هذا القرن تقدما قليلا هذا مع قطع النظر عن اختراعات كثيرة تهلك كثيرين في وقت واحد لان نابوليون الاول كان يفوز بحذقه وبشجاعته بمصادمة جيش عدوه قبل أن يتمكن من جمع قوته لان جيشه القليل يكون مجموعا والظاهر أن الالمانيين قد تعلموا فنون نابوليون الاول والفرنساويون قد نسوها أما الاخبار المقررة التي نركن اليها فتبين ان ملك بروسيا كان قادراً في أوائل حصر ميتس أن يضع تحت الحصون جيشاً عدده ٢٥٠ ألف مقاتل وهي تفوق جداً قوة بازين والظاهر ان بازين كان يخاف ان يهاجم المحاصرين الالمانيين فكانوا مركنين كل الاركان الى قوتهم حتى انهم أرسلوا في ١٤ آب (اغسطس) رسالة برقية الى بعض الجيش ليستلموا الجسر والطريق التي تمر في بونتموذن على شاطئ نهر الموزل الغربي وعلى الطريق الحديدية بين نانسي وميتس وفي غضون ذلك تقدم الجنرال ساتمتز الى الجنود الفرنساوية التي كانت خارج الاسوار في ميتس وانتشب القتال هناك وهذه المعركة تدعى معركة كورسيل أو معركة لونفيل التي بها فاز الالمانيون بدفع الجنود الفرنساوية الذين كانوا خارج البلدة غير أنه هلك كثيرون منهم ودام تقهقر الفرنساويين الى اليوم الخامس عشر من آب (اغسطس) الذي هو يوم عيد نابوليون وكان قد قيل في باريز قبل ذلك بمدة قصيرة أنه لا بد من أن يكون ذلك يوم دخول الجنود الفرنساوية منصورة الى برلين بل كان قد قال بعضهم أن ذلك سيتم في الساعة الاولى من صباح اليوم الرابع لهذا العيد ففي ذلك اليوم عبرت الجنود المتقهقرة نهر الموزل راجعة الى باريز وربما كانت لا تعرف الى أين تذهب وفي اليوم السادس عشر منه هجم الالمان على بازين في فيونفيل التي تبعد مسافة طويلة عن ميتس الى الجهة الجنوبية الغربية وفي الوقت نفسه عبرت فرقة المانية نهر الموزل بالقرب من بونتاموذون ونزلت بين معسكر رئيس القواد

الفرنساويين وبين باريز ولم يحاول الفرنساويون أن يصدوا تقدم الالمانيين ولكنهم كانوا يتقهقرون من كرافلوت الى فاردون حتى هجم الجيش الثالث البروسياني على جناحهم وتبع ذلك حرب شديدة وبعد ذلك ببضع ساعات أنجدت الفرقة العاشرة البروسيانية صفوف الالمانيين وبعد مدة وجيزة أنجدتهم الفرقتان الثامنة والتاسعة تحت امرة البرنس فردريك شارل فحارب الالمان بشجاعة لامزيد عليها ولكنهم لم يقدروا أن يخرجوا الفرنساويين الذين تبوؤها وقد أخذوا رايتين وسبعة مدافع واسروا ألف جندي والفريقان يدعيان النصر فى معركة فيونفيل وقتل كثيرون على أنه لم تتغير مواقف الجيشين ·

وقد أطال الكلام مكاتب جريدة التيمس فى وصف هذ المعركة الشديدة أما نحن فلا نقرر تفاصيلها لانها لم تأت بنتائج مؤثرة في حالة المتحاربين وقد قرر أن شاباً عمره ١٩ سنة بات قائد فرقة المانية اذ أن كل قوادها الاولين قتلوا وعددهم ١٣ قائد وما يأتي هو ترجمة بعض كلامه: انني قابلته بعد المعركة وكلمته فوجدته شاباً يحب الحرب حباً شديداً وكان على جانب عظيم من البشاشة فأعطيته بعض سيكارات وانفصلت عنه وبعد ذلك بساعتين رأيته مطروحا ميتاً على الارض مع غيره من القتلى ورأيت السكاير التي أعطيته إياها بين أزرار ثوبه · انتهى · ولقد أشاع الفريقان أخبارا كاذبة عن ذلك فان المرشال مكماهون الذي كان يخشى أن يتقهقر بجيشه ويلتزم أن يلتجيء داخل أسوار ميتس ويمسي قادراً على الدفاع فقط أرسل الى باريز رسالة برقية مآلها أنه في الساعة الثامنة بعد الظهر ارتدت جنود الاعداء عن كل مراكزها وأن جيوشه ثبتت فيها · أما البروسيانيون فأرسلوا رسالة برقية رسمية بهذا الشأن مآلها أن جيوشهم نجحت كل النجاح وان الفرنساويين قد تقهقروا والتجأوا الى أسوار ميتس أو الى داخلها وقد اجمع القوم على أن الفرنساويين كانوا يخفون حقائق الوقائع ويعلنون الاخبار الكاذبة في هذه الحرب على انه قد تبين ان الالمان كانوا يرتكبون الخطأ نفسه عند ما كانت تقام معركة بدون أن تأتي بنتائج واضحة فانهم كانوا يدعون النصر وبما

ان أكثر النصر كان لهم لم يكن لهم من المقاصد ما كان للفرنساويين مما كان يحملهم على محاولة ستر العار الذي يلحق بالجيش المنكسر . هذا وكانت كلما طالت مدة الحصر يرى بازين انه لا يقدر ان يطيل الاقامة بجيشه خارج اسوار ميتس ففي اليوم السابع عشر من آب (اغسطس) رأى المارشال المذكور انه لا يقدر ان يثبت في مواقعه فارسل ميمنة جيشه الى مراكز واقعة بين فيونفيل وهاي ونهر الموزل وهكذا صار النهر عن يساره وتل سان بريو المنيع العالي عن يمينه وكان قلب الجيش في مدينة فيونفيل وفي اليوم نفسه أقام الالمان بعض جسور موقتة وعبرت عليها الفرقة الثانية والسابعة والثامنة والتاسعة والثانية عشر مع حرس الفرقة الثالثة وجنود مدافعها ومجموع عددها ١٩ الفاً من المشاة و ٢٤ الفاً من الفرسان و ٦٥ مدفعاً فحلت هذه الجنود الالمانية بين بريز ونفيل وكرافلوت وفى اليوم الثامن عشر من الشهر أخذ الالمان يهاجمون الفرنساويين ليعبروا امام طليعة جيش بازين اما الفرنساويون الذين كانوا في الاعالى المحصنة بالخنادق فاطلقوا على اعدائهم نيران البنادق والمدافع و ٨ مدافع من الراشة اطلاقاً مهلكا وكانت صعوبة المسالك تؤخر الالمان عن التقدم ومع ذلك جدوا في طلب التقدم كل الجد وساروا في الاحراش مسافة ثم هجموا صاعدين الى التل هجوماً مخيفا حتى انهم كادوا يتمكنون من أن يجوزوا جيش بازين وان يقطعوا عنه طريق سيدان وكان الفرنساويون مستترين في خنادقهم فاطلقوا اسلحتهم على اعدائهم وكانت المدافع الموضوعة على قمة التل تصب الكرات عليهم فهلك منهم الوف وحاول الالمان ان يفتكوا بالجيوش المقيمين في القمة مدة ساعات كثيرة فكانوا يرسلون لمهاجمتها فرقة بعد فرقة من الفرسان لعضد المشاة ولكن بدون نتيجة واشتد القتال المهلك و بعد ذلك هاجم الالمان بغتة الفرنساويين وارجعوا صفهم الاول ومع ذلك كانت المعركة لا تزال شديدة جداً والنتيجة مستترة إلى أن تمكن الالمان من أن يجوزوا صفوف الفرنساويين فالتزم قائد جيشهم أن يتقهقر فرجعوا قاصدين ميتس رجوعاً بطيئاً وكانوا يحاربون وهم متقهقرون وقد تقرر أنه قتل وجرح من الفريقين في

هذه المعركة ١٩ ألفاً وقد قال مكاتب جريدة الديلينيوز الانكليزية في وصف هذه المعركة انه انتشب القتال في مكانين الأول بين باريز ونفيل وكرافلوت في طريق فاردن والثاني في كرافلوت وتمكن الفرنساويون الذين كانوا على التل أن يمنعوا أعداءهم عن التقدم وكانوا يطلقون عليهم نيران دائمة ومدافعهم المقامة في القمم تدفع الكرات بدون انقطاع وفضلا عن ذلك كان يسمع صوت المدافع الراشة الغريب وكان الالمان ملزمين أن يطلقوا أسلحتهم إلى فوق وكان الفرنساويون يهلكون وهم ثابتون في مواقفهم والالمان يهلكون وهم يتقدمون وكانوا يهلكون مئات مئات اذا لم نقل ألوفا ودامت الحال على هذا المنوال ساعة أو ساعتين وكانتا أطول من دهر لان الويل فيهما كان شديداً والهلاك كثيراً وفي الساعة الرابعة بعد الظهر أطلق الفرنساويون ناراً مهلكة على الاحراش التي كان البروسيانيون مستظلين فيها ودفعوا اليها الكرات المحشوة بلا انقطاع ولذلك ضعفت نيران الالمان في تلك الجهة غير انه في الساعة الخامسة خرجت فرقة من المشاة من الاحراش وسارت سيراً سريعاً قاصدة المكان الذي يلزم ان تأتيه وكنت أراها في النظارة المكبرة كأنها حية كبيرة جداً تنساب على الارض وتترك وهي متقدمة أثاراً سوداء من القتلى والجرحى والذين كانوا في حالة النزع ورأيت بعض الجرحى ينهضون بعد ان يقعوا ويحاولون أن يسيروا امام رفاقهم وكان بعضهم يقع ثانية ولكن لم يرجع أحد منهم الى الوراء انتهى . وكان يظهر حتى المساء ان النصر للفرنساويين وبعد ذلك بنصف ساعة هجم الفرنساويون على الالمانيين هجمة تزعزع الجبال وكان صوت المتراليوز مخيفاً فضلاً عن أصوات الاسلحة الكثيرة وصراخ الرجال والانين . اما الالمان فثبتوا في مواقفهم فاضعفت هذه الهجمة قوة الفرنساويين فاستلم الالمانيون التل والقمم وهي مفتاح كل تلك البلاد حتى أبواب ميتس

وشاهد الملك والبرنس بسمارك هذه المعركة المخيفة اما الملك فبقي راكباً جواده ١٥ ساعة وقد قيل ان بسمارك بات في خوف شديد من سوء العواقب وعلى الخصوص

لما رأى ان الفرنساويين يكادون يفوزون بالغلبة حتى انه لولم يشدد القوم المنع عليه لدنا من الصفوف الفرنساوية دنواً يجعله هدفاً لرصاصهم و بعد المعركة أكل الملك مرقاً فيه ارز مطبوخ للجنود ونام هو والبرنس بسمارك بين الجنود في ميدان القتال وكانت هذه المعركة متساوية النتائج ولم يفز فريق على الفريق الآخر حتى انه قبل نهايتها بمدة قصيرة جداً وقع رعب في قسم كبير من الجيش الالماني وهو كالرعب الذي كثيراً ما يقع في قلوب ابسل الجنود فارتد طالباً الفرار و لولم يصدهم حرس المستشفى المتنقل الالماني بتوجيه فم المدافع الى الطريق التي كانوا متقهقرين فيها لانكسروا ونال الفرنساويون فوزاً عظيما وقد قال ملك بروسيا في رسالته البرقية التي بلغ بها خبر هذه المعركة: ان العدو نازعه النصر منازعة شديدة وهذه ترجمة الرسالة المذكورة:

قد فعلت الجنود افعالا عجيبة وكانت ذات بسالة في مصادمة عدو باسل مثلها فانه كثيراً ما كان يهجم هجمات مخيفة ولكن كانت جنودنا تصادمه وتدفعه كلما هجم

اما الفوز في هذه المعركة فكان بقيام القتال بطعن الحراب ومع ان الفرنساويين كانوا في العدد قدر الالمان وان زادوا فالزيادة لا تستحق الذكر لقلتها كان الالمان أقدر منهم على القيام بذلك القتال لان اجسادهم اثقل من اجساد الفرنساويين ولذلك كان طعنهم افعل ومنذ اشهار الحرب الى هذا الزمان وهو ١٨ آب (اغسطس) التزم قائد جيوش فرنسا وأحسن جنودها ان يلتجئوا الى ميتس وقد حل بالعساكر الفرنساوية ويل بعد ويل مع انه لم يكن قد مضى أكثر من شهر وتشتت شمل جيش مكماهون وترك الفرنساويون المراكز الحسنة التي كانوا قد أقاموا فيها ومعابر الفوج الصعبة بدون أن يحاولوا أن يمنعوا العدو عن التمكن من الوقوف فيها والمظنون ان تركها انما هو اما نتيجة جهل يصعب على الانسان أن يصدق حدوثه واما نتيجة خيانة وفي ذلك الوقت كان قد أمسى امبراطور فرنسا اسير حرب وكانت قد انقلبت الدولة الامبراطورية وتم ذلك جميعه في شهر واحد قصير

وكتب الدكتور روسل مكاتب التيمس عند حدوث ذلك رسالة بعث بها الى جريدة التيمس وصف فيها منظر ميادين الحرب ونتائج الحروب التي تقسي قلوب البشر وصفاً مخيفاً وقد قال في الرسالة المذكورة ان في ميادين الحرب جميعها ما يدل كل الدلالة على نتائج القتال فان جثث الجنود القتلى ملقاة فيها بدون ترتيب ومناظرها متغيرة بفعل آلات القتال تغيراً مخيفاً وقد اجتمعت الدماء بحيرات صغيرة في منخفضات أرض واقعة على جانبي الطريق ومساحتها نحو ميلين وقد انتشرت رائحة كريهة جداً وفي بعض الاماكن جثث القتلى ملقاة بعضها فوق البعض الآخر بدون انتظام وعلوها نحو ثلاث أذرع وفي أماكن كثيرة نري الجثث منضما بعضها الى البعض الآخر ورأينا في منخفض كثرت فيه الجثث جثثاً واقفة كاعمدة بعضها ملاصق للبعض الآخر وقد بلغنا خبر غريب عما صادفه فلاح وجدت جثته بلا رأس بجانب ضابط من ضباط جنود الزواف الفرنساوية وذلك بعد معركة كرافلوت بيوم واحد وكان في احدي يدي هذا الفلاح مصباح وفي الاخري سكين وقد قيل ان المظنون ان هذا الفلاح المنكود الحظ كان قد شرع في سلب ما كان مع ذلك الضابط وانه لما رأى انه لايزال حياً طعنه بسكينه ليقتله اذ انه رأى ان رصاص العدو لم يفعل فيه فعلا مميتاً وان الضابط شعر بالم الجرح الجديد فنهض وقبض على الفلاح من شعره وقطع رأسه بسكينة غير انه يصعب علينا تصديق هذا الخبر . والمؤكد ان كثيرين من الفلاحين والفلاحات الذين ربما كانوا يغيبون عن الصواب بمجرد النظر الى الدم كانوا يأتون ساحات القتال ويسلبون القتلي ولو كانوا من أبناء وطنهم وانهم كانوا يفعلون ذلك الفعل القبيح وهم يتكلمون ويضحكون كانهم قد خرجوا للتنزه حتي ان البعض كانوا يخرجون طالبين التنزه واقامة الولائم في تلك المحلات التى ملأتها جثث القتلى وكانوا يضعون مآكلهم على منسوجات مضرجة بدماء الجنود وأولادهم كانوا يلبسون خوذ القتلى وغيرها مما كانوا يجدونه ولبس أحد هؤلاء الاولاد خوذة مثقوبة برصاص وقال لرفيق له بلغة الالزاس واللورين

المركبة من اللغة الالمانية واللغة الفرنساوية بعد ان اشار الى الثقب ضاحكا : انظر كيف انني نجوت نجاة غريبة مع ان الرصاص قد ثقب خوذتي

وقد قال الدكتور روسل متعجباً انه مر في مكان ورأى فيه الجنود الفرنساوية المدرعة وأي هلاك قد هلكت وجثث كثيرين منهم في حالة مخيفة لانه لم يكن لها هيئة من فعل آلات القتال ومع ذلك كانت دروعهم كلها غير مثقوبة وقد دققت النظر انا وغيري في ذلك وتأكدنا صحته ولا اقدر انا ولا غيري ان نعرف كيفية هلاك هؤلاء القوم

هذا ولا يخفى ان نظام الجيش الالماني كان أحسن من نظام الجيش الفرنساوي وكذلك نظام خدمة الجرحي عندهم كان أحسن من نظامها عند الفرنساويين فانهم عينوا فرقة مخصوصة للاعتناء بالجرحي وكثيراً ما كانت خادمات الرحمة الالمانية ياتين ساحة القتال قبل انتهائه وكان يسير امام قوم منهن كاهن كاثوليكي اذا كان كاثوليكيا وقسيس بروستانتي اذا كن بروتستانتيا

ان الالمان تشكوا في أول الحرب من الفرنساويين لانهم ادخلوا في جيشهم جنوداً من اهالي جزائر الغرب غير اننا لانري سبيلا لتشكيهم لان الحرب انما هي عمل وحشي الافي ما ندر وفي ظروف قليلة واذا كانت كذلك فماذا يمنع القوم عن أن يستخدموا كل الوسائط التي يقدرون ان يستخدموها ليدافعوا عن أنفسهم وينكسوا عدوهم ويقهروه فان الاميركان والانكليز كانوا يستخدمون اهالي امريكا الهنود البرابرة ليقاتل بعضهم البعض الآخر بهم وقد شاعت أمور كثيرة مخيفة عن تصرفات اهالي الغرب فانهم ولئن كانوا على جانب عظيم من الشجاعة لا يعرفون قوانين الحروب المتمدنة وربما كان هؤلاء القوم الافريقيون قد ارتكبوا في أول الامر بعض الافعال المغايرة لمقتضيات الانسانية عند ما كان الفرنساويون والالمان يتصرفون التصرف الذي يليق بهم غير انهم غيروا تصرفهم بعد أن طالت مدة الحرب واذا صدقنا ما قرره الكتاب

الذين يظهر أنهم لم يكونوا منقادين الى الغرض نرى ان الالمان وعلى الخصوص البافاريين قد ارتكبوا من الافعال المخالفة للانسانيـة ماهو شر مما قال الالمان ان الفرنساويين ارتكبوه فى أول زمان القتال ومن المؤكد ان معاملة الاسرى الفرنساويين الاخيرين كانت غير معاملتهم في أول الامر وبالجملة نقول انه بعد أن يشتد هيجان المتحاربين يفقدون تلك الحاسيات الناتجة عن كرم أخلاق الامة التي تكون لهم في أول الامر.

هذا ولا يخفى أنه في أول انتشاب الحرب صادف الالمان المنكودو الحظ الذين كانوا في باريز وفي فرنسا وغيرهم من الذين كان يظن الفرنساويون انهم يميلون الى الالمان ولو كانوا من جنسهم معاملة بربرية ومع انه لم يصر اخراج كل الالمـان من كل البلاد الفرنساوية ولـكن صار اخراج الذين هم في ولاية السين التي منها باريز وكانت حالة الالمان الذين بقوا في فرنسا وغيرهم من الاجانب بحالة خالية من كل راحة وقد حدث حادث بربري يستحق التقرير في التواريخ وهو ان نائب حاكم بوستاك والمسيودوموني تجادلا في ١٦ آب (أغسطس) هما وأهالى بلدة هوتليه بالقرب من بيريجو من ولاية الدردون في جنوبي فرنسا وكان جدالهـم عن الحرب وكان القوم يظنون ان مسـيو دوموني هو من المضادين للدولة النابوليونية وكان أهالي هذه الولاية من المتحزبين للامبراطورية فتـكلم جمـلة عن البروسيانيين ولم يفهم القوم معنى كلامه فظنوه يحامي عنهم مع انه كان يلومهـم فهجم القوم عليه هجمة الذئاب بدون ان يمكنوه من ان يوضح لهـم معني كلامه وجرحوه و بعد ذلك أضرموا نارا في الشارع وأحرقوه واشترك فى هـذا العمل القبيح مائتان و بعد ذلك حاكمت الحـكومة ٢١ منهم على فعلهم وحكمت بالقتل على أربعـة منهم وعلى واحد بالسجن والاشغال الشاقة حياته بطولها وعلى تسـعة بأقل من ذلك وعلى خمسة بالسجن مدة ليست بطويلة وحكمت ببراءة اثنين منهم

وفي ١٧ أغسطس كان الامبراطور نابوليون في شالون فأقام بأمر امبراطوري الجنرال تروشو قائداً عمومياً للجنود المجتمـعة في باريز للدفاع عنها فانه كان قد ظهر ان جيشاً

١٠

جراراً من الالمان كان ذاهبا ليحاصرها وهكذا ترى انه ولئن انقلبت الدولة الامبراطورية بعد ذلك بمدة قصيرة كان الجنرال تروشو الذي تقلد قيادة الجيوش مدة الحصار كلها متقلداً وظيفته بأمر امبراطوري هذا والمظنون ان من يظن ان الامبراطور نابوليون هو امبراطور مخلوع يخطئ في ظنه لانه لا يخفى ان هذا الامبراطور لم يتنح عن حكمه تنحياً أصولياً واذا أقيم انتخاب عمومى بدون ان يدخله فساد تقدم له أكثرية تطلب ترجيعه وعلى الخصوص أهالي بلاد الزراعة

وعند ماتقلد تروشو وظيفته الصعبة نشر اعلانا قال فيه انه يؤمل ان الباريزيين يبينون كرامة أخلاقهم بالانقياد غير انه لم يذكر اسم الامبراطور الذي قلده الوظيفة ولا اسم نائبته التي كانت لاتزال في باريز وهذه من الامور المستغربة

وكان الفرنساويون يعرفون ان تروشو هو من القواد المشهورين بالشجاعة والدراية وانه من المؤلفين الحربيين فانه نشر سنة ١٨٦٧ كتاباً موضوعه بيان الاصلاح الذي تحتاج الجيوش الفرنساوية اليه ولو انتبهت الى هذا الكتاب حكومة الامبراطور لكسبت ماربما كان خلصها من ويل عظيم . وكان القوم يعرفون ان تروشو هو من المتحزبين للاورليان ولذلك لم يكن يركن اليه الامبراطوريون مع ان الامبراطور كان عارفا بانه من أهل الاهلية ومما يؤكد ذلك اقامته في وظيفة صعبة في وقت الاخطار . ومن الامور التي كان يضادها تروشو في كتابه تمكين الذين تقع عليهم القرعة العسكرية من الخلاص من الخدمة بدفع المال وهذا يجعل جيش فرنسا قليلا فانها لا تقدر ان تأتي ميدان الحرب الا بربع العدد المقيد في دفاترها ومنها أيضاً احتياج الجيوش الفرنساوية الى نظام مركزي



الجنرال تروشو

ص ٧٥

استعدادات باريز

وكانت باريز شارعة في الاستعداد للحرب لانها لم تكن تشك بان الالمان مصممون على حصرها

وفي ١٩ آب (أغسطس)أقامت الامبراطورة نائبة الامبراطور لجنة لتحصين باريز وعينت الجنرال تروشو رئيسا والمرشال فاليان والاميرال ريكولت دوجينو الى والبارون جيروم دافيدوالجنرال دوشامبور لاطور وجيوودانمار ودافريل وسومان وغيرهم بحسب الاقتضاء أعضاء للجنة المذكورة . فاستأجرت سبعة آلاف وخمسمائة فاعل للقيام بعمل جسورة متنقلة وفتح الطرق في الحصون للمرور منها الى باريز وبهدم كل مايسهل تقدم المحاصر ويمكنه من توجيه مدافعه على القلاع فقطعوا كل الاشجار المغروسة في منتزه غاب بولون وأشجار حرش فونتنابلو الجميل التي منها ماعمره ألف سنة وهدموا كل مافي الجنات الكثيرة والحدائق من الابنية وغيرها وأحرقوا أشجارها حتى ان الناظر كان يرى من كنيسة نوتردام أوغيرها من التلال ان باريز محاطة بلهيب مخيف و بدخان كثيف لايقدر ان يرى ماوراءه . وشرع الاهالي في جمع الزاد خوفا من ضيقات الحصر فارتفعت أسعار كل المأكولات سريعاً وقدمت المجالس البلدية مخازن لخزن الحنطة وغيرها من الزاد . ودعت باريز اليها فلاحي البلاد المجاورة لها فدخلوا بمواشيهم وكل ماينفع لقيام الاود وأخرجت منها كل أهل الكسل والبطالة الذين لانفع لهم الا في الاكل ومع ذلك بقي ألوف منهم في المدينة مع انه التزم كثيرون منهم حال كونهم من الفقراء ان يخضعوا لهذه الاوامر التي صدرت عن الضرورة التي

لاتراعي واجبات الشفقة فهلك منهم كثيرون جوعا - وأدخل الى باريز من البلاد المجاورة مائة وخمسون ألفا من الغنم وأربعون ألفا من الخنازير و ٢٥ ألفا من الثيران والعجول وصار اقامة قرض قدره ثلثون مليون جنيه انكليزية بسرعة لامزيد عليها وتقرر بدل قراطيس البنك بنقود عند طلب ذلك أما أهالي باريز فشرعوا في التحصين والتهيؤ للدفاع بنشاط وهمة ورغبة غير انه حدث في ١٤ آب (أغسطس) اضطراب في بولفارد ولا فيلت أتى الاهالي بقلق شديد أما الحكومة فاخمدته حالا وحكم بالقتل على كثيرين من المشاغبين بمجلس حربي

وكان أهالي باريز مشتغلين بالتحضير للذب عن ذمارهم حال كون الامبراطور الذي كان قد ترك قيادة جيوش فرنسا كان يذهب من مكان الى مكان هو وابنه بدون ان يكون مصمماً على اجراء شيء يمكنه من معرفة مايجب ان يعامله . غير انه قبل ان خرج من ميتس الخروج الاخير اجتمع بالبطل الشيخ الجنرال شا كرانيه وكان الامبراطور مختلفا هو وهذا الجنرال لانه كان يظن ان شا كرانيه كان يحسده على سطوته وربما كان مصيبا في ظنه لان هذا الجنرال كان يحاول الوصول الى الملك كما كان يحاوله نابوليون وذاك في سنة ١٨٥٠ و ١٨٥١ وكان هذا الجنرال من الذين باتوا في السجن بعد ان تمكن نابوليون من قلب الحكومة الجمهورية واقامة امبراطوريته وعند ماأطلق سبيله تمنع عن ان يحلف يمين الانقياد الى الامبراطور وخرج من فرنسا وأتى وسكن في بلجيكا هذا ولا نعرف هل الامبراطور أرسل ودعا شا كرانيه اليه أوهو أتى اليه من تلقاء نفسه غير اننا نعرف انه في ٨ آب (أغسطس) قابل الامبراطور هذا الجنرال الشيخ مقابلة لطف وعامله نعم المعاملة . وقد قالت الجريدة الباريزية المسماة بالفيغارو ان الجنرال وصل والمطر يهطل عليه هطلاً شديداً فرأى القليلون الذين كانوا ينظرون اليه رجلا شيخاً لابساً بنطلوناً ابرش ضيقاً فيه خطوط بيضاء وجبته كبيرة وعنقه قصيرة كانها غائصة بين كتفيه مع أن هذا الجنرال كان من الجنود الذين كانوا يعتنون كل الاعتناء فى

اتقان ملابسهم . ولما وصل الى الولاية أدخله الحارس ودعا اليه حاجباً ليعلم الامبراطور بقدومه فاخبر هذا الحاجب الجنرال رل بان شا كرانيه يرغب أن يقابل الامبراطور. فلما عرف الامبراطور بذلك أمر بادخاله اليه حالاً بدون تردد و بعد ذلك ببرهة قصيرة اجتمع الرجلان اللذان كانا قد انقطع أحدهما عن أن يكلم الآخر نحو ١٩ سنة . فقال الجنرال للامبراطور أيها المولى أن فرنسا في خطر وأنا جندي قديم وقد أتيت لاخدمك باختياري وسيفي الذي ربما كان لاينفع كثيراً لانني قد بلغت سن ٧٨ سنة غير انني اظن ان عقلي لايزال على ما كان عليه فاغلق الباب واجتمعا ساعتين و بعد ذلك فتح الباب فقال الامبراطور قدموا للجنرال طعاماً فانه لم يأكل منذ الصباح وقولوا للكونت دوز أن ينتخب افراساً للجنرال فانه منا ايها السادة وهيئوا له محلا لنزوله و بما أن هذا الجنرال الشيخ كان قد أتى رأساً من بلجيكا عند ماسمع بالتأخر الذي طرأ على فرنسا لم يأتي بشيء من ملابسه وغيرها من المفروشات فقدموا له كل ذلك وكانت تلوح على الامبراطور لوائح الفرح والسرور الشديد وأثر رجوع هذا الرجل الى الامبراطور تأثيراً حسناً في الضباط الذين رأوه مع الامبراطور في ملا كيمون لانه كان من أهل المجد والسطوة ومع انه كان يرغب كل الرغبة في أن يخدم بلاده خدمة صحيحة كان لايقدر مع شيخوخته أن ينشط الجيوش ويحملهم على الاركان اليه والرجوع الى النظام بعد أن انكسروا كسرات كثيرة ولا أن يدافع عن وطنه الذي كثيراً ماخدمه بأمانة في الشرور التي كانت داخلة اليه و بعد أن اجتمع الامبراطور بشا كرانيه أتى شالون ودخلها في ١٧ آب (أغسطس) فقابله الجيش مقابلة امانة مع أنه كان قوم من العساكر حتى القواد يخونونه باطناً وقد قال قوم انه كان يعرض الجيش للخطر للحصول على راحته الخصوصية وكان يؤخر مسير الجيش لئلا يلتزم أن يسير مسيراً ذميلا غير اننا نظن ان هذا انما هو من التهمات الباطلة التي لاأصل لها. هذا ولايخفى أن الامبراطور نابوليون لم يكن يجول في ذلك الوقت كالملك غليوم

الذي كان يحذو حذو السبارتيين ولكنه سار في رهط من الحشم والاعوان ومع ذلك نقول انه كان يحتمل اموراً كثيرة عند ما كانت تمس الحاجة كما فعل في فردون فانه ركب في منازل الرتبة الثالثة من المركبة وابنه الذي كان معه غسل وجهه في اناء قديم مشقوق ونشف الماء عن وجهه بمنديله . وقد تعدل عدد جيش شالون عند ماأتاه الامبراطور نحو ١٤٠ الفاً وكانوا جميعاً من الجنود المجربة والمتعودة خوض المنايا خلا ٣٠ او ٣٥ الفاً من الرديف. وكان هؤلاء الجنود بلا نظام ومائلين الى العصيان والمظنون انهم جروا بقدوتهم الردية كثيرين من الجنود الامناء الى العصيان . وقد قال مكاتب جريدة السياكل أن هؤلاء الرديف كانوا ينهبون مركبات الملابس والبارود والزاد وكانوا يرمون بصناديق البارود الى الطرق بدون أن يهتموا بالنتائج الردية التي تنتج عن ذلك اذا احترقت المهمات الكثيرة وانهم كانوا يسلبون ذلك ويبيعونه بأثمان بخسة للذين كانوا لايترددون عن أن يشتركوا معهم في الشر بابتياع المسلوب حتى انهم لم يتمنعوا عن سلب امتعة الامبراطور فسلبوها وباعوا بعضها بمبلغ لايستحق الذكر من الدراهم حتى انهم باعوا رأس السكر الابيض العال بما يساوي غرشين ونصف وبالة القهوة بفرنك واحد وكان الفرنساويون يرتكبون هذه الاعمال المغايرة والالمان يتقدمون يوماً فيوما ويزيدون اقدامهم ثباتاً في أراضي فرنسا حتى انهم كانوا قد تمكنوا من أن يضموا الى المانيا ولايتي الالزاس واللورين اللتين كانتا فرنساويتين مدة قرنين بعد أن كانتا المانيتين وفي ١٧ آب (اغسطس) عين ملك بروسيا الجنرال فون بونن واليا في اللورين ونائب الجنرال البرنس بسمارك بوهلن واليا في الالزاس . وبعد معركة كرافلوت بيومين أتى ظاهر ميتس جيش من جنود اللاندهير الالمانية لنجدة الجيش الالماني الذي كان نازلاً في ظاهر هذه القلعة التي لم يحصرها أحد قبل ذلك . وكان ابن ملك بروسيا يتقدم بجيوشه بثبات قاصداً باريز وأخذ أكثر جيش البرنس فردريك شارل يقوم بحصر ميتس

وابتدأ ذلك حق الابتداء في ٢٣ آب (أغسطس)

وفي ذلك الزمان اجتمع الامبراطور نابوليون والمرشال مكماهون الذي كان قد جمع شعث جيشه بعد ان انكسر في ورث وتشاورا وكانا يحبان ان يعرفا هل الاوفق أن يرجعا بالجيش الى باريز ليصدا تقدم ابن ملك بروسيا أوأن يذهبا به الى الجهة الشمالية الشرقية من شالون لينزلا بغتة على الجيوش الالمانيةالتي كانت تحاصر ميتس. اما الامبراطور فكان يحب أن يفعل بحسب مشورة مكماهون وهي أن يرجعا بالجيش الى باريز لصدابن ملك بروسيا عن التقدم بجيشه غير ان الوزراء في باريز قالوا ان الاحسن ان تصير مهاجمة الجيش النازل امام ميتس ولكن بما ان الامبراطور كان قد ترك قيادة الجيوش الفرنساوية وسلمها لنائبته والوزراء في باريز التزم أن ينقاد الى رأيهم مع أن مكماهون كان يقول انه لايقدر أن يفعل شيئا الاتحت اسوار باريز لان جيوش المانيا كانت قد كثرت في ظاهر ميتس فالتزما ان يطيعا قرار الوزراء والظاهر ان الله كان قد قدر على فرنسا الويل لانه صار ارسال احسن جيشها الى حيث لايقدر ان ينفع البلاد بشيء وصار التمنع عن اجراء ماربما كان يدفع كل الويل عن فرنسا ولذلك خرج المرشال مكماهون وجيشه من شالون قاصداً نجدة بازين مع انه كان يعرف انه لايقدر ان ينفعه بشيء وفي ٢٤ آب اغسطس دخلت موخرة جيش الماني شالون واستولت عليها بدون ان تصادف ممانعة . وقد كتب مكاتب جريدة التيمس رسالة يصف بها مسير جيش مكماهون وقد قال ان خيل المدافع كانت ضعيفة وكانت مركبات المدافع قليلة وغير مرتبة ومخربة وكان الفرسان قليلين وضعيفي العزائم أما جيش المشاة فكان أكثره من الرديف الذين لم يكونوا متعودين الحرب وكان قليل النظام والجسارة وعلى الخصوص بعد ان صادف الفشل الذي صادفه وبالجملة نقول ان الجيش المذكور كان محتاجا الى أمور كثيرة من شأنها تقويته وتنشيطه . وكان الامبراطور يسير بجانب الجيش حال كونه معتزلا عن قيادته ولم يكن يبان للناظر انه هو ذلك القائد

المشهور الذي كان يوقع الرعب في قلوب أعدائه وينشط جيشه ويحمله على الأعمال الكثيرة الحسنة التي كان يعملها جيش فرنسا وكان يليه بعظمة ملوكية في مسيره معهم في حشمه وأعوانه وكان معه ابنه البرنس امبريال الذي كان قد أخرجه من القصر ليشاهد الفوز والنصر ولكنه لم يشاهد غير ما كدره من الكسر والفشل . انتهى

وكان الالمان يشددون الحصر على ستراسبرج عندما كانت هذه الامور تحدث في جوار شالون وميتس

وقبل ان أقام الالمان حصر ستراسبرج بعث الجنرال دوبية الالماني رسولا الى الجنرال أوهرش قائد الجيوش الفرنساوية في ستراسبرج ليطلب اليه ان يسلم قبل اقامة الحصار ولما دخل الرسول المدينة تبعه كثيرون من أهاليها وكانوا يصرخون بأصوات عالية ويقولون باللغة الالمانية اننا لا نسلم ولما بلغ هذا الرسول القائد الفرنساوي طلب القائد الالمانى أجابه بفتح النافذة والاشارة الى القوم الكثيرين المجتمعين مع جميع الرتب وكانوا يصرخون في الشوارع قائلين الويل لبروسيا ولتعش فرنسا اننا لا نسلم . هذا ولم يظهر قوم فى أوقات كهذه ما أظهره أهل هذه المدينة مما يدل على النشاط وحب الوطن وقد قاموا بالمدافعة حق القيام حتى رأوا انه لا سبيل الى المحاماة عن أنفسهم بدفع الجيوش الكثيرة التي حاصرتهم وكان الفرنساويون قد قاموا بحق الاستعدادات اللازمة للدفاع اذ أنهم كانوا ينتظرون الحصر وفي ١٦ آب (أغسطس) خرجت الجنود منها الى جهة أوستوالد وهاجموا المحاصرين غير انهم التزموا ان يرتدوا بعد ان قتل كثيرون منهم وخسروا ثلاثة مدافع . أما الالمان فلم يطلقوا الكرات على هذه المدينة الا في ١٩ آب (أغسطس) وذلك من بلدة مجاورة لها تسمى كهل وكان حراس المدينة يطلقون المدافع على الالمان المحاصرين في الوقت نفسه اطلاقا حسناً

— هجوم الالمان على فالسبرج وغيرها —

وفي ١٨ (آب) اغسطس هاجم الالمان مدينة فالسبرج وقلاعها وكان الدكتور روسل مكاتب التيمس ناظراً لذلك فوصف المعركة وصفاً حسناً وما يأتي هو ترجمة كلامه ان الالمان أقاموا حواجز في احدور يبعد عن فالسبرج نحو ميل ونصف في الجهة الغربية منها و وضعوا مدافعهم وراءها وكانت هذه المدافع مقامة في ثلثة صفوف يبعد كل منها عن الآخر ولكنها جميعاً موجهة الى مكان واحد وكان وراء هذه الصفوف مدافع كثيرة للاستعمال عند ماتمس الحاجة وكانت موضوعة بالقرب من بلدة فيشم وتبين لي ان الالمان لم يستخدموا غير ثلاثة صفوف من مدافعهم غير انهم أحسنوا اطلاقها حتى ان النار شبت في فالسبرج في ثلاثة أماكن في وقت واحد وكانت كرات المدافع الكبيرة في الجهة الشمالية الغربية تندفع هي ودخانها الابيض وتخرق ذلك الدخان الاسود المحمر في أسفله وكانت المدافع تطلق الكرات المحشوة والقطع الحديدية من الجهتين . وكانت الكرات تقع في فالسبرج بتتابع حتى انه كان يصعب على المحصورين ان يخمدوا نيرانها وقد بلغنا ان القائد تيل الفرنساوي كان يحلف ان فالسبرج لا تسلم مادام فيها رجل واحد قادر ان يطلق المدافع على الالمان . و بعد ذلك شبت النار في كل المدينة والدخان يتصاعد كثيفاً ومع ذلك كانت مدافع الفرنساويين تطلق كراتها بترتيب كانه لاخطر في داخلها . انتهى ملخصاً

هذا وكان المظنون ان بوارج فرنسا تتمكن من ان توقع ضرراً كبيراً في بوارج بروسيا وتجارتها لانها أقوى وأحسن نظاما منها غير انها لم تتمكن من المرغوب ولكنها قامت بمعارك صغيرة قليلة في بحر البلطيك وكان الفوز فيها للفرنساويين فانهم كانوا يهاجمون بوارج بروسيا ويلزمونها ان تطلب الفرار وكان يقتل ويجرح قليلون من الفريقين في المواقع المذكورة ولم يتمكن الفرنساويون من أن يضروا كثيراً بتجارة بروسيا

لانها ضيقة الدائرة ومراكبها التجارية قليلة جدا مع ان الفرنساويين كانوا يؤملون بأنهم يقدرون ان ينكلوا ببروسيا و يفقروها بواسطة ايقاع الضرر بتجارتها

اننا قد قررنا ان المرشال مكماهون لم يستحسن الكيفية التي قررتها الحكومة الفرنساوية لقيام المحاربة بنجدة المرشال بازين في ميتس . فان ذلك المرشال البطل كان يعلم حق العلم ان الصواب في ان يبادر بجيشه القليل الذي كان أكثره من الرديف الذي صار جمعه بسرعة لامزيد عليها الى نجدة باريز التي أمست في خطر من هجمات الالمان . ومع ذلك كان ملزما ان ينفذ أوامر الحكومة بحسب امكانه و بناء على ذلك تصرف تصرف قائد عاقل فيما يتعلق بالخضوع الى أوامر أولياء أموره بدون ان يظهر تذمره أو ان يسمح لتردده أن يؤخره عن أن يقوم بحق واجباته . وقد قال مكاتب جريدة الطان الفرنساوية أن المارشال مكماهون قال عند ما شرع في تنفيذ أوامر حكومته انني أرى أنني معرض فرنسا للخطر في ترك طريق باريز مفتوحة ولا أقدر ان أترك أقوى جيوشنا في خطر مبين واذا تمنعت عن ان أبادر الى نجدة بازين يحملني الذين يحسبون انني من الحاسدين كل المسئوليات التي يقدرون ان يحملوني اياها

هذا والظاهر ان القواد والجنود الذين كانوا تحت قيادة المرشال مكماهون كانوا يعتقدون اعتقاده في مايتعلق بوجوب المبادرة الى الدفاع عن باريز غير انه ربما كان أكثر هولاء الجنود الذين لم يتعودوا خوض المعارك راغبين في مجانبة قيام القتال وكان بعض القواد يقولون انهم مؤكدون بالحصول على الفوز غير ان لوائح الحزن اذا لم نقل خيبة الامل كانت تلوح على أوجه أكثرهم ولايخفى ان ذلك مما يضعف الجيش كثيراً فيبيت غير قادر ان يفعل الافعال التي يجريها اذا كان متأكداً النجاح

وفي ٢٣ آب (اغسطس) خرج الجيش من رهمز وهي مركز ولاية شامبين وربما كانت تغيرت أحوال الحرب وتمكن الفرنساويون من الفوز لوسار مكماهون بجيشه سيراً سريعاً . ومع أنه يصعب علينا أن نصدق ان مكماهون كان يتردد عن القيام

بمقتضيات الحال لانقدران نسكران سير الجيش لم يكن سريعاً حتى ان بطء السير قطع كل الامل من نجاح العساكر الفرنساوية في تلك المعارك . وربما كان ماكماهون غير قادران يسير بجيش كالجيش الذي أمسي تحت قيادته مسيراً أسرع من السير المذكور وهذا أقرب للتصديق من ان نصدق ان مكماهون تأخر عن ان يقوم بواجباته حق القيام . وكيفما كانت الحال نقول ان بطء سير الجيش طرح فرنسا في خطر مابعده غير سوء العواقب وفي ٢٦ من الشهر المذكور وصل الى نصف الطريق الواقعة بين رهمز و بين ميتس مع انه لوسار سيراً سريعاً لتمكن من الوصول الى ميتس في ذلك اليوم ولولم يعرف ولى عهد ملك بروسيا وولي عهد ملك ساكسونيا بالطريق التي سار فيها مكماهون وبانه قد ترك طريق باريز مفتوحة بحيث أصبحا قادرين ان ياتياها بلا معارض عند مايرغبان ان ياتياها لتمكن المرشال مكماهون من نجدة بازين قبل أن يقدرا على منع جيشه من الوصول الي المكان المرغوب ليساعد جيش ميتس ولكن لما رأي وليا العهد المشار اليهما انه مامن شيء يعيقهما عن الذهاب الى باريز عندمايرغبان في الذهاب اليها ارتدا ليمنعا جيش مكماهون عن التمكن من نجدة جيش بازين وسارا بجيشيهما الى الجهة الشمالية بعد ان كانا يسيران الى الجهة الغربية واخذا في مطاردة جيش مكماهون الذي كان جيشاً غير خال من الخلل

وانضمت فرقتان من جيش المانيا الجنوبي الى الفرقة الثانية عشرة من الجيش الرابع وسارت جميعها على شاطيء الموز الغربي . وسارت فرقة حراس بروسيا والفرقة الرابعة من الجيش الرابع في شاطيء نهر السار الشرقي . وسارت بقية فرق الجيش الثالث الى جهة سيدان . وفي تلك الاثناء كان المرشال مكماهون ومعه الامبراطور وولده يسيرون سيراً ذميلاً الى جهة ميتس مارين في اركون السفلي الى مونميدي . وقد قال الذين يعرفون فنون الحرب ان هذه الطريق هي أوفق طريق لمرور جيش مكماهون في هذا الوقت غير انه لم يكن معه مايلزم له من الفرسان . وقد قلنا ان أكثر هذا الجيش كان

من الجنود الذين لا اختبار لهم في أحوال الحرب ومن الذين لا يحافظون حق المحافظة على النظام . ومع ان المرشال المذكور كان من الذين كانت الجنود الفرنساوية تركن اليهم كل الاركان قل اركان الجيش اليه بعد معركة ورث . ولم تصل طليعة جيش مكماهون في ٢٩ آب (اغسطس) الا الى بوزانسي وقلبه الى استون و بومون . والتقت طليعة جيش الفرنساويين بطليعة جيش الالمان وحدثت معركة صغيرة وانكسرت فيها طليعة الالمان . وحدثت معركة أعظم من هذه المعركة في بوزانسي في ٢٧ من الشهر المذكور بين الفرقة الثانية عشرة من الشاسور الفرنساويين والثالثة من فرسان السكسونيين الذين كانوا مستبدين الي بعض الفرقة الثامنة عشرة من الاهلانز الالمان والزونكر فانكسر الفرنساويون كسرة شديدة قتل فيها كثيرون منهم . وفي ٢٨ الشهر المذكور حدثت معركة صغيرة في دن استني وفي موريزون وفي ٢٩ منه اطلق فرقتان من البروسيانيين النار على قرية فريزي وفتحوها واسروا مافيها من الجنود الفرنساويين وكان أكثرهم من التركو . وحدثت في ٣٠ آب (اغسطس) معركتان مهمتان وانكسر فيهما الفرنساويون وهكذا نرى ان مكماهون كان يصادف المصائب وهوسائر بذلك الجيش قاصداً نجدة بازين وأمسى في بلاد ضيقة وهي عند حدود فرنسا ولكزمبورج والاعداء تتهدده من امام ومن الوراء . وفي صباح ٣٠ الشهر المذكور شرع في قطع نهر الموز ومع ان الجيش كان قد صادف نكبات كثيرة وهو آت الى جهة ميتس أرسل الامبراطور رسالة برقية الى باريز مآلها انه منتظر ان يفوز فوزاً عظيما . فقطع النهر المذكور فرقتان من الجيش الفرنساوي غير انه قبل ان تمكنت الفرقة الثالثة من قطعه هجمت عليها فرقة بافارية من الجيش الثالث الالماني . وكانت هذه الفرقة قد أتت بومون خفية بالمسير في بلاد فيها احراش كثيرة وكانت واقفة وقوف المستعدين للحرب وهي مستترة بالاحراش وعندما كبس الالمان الفرنساويين وهم يعبرون النهر المذكور التزمت الفرقة التي كانت لاتزال في الجهة الغربية من النهر ان ترجع الى الوراء . وقبل ان تمكن الجيش



ولي عهد ملك ساكسونيا

الفرنساوي من ان ينضم بعضه الى البعض الآخر انضم الى جنود ولي عهد ملك سكسونيا فرقة اخرى من جنود المانيا ولما وصل الفرنساويون الى الجهة الاخرى من الموز هجم الالمان عليهم هجوماً شديدا فانكسروا بعد ان قتل منهم كثيرون وذلك في موزون

اما الفرقتان اللتان كانتا قدعبرتا النهر فهجم عليهما قسم آخر من الجيش الساكسوني في كارينان فانكسرتا بلا ترتيب ومع ذلك تمكنتا من ان تنضما الى قلب الجيش الذي بعد ان انكسر في موزون كان يطلب الفرار ويرمي باسلحته ومهماته . وبعد ذلك جمع المارشال مكماهون جيشه وسار به سيرا سريعاً الى ان قطعوا نهر الشير تاركين بينهم وبين العدو النهر المذكور وهكذا أمسى الالمان لايقدرون ان يصلوا اليهم في ذلك الوقت غيرانهم باتوافي مراكز غير حسن والظاهر ان القواد لم يجتهدواحق الاجتهاد في ان يتغلبوا على المصائب التى حلت بالجيش وقد قيل انهم في مساء يوم الكسرة المذكورة حضروا مأدبة رقص في دوزى غير اننا نكاد لانصدق هذا الخبر وفي مساء ٣٠ آب (اغسطس) وصل الامبراطور الى كاريان ولكنه ذهب منها حالا واتى المارشال مكماهون الذي كان في جوارسيدان

وقد كتب مكاتب جريدة التيمس مايأتى وهو في ٣١ آب (اغسطس) صرف المارشال مكماهون النهار في اقامة جيشه في مراكزه وربما كان معه مائة وعشرة آلاف جندي هذا بعد ان نسقط عدد الذين قتلوا في المعركة الاخيرة والظاهر انه لم يصل اليه العشرون ألف جندي الذين أرسلوا اليه من مزيير وكان معه نحو ٤٤٠ مدفعاً ولابد من انه كان عارفاً بالخطر العظيم الذي كان يتهدده فان ولي عهد ملك سكسونيا كان امامه في عبر نهر الشير ومعه كل جيشه وكان عن يمينه في عبر الموز كل الجيش الجرار الذي كان مع ولي عهد ملك بروسيا

هذا والظاهر ان المرشال رتب جيشه وهو يظن ان الالمان يهاجمونه من امام ومن الميمنة .

ومع انه لم يكن عارفاً ان ولي عهد بروسيا ناو على مهاجمته . وكان جيشه في خط طويل ممتد من جيفون في الجهة الشمالية الى قمتها في باريل و بالو ومن هناك الى الوراء حتى سيدان . وكانت ميسرته في جيفون والحرش القريب منه وكانت من اضعف جنوده اذا كان ظن انه دون الوصول اليها موانع كثيرة وعلى الخصوص لان في القرب منها حدود مملكة على الحياد وكانت صفوف الفرنساويين ممتدة على القمم الممتدة الى جهة سيدان . اما القلب الايمن فكان في بازيل و بالو . واقام مكماهون احسن جيشه واقواه في هذ المركز للمحافظة على طويك كاريذان وليقود طليعته الممتدة الى الامام . اما المراكز التي كان قادراً ان يحصنها فكانت بين جيفون وسيدان فاقام فيها المدافع والجنود المشاة ووجه بعضها الى جهة الاحراش الكائنة في الوادي واقام في بعض المحلات حواجز لمنع هجوم العدو الذي كان يترصد هجومه . اما ميمنة الجيش التي كانت ممتدة وراء سيدان فكانت محمية بنهر الموز و بالجهة الغربية من المدينة و بالاراضي التي ادخلوا ماء النهر اليها بحيث تبيت جنود الاعداء غير قادره على قطعها واقام وراء سيدان جنوداً كثيرين مع انه لم يكن مكماهون يترصد هجوم الاعداء من تلك الجهة . وكان نهر الشير يجري مقابل الجيوش الفرنساوية من دوزي الى راملي وكان حاجزا بين ولي عهد ملك سكسونيا و بين جيش مكماهون وهكذا اقام مكماهون بجيشه بين نهرين وهما الشير والموز ووراءه موانع كثيرة الانواع ينتظر هجوم الالمان و يقال ان الامبراطور المنكود الحظ كان لا يزال يأمل بالفوز ومع ان الالمان كانوا عازمين على ان يهاجموا سيدان مهاجمة شديدة ليمنعوا وصول النجدة الى بازين في ميتس لم يهملوا اعمالهم في جهة اخرى فان جنودهم كانت كافية لتمكنهم من اجراء كل ما كانوا يحبون ان يجروه مع أنه لم يكن للفرنساويين ما كان يلزمهم من الجيوش . وكانوا يجمعون عند سيدان جيشاً كان يحسبه رجال السنين الماضية من اعظم جيوش اكبر الدول حال كونه كان لهم جيش آخر كان قادرا ان يقوم بالاعمال التي كانوا

يرغبون في القيام فيها وكانت ترد رجال متسلحة حق التسلح من كل الجهات عند ما كانوا يدعونها حتى انه كان يظهر للناظر انهم قادرون ان ياتوا بالعدد الذي كانوا يرغبون في ان ياتوا به وما ذلك الا نتيجة الاستعدادات التى كانوا يهيؤنها منذ سنين كثيرة ونتيجة جهل الوزراء الفرنساويين الذين فتحوا الحرب بدون ان يكونوا عارفين قوة جيش أعدائهم وضعف جيشهم ·

— حصار ستراسبرج —

وكان الجيش الآخر الالماني الذي كان يحاصر ستراسبرج محصناً في مساء ٢٣ آب (اغسطس) في محل لا يبعد اكثر من ميل عن القلعة وفي ذلك الوقت استلم الطريق الحديدية واقام فيها مستنداً الى مدافع كهل وكان مركز ادارة هذا الجيش نازلا في الامبرتيم التي تبعد نحو خمسة اميال عن ستراسبرج وفي اليوم الرابع والعشرين انتشب القتال بين عساكر المدافع الالمانية والقلعة ولم ينته الى صباح اليوم الخامس والعشرين فانتشبت النار باثناء تلك المعركة الشديدة من الجهة اليمنى من القلعة وخربتها اما مخازن المهمات فانهدمت الى الارض لان نيران الالمانيين كانت شديدة جدا وانتشبت النار في محلات كثيرة من المدينة وتمكن الألمان من ان يخمدوا نيران صف واحد من مدافع الفرنساويين بمدينة كهل و ينزلوا بهم و يلاعظيما واضرارجسيمة واحرقوا البلدة بنيرانهم وامست اكثر البيوت أثراً بعد عين ومع ذلك لم يظفروا نتيجة نهائية وفي اليوم السادس والعشرين احتفر الالمانيون خنادقهم على بعد ٨٠٠ يرداً و نحو نصف ميل عن اسوار المدينة ·ثم شرعوا بتعطيل الحفرة التي تمنطق القلعة بتحويل مجرى نهرايل ومنذ ذلك الزمان امست ستراسبرج في ضيق حتى ان الاسقف الذي مات بعد ذلك بقليل حاول ان يتوسط في امر الصلح فذهب وقابل رئيس معسكر الباديين اللوتنان كولونال لازنسكي

وطلب أن يصير السماح للاهالي الذين لم يشتركوا في القتال بالخروج فلم يحز طلبه القبول وعندنا ان هذه من الفساق ، ثم عقدت هدنة أربع وعشرين ساعة بشرط انه بعد مضي ساعة يشرع حاكم ستراسبرج في ان يطلب المخابرة على انه لسوء الحظ لم يات ذلك بنتيجة وقد قال الالمان ان القامة اطلقت الاسلحة على اللوتنان كولونال لبزانسكي المذكور وهو راجع الى معسكره وكان حاملاً راية بيضاء بعد أن قابل الاسقف هذا ويصعب علينا تصديق هذا الخبر فان كان ذلك صحيحاً اولا لخرق قوانين المحاربة التي يعتبروها كل الناس حتى المتوحشون هو من الامور التي لا يسبل عليها ذيل المعذرة ثم اقيمت المهاجمة وانقطعت المخابرة بوقت قصير .

اما معركة ستراسبرج التي قدر الله عليها الخراب والتي هي بلا ريب احسن المعارك التي اقامها الفرنساويين في هذه الحرب فيحق للامة الفرنساوية المشهورة بالبسالة والشجاعة ان تفتخر بها ولما سمع الباريزيون باعمال أهالي ستراسبرج الناتجة عن الهمة والنشاط والثبات الناتج عن البسالة افتخروا وابتهجوا وربما ان معظم سرورهم هذا كان لكون اهالي عاصمة اللورين الذين دافعوا عنها احسن دفاع هم الالمانيون ومن جيش الشعب الذي كان يحاربهم لانه منذ انقسام الاراضي الفرنساوية بقيت ستراسبرج مدينة المانية الى سنة ١٦٨١ لما فتحها الملك لويس الرابع عشر وضمها الى فرنسا اما هذه المائة والتسعون سنة التي مضت منذ فتحها ذلك السلطان العظيم فقد صيرت الاهلين فرنساويين بالميل والغرض مع ان كثيرين منهم لا يزالون يتكلمون باللغة الالمانية ويا حبذا لو اكتفى الباريزيون باظهار سرورهم وابتهاجهم من الابطال الذين دافعوا عن ستراسبرج فانهم انقادوا بميلهم الى الامور الشخصية وشرعوا في تكريم الصنم المقام في باريز رمزاً عن ستراسبرج وعلقوا حوله زهوراً ورياحين ورايات وكانوا يزورونه يومياً ويصلون عنده وينشدون النشائد الوطنية وكانوا يرقصون احيانا حوله ويلزمون كل من مر بهم ان ينضم اليهم ويشاركهم في ذلك فاعلين موضوعا لذلك ما كان يجب ان يكون موضوعا لمحبة الوطن .

هذا وقد ذكرنا ان الجنود الالمانية كانت تقوم بحصر ميتس وستراسبرج في وقت واحد وفي ٣٠ آب (اغسطس) خربت بعض شوارع مدينة ستراسبرج واحترقت مكتبتها التي تحتوي على ١٣٠٠٠٠ كتاب خطاً وطبعاً ومنها مالا يمكن تعويضه اما الاهلون فكانوا يلتجئون الى السراديب لانهم لم يكونوا يأمنون على انفسهم في غيرها وفي وقت قصير انقطعت كل اللحوم من المدينة خلا لحم الخيل الذي ارتفعت اسعاره ارتفاعاً كثيراً وتعالت أسعار البطاطا فبيعت الليبرا بسعر عشرين فرنكا وقس عليها غيرها ومع ذلك كان اكثر الاهلين يحبون ان يلبثوا مظهرين من الشجاعة مالا مثيل له ودافع الفرنساويون عن ميتس مدة طويلة بشجاعة و بسالة واتى الفرنساويون بماء النهر واطلقوه في الاراضي المجاورة لميتس ليمنعوا العدو عن الدنو منها بالوحول وكان المرشال بازين الذي اتهموه بخيانة المدينة منتظراً داخل خنادقها وحصونها الحصينة هجمات العدو الذي كان مشتغلا باقامة طريق حديدية ليتمكن من الانتفاع بالطريق التي بين ميتس و باريز قبل فتح ميتس وفي آخر آب (أغسطس) حذت الحكومة المحلية في ميتس حذو حكومة باريز فطردت عدداً غفيراً من الذين ياكلون ولا ينفعون مع كل الذين لا يحسنون السلوك وكل الذين لا يقدرون على القيام باودهم ومساعدة المدينة بسبب المرض أو العمى أو غير ذلك .

وقد كتب أحد الكتبة الذين شاهدوا هؤلاء القوم خارجين ما يأتي: ان منظر هؤلاء القوم المنكودي الحظ الخارجين من ابواب ميتس تقشعر منه الابدان فكنت ترى بعضهم لابسين ملابس رثة وآخرين مرضى وقوما كسالى وكان العرج والعمى والمصابون بالضيقات سائرين بجانب الاشداء والمناوشين ولا تدري ماذا الم بهؤلاء المنكودي الحظ على انه ربما كان نصيبهم يحاكي نصيب ذباب اودية المانيا القريبة والا الزاس التي هربت من الاحراش من هول دوي مدافع معركتي ورث وسار بروك واتت الاردان و بلجكا فقتلها الاهلون . اه

والمظنون ان أغلب هؤلاء المنكودي الحظ قد هلكوا من البرد والجوع ويصعب على الانسان ان يصادف ذلك في بلاد متمدنة ولكن هذه هي من ويلات الحروب التي تدعى مجيدة .

وفي ١٧ آب (اغسطس) حدثت في باريز حادثة مكربة وهي ان شابا بروسيانيا اسمه كارلوس كان قد القي القبض عليه كجاسوس في جني من مقاطعة لوار التي تبعد قليلا عن باريز وأحضر امام مجلس حربي وأقيمت محاكمته ثم صدر الأمر بقتله والمظنون انه كان رجلا قليل العقل حمله حمقه على ان يدعي انه متقلد وظيفة لم يكن متقلدها فاتوا به الى باريز وقتلوه في التاريخ المذكور .

وقد كتب مكاتب جريدة لندن جورنال بهذا الشأن ما يأتي :

ان المكان الذي خصص لهذا العمل كان المدرسة العسكرية وكانت دارها مملوءة من العساكر النازلة هناك وكانوا جميعهم مصفوفين أما الساعة المعينة لذلك فكانت الساعة السادسة قبل الظهر فقادوا الاسير الى مكان في عرصة الدار ولما دنا منه السجان ليربط يديه رجع الى الوراء وقال . لا تفعل اني ارغب أن أموت موت جندي ولكن عند ما قيل له انه لا بد من اجراء القانون بهذا الخصوص خضع له فربط منديلا على عينيه وعند ذلك قال انه يرغب أن يأمر الجنود ان يطلقوا عليه الرصاص وتقدم أرجونت كدروت كاتب المجلس الحربي المذكور وقرأ الحكم بقتل ذلك الجاسوس وكان القوم يسمعون قراءته صامتين وعند نهاية احدى الجمل ظن الاسير انه قد تمت نهاية الامر فصرخ قائلا اطلقوا الرصاص أيها الاوباش وحذار أن تخطئوني فلم تبد الجماعة عملا لانهم ينتظرون اشارة القائد ولما انتهى أرجونت من قراءة الحكم استل القائد المولي قيادة الجنود المستعدة لاطلاق الرصاص سيفه فرفعت الجنود بنادقها الشاصبو الى اكتافها ووجهوها نحو الاسير فانزل القائد سيفه وأطلق الجنود اثني عشر طلقا من الرصاص كانها طلق واحد وقبل ان تمكن الحاضرون من استماع صوت الرصاص

سقط الاسير الى الارض على جنبه الايمن وكان قد تمزق قميصه شذر مذرا في الجهة اليسرى من صدره لنحو قلبه وذلك من الرصاص و بعد أن مات تقدم أحد الجنود وكان في مؤخرة الذين أطلقوا الرصاص وأطلق غدارته في دماغ القتيل ثم كفنوا الجثة بما عليها من الثياب وحملوها الى مقبرة مون برناس فتوارت بكل عجلة في حفرة أعدت لها . اه

وكانت هذه الحادثة ابتداء الهيجان في باريز على الجواسيس سواء كانوا جواسيس في الحقيقة أو متهمين فقط واتهم كثيرون من الابرياء والقي القبض عليهم كجواسيس حتى بعض كتبة الجرائد الذين بعد أن صادفوا صعوبات كثيرة ومعاملة غير حسنة تمكنوا من أن ينجوا بانفسهم وفي ٢٣ آب (أغسطس) جمع الالمان عدداً غفيراً من جنودهم ليقيموا معركة عظيمة في سيدان مع انهم كانوا يحاصرون ستراسبرج وميتس وكان قسم من جنودهم يسير قاصداً باريز وعند أواخر الشهر تمكنوا من جمع جيش جرار بالقرب من القلعة وفى أول أيلول (سبتمبر) رأى مكماهون نفسه وهو في مركز دفاعه انه بات مقابل تلك الجيوش الجرارة وانضم جنود كثيرون في الليل السابق الى الجيوش الفرنساوية والجيوش البروسيانية المذكورة على ان الفرنساويين كانوا أقل عدداً من الالمان وذلك بحسب العادة وكان جيش الالمان نحو ٢٤٠٠٠٠ رجل ومعه ٦٥٠ الى ٧٠٠ مدفع وكان الالمان قاصدين ان يحيطوا بكل الجيش الفرنساوي ويحصروهم في سيدان ليقطعوا عنهم سبل الرجوع ويلزموهم ان يسلموا فنجحوا فى ذلك نجاحاً لم يكونوا ينتظرونه .

فصدر الامر لولي عهد ساكسونيا ان يهاجم ميسرة الجنود الفرنساوية القصوى وطليعتهم في وقت واحد وأن يرسل بعض جنوده الى المؤخرة لتنضم الى فرقة من الجيش الالماني الثالث ويهجما على مؤخرة الجيش الفرنساوي الذي يكون قد أمسى مرتبكا من جراء مهاجمات البرنس المومإ اليه هذا اذا نجح في مهاجمة الميسرة والطليعة وكان من واجبات ولي عهد ملك روسيا ان يهاجم القلب الأيمن من جنود مكماهون

وذلك في الصفوف المقيمة بين بازيل و بالو ليتمكن من ايقاع الارتباك في ميمنة الفرنساويين ومن الانضمام الى جنود ولي عهد ساكسونيا في الشمال . وكانت كل حركة تقيمها الالمان تصادف فيها نجاحاً تاما وتمكنت فرق الجيوش من أن تحل في المراكز التي كانت قد تعينت لها فان جيش ولي عهد ساكسونيا كان ممتدا على شاطئ شيار وولي عهد بروسيا كان حالا في الاراضي الواقعة وراء راملي الى جهة الموز وكان في مراكز أخرى كثيرة جنود مستعدون للانضمام اليهم عند ما تمس الحاجة وكان البافاريون قد عبروا نهر الموز وكانوا متاهبين لمهاجمة بازيل .

ومن جملة ما ارتكبه الفرنساويون من الغلط المضر الذي صير الحرب تعسة عليهم انهم أهملوا هدم جسر نهر شيار فعبره الالمان ولم يصادفوا ممانعة فزحفت جنود ولي عهد ساكسونيا على جيفوت بينما كان البافاريون يزحفون على بازيل وابتدأت المعركة الساعة السادسة صباحا وعند الساعة التاسعة اشتد جداً اطلاق المدافع التي كانت مصفوفة امام الصفوف بعضها قريب من البعض الآخر .

قد ذكرنا ان أضعف قسم من جنود مكماهون كان نازلا في جيفون لأنه ظن انه لا تقام في ذلك المكان مهاجمة وانه اذا هجم عليها العدو لا يقدر عليها وبما ان القدر والنحس كان يسوق الفرنساويين الى ارتكاب الغلط في أعمالهم في هذه الحرب كانت تلك المراكز هي المراكز الاولى التي هاجمها العدو اما الجنود التي كان يظن بانها قادرة على ان تحميها ولئن كانت حالتها بئس الحالة فانكسرت بلا ترتيب عند ما دنا منها العدو .

و بعد أن قاتل الالمان قليلا تمكنوا من كسر ميسرة الجيش الفرنساوي وكانت الجنود المكسورة قد اركنت الى الفرار بلا ترتيب والتجأت الى الاحراش واستندت الى قلب الجيش فاتته بالخوف وأوقعته في ارتباك عوضاً عن أن تساعده فيما لم يكن محتاجا الى مساعدتها فيه وعند الساعة العاشرة انضم جيشا الالمانيين المذكوران وانتصر الالمان

نصرات عـديدة في محلات كثيرة وتقهقر قلب الجيش الفرنساوي وكانت الحرب لا تزال شديدة جدا فان الفرنساويين لم يرجعوا قيراطاً بدون أن يدافعوا عنه كل الدفاع ودافع الفرنساويون في بازيل و بولو وهما أهم مراكزهم دفاعا بلغ النهاية في الشدة. وكان الامبراطور قائد الجيوش في المكانين المذكورين وقد قيل انه عرض نفسه للمخاطر بدون أن يبالي بها اذ انه كان يعرف بلا ريب انه اذا انكسر في هذه المعركة يخسر كل ماله و ينقطع أمله من الحصول على غاياته ومقاصـده ومن دوام الملك لسلالته .

وكان الفرنساويون يجتهدون اجتهاداً عجيباً في أن يرجعوا المراكز التي خسروها حتى انه ظهر اكثر من مرة في ذلك النهار فانهم كانوا يكادون يفوزون بالنصر بعد ان كادت تفوز اعداءهم عليهم . وبينما كان قلب الجيش الفرنساوي يقاتل القتال المذكور كانت الميمنة تقاتل قتاله واذا قلنا ان اجتهادات الفرنساويين تستحق ان تتكلل بالنجاح في هذه الحرب يجب أن نخص ذلك بهذه المعركة فانهم كانوا يقطعون النظر عن كثرة أعدائهم وعن تقهقرهم حتى أمسوا لا يعرفون بانهم مكسورون حال كونهم كانوا مكسورين فانهم قاموا بحق القتال قيام الابطال الباسلين الثابتين العنيدين و بلغوا نهاية الشجاعة حتى رأوا ان الثبات بات ضربا من المحال وأقام ولي عهد ملك بروسيا حركة حربية قطعت آمال الفرنساويين من النجاح فان مكماهون كان قد هدم منذ الصباح جسر السكة الحديدية التي على الموز ليمنع البروسيانيين عن أن يعبروا النهر أما ولي عهد ملك بروسيا فسار خفية عنهم في منعطف النهر عنـد مؤخرة سـيدان حيث استترت جنوده عن الاعداء وأقام جسورا من القوارب فعبرت عليها جنوده وتمـكنت من وضـع المدافع على قمة جبـل مشرف على فلوين وما جاورها من البلاد ولما رأى الفرنساويون ان الالمان قد كبسوا مؤخرتهم من هناك أمسوا في ارتباك ودهشة ولـكنهم بعـد مدة قصـيرة رجعوا الى أنفسـهم وصادموا مهاجميهم بكل جهدهم وأطالوا مـدة القتال وأطلقوا بنادق الشاصبو بنشاط وثبات حتى ان صوتها غلب صوت المدافع الراشـة وكان الجنرال شردين قائد

جيش أمركا مراقباً هذه المعركة فقال انه لم يسمع قط صوت سلاح كالبنادق متصلا مدة طويلة اتصال بنادق الجيش الفرنساوي فان كان ذلك صحيحاً تكون المعركة مخيفة جداً هذا ولا يخفى ان حروب أمركا الاهلية الاخيرة كانت من الحروب التي لم يكثر في غيرها عدد الجيوش المتصادمة كما كثر فيها وكان الدفاع والهجوم عندهم شديدا جدا فاذا كان الفرنساويون قد تمكنوا من أن يسبقوا الامركان باطلاق بنادقهم بهذه المعركة يحق لهم أن يفتخروا كل الافتخار . وعند الظهر تمكن الالمان من اخماد نيران صفين من المدافع الفرنساوية التي بالقرب من فلوين فتقهقر المشاة لانه لم يبق لهم مدافع يستندون اليها و بعد ذلك بعدة وجيزة أخذوا يهربون أفواجاً أفواجاً الى جهة سيدان وكان صف من مدافع البروسيانيين يطلق عليهم الكرات المحشوة . ثم طفقت الجنود الفرنساوية تولي الادبار من كل جهة ولكن قبل الساعة الاولى بعد الظهر أقيم صف من مدافع الفرنساويين في طرف حرش لا كارون وأطلقت على الفرقة الثالثه من الجيش البروسياني فتقهقروا وانحدروا عن الاكمة التي كانوا قد صعدوا اليها وعند ما وصلوا الى حضيض التل وفدت عليهم النجدة ومع ذلك لم يكونوا كفؤا للوقوف امام المدافع الفرنساوية وللحال هجمت الجنود المدرعة الفرنساوية على البروسيانيين ليتمكنوا من تشتيت شملهم فهرب البروسيانيون وكانوا يطلقون البنادق وهم متقهقرون ثم ارتدوا وكسروا الفرنساويين وكانت الارض مغطاة بجثث الرجال والخيل وكان الرصاص يتساقط كالبرد والكرات المحشوة تندفع الى كل جهة فقتل كثيرون وكانوا يخوضون بحار المنايا بلا مبالاة لانهم كانوا مهيجين وداموا على تلك الحالة مدة طويلة وكانت الدائرة تدور تارة على الفرنساويين وطورا على البروسيانيين وكان كل جيش يتقهقر لا يفتر عن اطلاق النار حتى يرجع المتقهقر بساعد أقوى وعزم أشد ويداوم القتال الى ان يتقهقر مرة ثانية فخطر للبروسيانيين ان يصعدوا مدفعين الى قمة التل فأصعدوهما بجد كثير وطفقوا يطلقونها اطلاقا كان يضر الفرنساويين ضررا

بليغاً وعند ذلك بات الفرنساويون في حيرة وارتباك على انهم رجعوا الى مراكزهم وهجمت فرسانهم مرة ثانية الى وسط القتال ومع ان الفرنساويين كانوا في هذه المرة أكثر من البروسيانيين عددا لم يتمكنوا من طردهم من مواقفهم الحسنة والاستيلاء عليها أما الالمان فكانوا يصطفون مدة بعد أخرى بدون حدة ولا مبالاة وكانوا يطلقون البنادق طلقاً بعد طلق حتى انهم ملأوا الارض بجثث القتلى من أعدائهم وبعد ذلك تقهقر الفرنساويون وتبين ان هذه هي الكرة الاخيرة غير انهم رجعوا وهجموا على البروسيانيين هجمة يأس وذلك بعد ان كان قد مضى الزمان الذي فيه يمكنهم ان يحولوا الكسر الى النصر لان البروسيانيين كانوا قد وقفوا على التل وصمموا على الثبات في مواقفهم وفي الساعة الثانية أتتهم نجدة قطعت عنهم كل خطر ثم ان انطباق الجيوش الالمانية على الفرنساويين قطع أمل الفرنساويين من الرجوع بترتيب وكانت المعركة التي حدثت في بازيل شديدة ومهلكة كمعركة كاريت وهلك كثيرون من الالمان في المعركتين المذكورتين بنيران المدافع الراشة المخيفة وبعد ذلك كانوا يتقدمون بالقوة سائرين ليصلوا الى مقصدهم

— حصار سيدان —

وبعد الساعة الثالثة تمكن البافاريون من ان يدخلوا حصون سيدان وان يثبتوا في مراكزهم فيها وعند الساعة الرابعة استولى الالمان على أول الاحدور الذي فوق بازيل وأخذت مدافع الالمان تطلق كراتها على جوانب سيدان وكان الفرنساويون يقيمون صفاً من مدافعهم بعد صف ليصدوا تقدم صفوف مدافع الالمان ومع ذلك كان الالمان يتقدمون والفرنساويون يتقهقرون حتى أمسوا بلا ترتيب ولا نظام فالتزموا ان يلتجئوا الى سيدان وكانت المدافع الالمانية تصب نيرانها المهلكة عليهم وكان

الالمـان قد أحاطوا بالفرنساويين الذين قطعوا الأمل من الرجوع

وفي أول النهار أصابت المرشال مكماهون قطعة من كرة محشوة جرحته جرحا بليغاً فتولى الجنرال ويمفن قيادة الجيش الفرنساوي وكان الجنرال المذكور قد أتى من جزائر الغرب قبل ذلك بيومين وكان لا يعرف مقاصد المارشال مكماهون في القتال ولا فرق الجيش المتعددة ولذلك لا تتعجب من انكسار الفرنساويين انكساراً تاما وبعد ان قاتلوا ذلك القتال الشديد

وكان الملك غليوم حاضراً هذه المعركة ومعه البرنس بسمارك والكونت مولتك ومسيو فون رون والجنرال شردين والجنرال فورسيت الامركانيان وغيرهم من الضباط البروسيانيين كانوا جالسين على تل بالقرب من دونشري يشرف على كل الفرق البروسيانية ولما رأوا ان الالمانيين ناجحون طفقوا يتكلمون عن النتائج التي ربما كانت تنتج من ذلك وقال الكونت بسمارك انه لا يظن ان الامبراطور نابوليون يسجن نفسه في سيدان اذ انه يعرف انه لا يقدر ان يخرج منها اذا انكسر جيشه

أما الامبراطور فكان قد فعل ما كان يظن بسمارك انه لا يفعله غير ان البروسيانيين لم يكونوا يعرفون ذلك . هذا ولا نعرف ماذا ينبغي ان يفعل بعد ان يكون قد استند الى قوة جنوده غير انه ربما كان قادراً ان ينجو بالهرب كما نجا عمه (نابوليون الاول) في موسكو فانه ترك جنوده وولى هاربا ولكنه لو فعل ذلك لعرض نفسه لملامة شديدة أما نابوليون الثالث فليس هو نابوليون الاول فان الثالث كان يعرف انه لا يقدر ان يدخل باريز مالم يكن منصورا والأول كان عالما بان له عضدا عظيما في فرنسا ولو فعل ما يجلب عليه اللوم وما أدرانا انه لو هرب نابوليون من سيدان الى باريز بعد ان قطع الامل من النجاح لتمكن من تخليص دولته من السقوط والمظنون انه لو هرب اليها ربما كان أمر المجلس الحربي بقطع رأسه أو بقتله رميا بالرصاص في باريز

وفي الساعة الخامسة بعد الظهر دخلت جنود الفرنساويين المتقهقرين سيدان ولما

رأى ملك بروسيا انهم لا يطلبون التسليم أمر بان يصير اطلاق الكرات المحشوة على المدينة وبعد مدة قصيرة انتشبت النار فيها في أماكن مختلفة واحترقت قرى كثيرة مجاورة لها ثم أمر الملك بمنع اطلاق الكرات وارسل قائداً اسمه فون بروسارت حاملا راية الهدنة ليطلب تسليم الجنود والقلعة . وقد قالت جريدة البال مال كازيت نقلا عن مكاتبها انه جاء كولونيل فرنساوي ومعه اثنان من الجنود البروسيانيين ليطلب التسليم وانه قيل له ان أمرا مهما كهذا ينبغي ان تكون المخابرة فيه بواسطة أحد أصحاب المراتب العالية وانه يلزم ان يرجع ويخبر القائد الفرنساوي انه اذا لم يأت أحد من ذوي المناصب العالية يصير اعادة اطلاق المدافع البروسيانية وانه لا يمكن قبول شيء غير التسليم بلا شروط . وبعد ان رجع هذا الكولونيل ذهب الليوتينان كولونيل فون بروسارت الى سيدان فعند ما أتى المدينة أتي به الى حضرة الامبراطور الفرنساوي فاندهش عند ما رآه فسأله عن مأموريته فأخبره عنها فقال له ان يتخابر مع الجنرال ويمفن الذي كان متوليًا قيادة الجيش عوضًا عن المارشال مكماهون وحينئذ أرسل الامبراطور معاون حربه الجنرال ريل بمكتوب خصوصي الى ملك بروسيا وعند الساعة السابعة بعد الظهر وصل القائدان المذكوران ولكن فون بروسارت وصل قبل الجنرال ريل بمدة وجيزة وعرف الملك من فون بروسارت ان امبراطور فرنسا في سيدان وعند ما وصل الجنرال ريل نزل عن ظهر جواده وسلم الملك تحريرا وقال له انه بتسليمه هذا التحرير قد قام بمأموريته . فقال له الملك قبل ان يفض التحرير ألا تعلم انني أطلب شروطا . أولا ان يسلم الجيش الفرنساوي سلاحه وبعد ذلك فض التحرير وقرأه وما يأتي هو ترجمته : بما انني لم أقدر ان أموت في قيادة جيشي أضع سيفي عند اعتاب جلالتكم . انتهى . ولم يطلب شيئًا ولا سلم تسليما مشروطا ولكنه ترك كل ذلك الى الملك . فكتب ملك بروسيا جوابا مختصرا ما آلمه ان كيفية اجتماعه بالامبراطور كدرته كل الكدر وانه يرغب ان يرسل اليه رجلا مفوضًا التفويض التام لتصير

المخابرة معه بامر التسليم . ثم ان جلالته فوض الجنرال فون مولتك تفويضاً تاماً بالمخابرة بهذا الشأن وأمر البرنس بسمارك ان يلازم مولتك ليفصل ما ربما كان يلزم فصله من المسائل السياسية . ثم ركب الملك مركبته وسار الى فندرس في جنوبي سيدان فوصل اليها قبل نصف الليل بساعة وكانت العساكر تحييه بالنشائد الالمانية وباصوات الفرح والترحاب أما الجنود الذين بلغهم خبر تسليم سيدان فكادوا يطيرون فرحاظانين ان الحرب قد بلغت النهاية وانهم عن قريب سيعودون ظافرين الى المانيا ولم يخطر لهم ببال الاخطار التي كانوا مزمعين ان يحتملوها وقد قيل انه قد اشتد فرح الجنود حتى ان الذين كانوا في حالة النزع منهم مطروحين في ساحة القتال اشتركوا معهم بالسرور وقد كتب الدكتور روسل ان قائدا بروسيانياً أخبره انه رأى جندياً بروسيانياً طويل القامة كان مطروحا على الارض وهو ماسك جنبه بيده من شدة الألم نهض عند ما عرف سبب أصوات الفرح وصرخ صرخة السرور ورفع يده وحركها فانفجر الدم بغزارة من جراحه فسقط مائتاً على جثة رجل فرنساوي . وعندما وصل ولي عهد ملك بروسيا الى شينوري ليستريح ذلك الليل فيها أقيم له احتفال عظيم كالاحتفال الذي أقيم لابيه وكانت الجنود مصفوفة صفوفا في الشارع الذي كان البرنس نازلا فيه وفي أيديهم المصابيح التي كادت تصير الليل نهاراً حتى ان أهالي القرى لخوفهم من المنتصرين أظهروا سرورهم بسقوط الامبراطور واضاءوا المصابيح في بيوتهم . وعند ما جلس ولي العهد ليتناول الطعام أخذ الكاس شارباً بسر أبيه الملك وسر الجنود من الشمبانية التي كانت معدة للامبراطور نابوليون وكانت قد نهبتها فرقة من الدراكون البروسيانيين وصرفوا ذلك الليل بالفرح والسرور منتظرين بفروغ صبر أخبار الغد . أما المعركة الشديدة التي حدثت عند سيدان فهي من اشد معارك هذه الحرب وكانت الدائرة تدور تارةً على الفرنساويين وطوراً على البروسيانيين غير ان المظنون ان الفرنساويين كانوا غير قادرين على كسر اعدائهم ولو افرغوا كل جدهم وبقي مكماهون

قائداً لهم لان ظروفهم كانت لاتساعدهم على ذلك . اما المعركة فبقيت في جوار بالو الى ان كانت قد انقطعت من غير جهات وقد قال البافاريون ان الامبراطور نابوليون قال في هـذا المكان انه في الجيش كجندي من جنوده وليس كقائد ولذلك سار مع صف كان يسير ليهاجم الالمـان وكانت جنود هذا الصف من بقايا فرق كثيرة ابادها القتال . فنشط الامبراطور الجنود فتنشطوا بمسيره معهم ولئن كان كواحدمنهم وساروا مستندين الى الشجاعة التي يحق ان نسميها شجاعة فرنساوية غـير انهم لم يقدروا ان يثبتوا والـكرات المحشوة المندفعة من القمم تسقط مع رصاص البنادق كانها بردينصب من السحب وقد كتب الدكتور روسل مكاتب التيمس ان الـكرات مع الرصاص كانت تسقط حول الامبراطور وانه سقطت كرة محشوة بالقرب منه وانفجرت فامسى في وسط دخانها . فتوسل اليه الضباط الذين كانوا حوله كثيراً ان يرجع فرجع ودخل البافاريون بالووشرعوا يقاتلون الفرنساويين عندحواجز القلعة . اماالجنرال ويمبفن الذي تقلد قيادة الجيش بعد ان جرح مكماهون فقال ان ساعـة تلك المعركة كانت الساعة الفاصلة بين الفوز والهلاك وهي الساعة التي يلزم ان يصير فيها خرق صفوف الاعداء ولو حدث مهما حدث وقد قال هذا الجنرال انه لم يجب طلبه غير الفين من ذلك الجيش الذي كان عدده تسعين ألفاً وكان منـه نحو عشرين ألفاً في اسر الالمان ونحو عشرة آلاف قتيل وجريح فامست البقية وقدرها ستون ألفاًمن الجنود الغير المنتظمين والمصابين بالويل والمتعبـين الذين كانوا يريدون ان يقاتلوا ذلك القتال المهلك ولـكنهم كانوا يخافون أن يشرعوا فيه وعلى الخصوص بعدان باتوا هدفا لـكرات المدافع المهلكةالتي سلبتهم شجاعتهم واضرت بالجيش الفرنساوي ضرراً ادبياً اتى بنتائج اردامن النتائج المادية

وقدقال الدكتور روسل ان العلاقات التي كانت جارية بين قوادالجيش الفرنساوي والجنود كانت تبين ان النظام كان قد وقع فيه خلل قبل حدوث الحرب بزمان طويل فان الجندي كان يكره ضابطه والضابط كان يخاف الجندي ويخاف أن يجري عليـه

قوانين النظام لئلا يجاهر بالعصيان . هذا و يصعب عليّ ان أصف وان اتصور ذلك المنظر المخيف الذي كان عند ما كسر الالمانيون الجيش الفرنساوي المفتقر الى النظام وارجعه الى سيدان وتمكّن من ان يطلق الرصاص عليه بسهولة فان المدافع الفرنساوية أمست غير قادرة ان تحامي عن الجيش والمدافع المقامة علي حواجز سيدان وحصونها كانت مدافع صغيرة ضعيفة من المخترعة سنة ١٨١٥ اما المدافع الكبيرة فكانت قليلة جدا و بما ان الالمان كانوا قد أقاموا في شاطئ نهر الموز الجنوبي أمست سيدان مكاناً معرضاً تماماً لهجوم جيوش الاعداء ولها سور يعيق حركات الجيوش و يوقعها في ارتباك اما الامبراطور فدخل المكان لا لينجو من الخطر ولكن لينجو من ازدحام العساكر الضعيفة وكانت كرات البروسيانيين والبافاريين المحشوة تتساقط كسقوط المطر فى سيدان التي بات اهاليها في خوف عظيم فانهم لم يتمكنوا من الفرار . وأقام الجنود الحرب خارج المدينة المذكورة منذ الصباح بدون أكل ولم يصادفوا فى المدينة مايقوم بسد احتياجاتهم فباتوا في غضب وهيجان مخيف يلومون قوادهم و يعصون أوامرهم وكان كلما سقطت كرة محشوة في المدينة اشتد غيظهم وغضبهم وسقطت كرة في مخزن فيه مواد قابلة الاشتعال فارتفع لهيب مخيف في الهواء برهة ومعه دخان كانه غيم أبيض كثيف وغطي نصف المدينة ولما رآها الفرنساويون خافوا وظنوا ان المهمات قد احترقت . اما الالمانيون ففرحوا بذلك على انه لم يتبع هذا اللهيب صوت وفي تلك الدقيقة صار التصميم على تسليم سيدان وكل مافيها للمنتصرين فان الفرنساويين كانوا يعتقدون بانهم لا يقدرون ان يدافعوا وينجحوا وان اطالة زمان الصدام تأتيهم بالويل والخراب

وانتشر خبر تسليم الامبراطور في كل ممالك اوربا وغيرها وكانت الامم تسمعه بعجب واندهاش فظن الالمانيون وغيرهم ان التسليم يأتي بصلح قريب وكان الجنود الفرنساويون في ميدان الحرب يعتقدون هذا الاعتقاد اما ملك بروسيا وولي عهده ومشيروهما فلم يكونوا يعتقدون هذا الاعتقاد لأنهم كانوا يعرفون ان بازين كان لايزال

في ميتس ومعه جيش جرار وانه ولئن كان محاطاً بالاعداء كان قادراً ان يخرق صفوفهم و ينجر بجيشه . وكانوا يعرفون ان باريز كانت شارعة في التأهب وان ارادة باريز هي ارادة فرنسا ومع انهم كانوا يقولون ان هجوم العسكر الفرنساوي هو هجوم النمر الذي يهجم على فريسته هجوماً مخيفاً فان صد وخابت مساعيه ارتد زائراً وكان القواد الالمان يعرفون ان فى هذا القول صحة وكانوا يعرفون ان الامــة الفرنساوية لا تطيق ان ترى عدوها في بلادها وانها ربما كانت تنهض كلها لترد الفاتحين عوضاً عن أن تسقط بتسليم امبراطورها الذي كان يكرهه كثيرون من بلاده و بناء على ذلك كان ولي عهد بروسيا وقواده يشكون في ان متاعب يوم سيدان كانت نهاية متاعبهم وقد صادفوا بعد ذلك مابرهن لهم على صحة ماخطر ببالهم

هذا وربما كان المطالع يحب ان يطالع الاخبار الآتية التي قررها رجل فرنساوي كان مع الجيش في سيدان ومايأتي هو ترجمة كلامه :

ان الامبراطور الذي ذهب الى ساحة الحرب باكراً في الصباح رجع في الوقت الذي رجعت فيه انا ومر في الشوارع ومعه اعوانه وكان أحد أصــدقائي بالقرب في بلاستوران عند ماسقطت كرة محشوة تحت حصانه وانشقت وقتلت حصان جنرال كان راكباً وراءه . ولم يصبهما ضرر غـير ان الامــبراطور التفت الى القائد وتبسم . اما صـديقي المذكور فظن انه رأى دموعاً في عيني نابوليون وانه أي الامبراطور مسحها بملامس كفه . وعند ذلك أخذت الـكرات تسقط في شارعنا ومنزلنا فوقفنا تحت مكان ذي سقف حجري لنحمي أنفسنا من الـكرات الساقطة و بينما نحن واقفون منتظرين سقوط الـكرة المحشوة التى تهدم سقفنا المذكور وترسلنا الى عالم الارواح مر الجنرال ويمفن وكان يجتهد في ان يجمع جيوشه و يشجعها وصرخ قائلا فلتعش فرنسا هلموا الى الامام ولـكن لم يكن من مجيب ثم صرخ قائلاً ان بازين يهاجم مؤخرة البروسيانيين وكان قد سمع الجيش بهذا الخبر غير انهم لم يصدقوه الا بعـد ان سمعوه من الجنرال

المذكور وهو قائد الجيش العمومي وعند ذلك اجتمع بعض ألوف اليه وساروا وراءه الى خارج المدينة وعند ذلك اشتد أمل القوم وأخذنا نؤمل في تخليص المكان غير انه لسوء الحظ كان ذلك الخبر كذباً ناتجا عن محبة وطن فان الجنرال ويمفن المشار اليه كان هائجا ومضطربا ومكدراً وعزم خلافا لرأي الامبراطور على ان يجمع اليه بعض القوم ويصادم الالمان والظاهر انه لم يكن يعرف انه كان محصورا ضمن سور من رجال الأعداء عدده ٣٠٠ ألف رجل وكان صوت البوق والطبل يرتفع من كل جهة ومن الذين اجتمعوا الي الجنرال صديق من اصدقائي اسمه ريني دوكيرويل من جيش شاسورد امزيك فخرجوا جميعاً من بورت دوبالو وكان البروسيانيون قد دخلوا البيوت المجاورة للمدينة وأخذوا يطلقون النار على الفرنساويين من نوافذها وأقاموا في الكنيسة حرساً قوياً وأقفلوا أبوابها المتينة فارسل الجنرال ريني دوكيروي ليأتيه بمدفعين فأتاه بهما فحشوهما وفتحوا بهما الباب وأسروا من الكنيسة مائتي جندى بروسيانى ورجعوا بهما ومع ان هؤلاء الفرنساويين اجتهدوا كل الاجتهاد لم يات اجتهادهم بفائدة فالتزموا ان يرجعوا الي سيدان وهذا هى من حوادث هذه المعركة الاخيرة · وكان البروسيانيون يطلقون الكرات المحشوة على سيدان فاخذت تسقط في المنازل وعند ذلك حدث ما تقشعر منه الابدان فان ولدا ابن صانع أتانا راكضا يطلب جراحا فان الكرة كانت قد أخذت رجل أبيه ثم أصابت كرة رجل امرأة وأخذتها اما الصانع فمات قبل وصول الجراح ثم رجع الجراح الي المرأة وحملها ليمضى بها الى المستشفي وقبل ان خطت خطوة واحدة اصابتها رصاصة واماتتها · انتهي

وقبل أن كتب الامبراطور الي ملك بروسيا صارت اقامة مجلس حرب فى سيدان وبما انه كان قد انقطع كل الامل من الحصول على مساعدة بازين اجمع رأي القوم على وجوب التسليم لان المدينة كانت عرضة لمدافع العدو الذي كان قادراً ان يجعلها رمادا بوقت قصير باطلاق المدافع من التلال المجاورة لها وذلك بدون ان يتمكن الفرنساويون

من أن يصدوهم وليس ذلك فقط ولكن الجنود الفرنساوية جاهرت بالعصيان وهذا يبين مما قاله القواد الفرنساويون للبروسيانيين عند ما اقيمت المخابرة عن التسليم فانهم قالوا لهم اننا ولئن كنا قد عقدنا هدنة موقتة نخاف أن يطلق العساكر الفرنساويون البنادق على القواد البروسيانيين الذين بعث بهم الملك غليوم الى الامبراطور نابوليون حاملين الجواب على مكتوبه وقد قال مكاتب من مكاتبي الجرائد في سيدان عند ما تكلم عن الامور المخيفة التي حدثت في المدينة في ذلك الوقت بواسطة دخول عساكر الفرنساويين اليها ان جهنم حلت في سيدان

اما الامبراطور نابوليون فجلس ينتظر جواب ملك بروسيا في ساحة منزل الحكومة في سيدان وكان غائصاً في بحر من الحزن وعلى وجهه تلوح لوائح الياس وتبين للناظرين اليه ان الاضطراب والحزن تغلبا عليه . ووقف بجانبه قواد جيشه وأعوانه مكدرين بسبب سوء حظ مولاهم وعدم توفيقهم وكان الحزن متغلباً على كثيرين منهم ولما ورد جواب ملك بروسيا القاسي تردد الامبراطور عن قبول شروطه الشديدة وكثيرون من قواده حاولوا أن يثبتوه في عزمه فانهم ظنوا كما ظن هو أنهم يقدرون ان يحصلوا من الاعداء شروطاً أخف اما الجنرال ويمبفن فامتاز بالشجاعة والصبر والثبات فقال للامبراطور لو كنت أنا جلالتكم لفضلت الموت على قبول هذه الشروط المهينة غير ان القواد الآخرين الذين كانوا يعرفون البلاد أحسن منه ويعرفون عدد مدافع الالمان وجيوشهم وضعف الجيش الفرنساوي وعدم انتظامه أكثر مما كان يعرفها الجنرال ويمبفن الذي كان قد أتى فرنسا من الجزائر واستلم قيادة الجيش بدون أن يعرف أحواله ولذلك اشاروا على الامبراطور ان يسلم حالاً بدون شروط وأتوا برسوم يبنت سوء مركز الفرنساويين فاقتنع الجنرال النشيط والتزم أن يغير رأيه وعند ذلك قرروا شروط التسليم هذا ولا يلزم ان تنسى ان الجنرال ويمبفن كان قد أتى من افريقيا وتقلد قيادة جيش مكسور نصف كسرة ومفسود كل الفساد . فعند ما أمضي الشروط المذكورة قال

بكدر لا مزيد عليه ان اسمي سيبقى متصلا بشروط تسليم مذلة الى الابد · وعند ما بلغ باريز هذا الخبر أخذ الفرنساويون يطعنون في الامبراطور الذي ولئن كانت أغلاطه كثيرة كان قد نفع فرنسا نفعاً لم يسبقه اليه قبله أحد من ملوكها منذ أيام شارلمان وسموه رجل سيدان وذلك ليسخروا به وقالوا انه جبان مع ان أعداءه كانوا يقولون انه ابان من الشجاعة ما كان متجاوزاً حدود الاعتدال والظاهر انه حاول ان يموت موت العسكري موتاً شريفا ولكن بدون ان يصادف مقصده والدليل على ذلك ما قاله في تحريره لملك بروسيا

واشهر حوادث ذلك النهار المشهور هو حرق البافاريين قرية بازيل بالقرب من سيدان وقد حاول الالمان كل المحاولة أن يرفعوا عنهم عار هذا العمل ولكن بدون نتيجة وليس ذلك العمل الدموي الخالي من الشفقة العمل الوحيد الذي عمله البافاريون الذين قد تبين من منظرهم وتصرفهم انهم أشد خشونة من جميع الالمانيين · وقد قال ان الاهالي الفرنساويين أطلقوا عليهم البنادق من البيوت مع أنه من واجباتهم المقررة في القوانين الدولية أن يحافظوا كل المحافظة على الحياد واذا قادهم حب الوطن الى الاشتراك في الحرب يعرضون أنفسهم للقصاص المعين لذلك أما الاهالي المذكورون فينكرون اطلاقهم النار على الالمانيين ومعاملتهم الجرحى منهم بالقساوة التي اتهموا بها أما الحقيقة فستبقى مجهولة الى الابد غير ان الظاهر انه بعد أن قاتل البافاريون قتالا شديداً جدا في شوارع تلك القرية الكبيرة فازوا على أعدائهم وتمكنوا من أن يقوموا بثارهم ومن الانتقام من الذين قتلوا كثيرين من اخوانهم في العسكرية وضايقوا عليهم كل المضايقة أحرقوا القرية وأحرقوا فيها اكثر الاهالي رجالاً ونساء وأولادا حتى ان الالمان أنفسهم يلتزمون أن يسلموا ان البافاريين تعدوا على حقوق الانسانية في أعمالهم الوحشية وسيحكم التاريخ بأن هذا العمل هو اكثر توحشاً من كل الأعمال الحربية التي تقررت في تواريخ القرون المتاخرة ·

انها في باريز فان الامبراطورة والوزراء هم وحدهم الذين يقدرون ان يقيموا المخابرات اما أنا فامسيت بلا سلطان ولا اقدر ان اصدر الاوامر ولاان اقرر الشروط . وهذا نهاية حديث الامبراطور والملك وبعد ذلك خرجا من المخدع . انتهى كلام مكاتب التيمس .

اما الامبراطور نابوليون فنام في تلك الليلة في شاتو (قصر) بلفو وقد قال مكاتب جريدة الديلي نيوز الذي نام في الليل الثاني في نفس المخدع والسرير الظاهران الامبراطور اشتغل في قراءة كتاب اللوردلتون المسمى نهاية البارون وهو في الفراش فانه رأى الكتاب المذكور مفتوحاً وموضوعاً على مائدة صغيرة موضوعة عند وسادة السرير وظاهره الى فوق . وكان الشاتو (قصر صغير) لا يزال غير مخرب بايدي الجنود الالمانية . غير انه في ٤ ايلول (سبتمبر) دخلته فرقة من البافاريين واضروا به ضرراً كبيراً وذلك بحسب عاداتهم الخشنة . وهذا الشاتو هو للمسيو أمور الفرنساوي وهو تاجر خمر وكان خارج المكان هو وعائلته في الوقت المذكور ولما دخله البافاريون شرعوا يدققون التفتيش فيه طلباً للخمر فوجدوا كمية وافرة منها ولا يخفي انه بعد ان وجدوا المطلوب شربوا منه الى أن سكروا

وفي صباح اليوم الثالث من (ايلول) سبتمبر سار الامبراطور قاصداً ولمشوه بعد ان اخرج من شوارع دونفري المركبات والناس لكي لا يعاق مسير المركبات الامبراطورية التي كان يسير امامها فرسان من الهثار الالمان لابسين ملابس رسمية كاملة النقوش وكان الامبراطور راكبا مركبة ولابسا لباس نائب جنرال غير انه لم يكن كامل النقش وقد قيل انه كانت تلوح على وجهه الاخضر لوائح الهم غير انه كان معتصما بالصبر الجميل وكان يرد سلام القليلين الذين صادفهم في شوارع المدينة الصغيرة بدون تردد اما اهالي المدن فلئن كانوا يشتركون في الاحزان مع امبراطورهم الساقط كانوا يخافون اظهار ميلهم له على مرأى من الحراس الالمان الذين كانوا يسيرون امام المركبات الكثيرة

المتناسقة وراءها على انه قد قيل ان أهل القرى الذين طالما أحبوا الامبراطورية حباً لا مزيد عليه وعضدوها كل العضد كانوا يبكون و يصرخون قائلين فليعش الامبراطور وكان كثيرون منهم يقبلون صورته التي كانت معهم وهو مار من امام أبواب بيوتهم وكان الامبراطور يحب ان يتجنب المرور في البلاد الفرنساوية فطلب هو وملك بروسيا الى حكومة بلجيكا ان تسمح للامبراطور أن يمر في بلاد البلجيك في طريق كاسل فاجابت طلبهما على الفور . وفي محطة جنيل اجتمع الامبراطور برهة قصيرة بابن عمه البرنس بيار بونابارت الذي اشتهر بمحاكمته وتخليصه بعد قتل مدير جريدة كان قد كتب ماأهانه و بعد ذلك تهدده . وقد كتب بعض الكتاب شيئا عن الكدر الذي خامرهما عند ما اجتمعا غير اننا لا نظن ان الامبراطور وابن عمه كانا متوادين ولا نظن ان أحدهما أظهر امارات الكدر للاخر . وقد قال البرنس بيار انه لم يحدث شيء من ذلك عند اجتماعهما . واجتمع في مدينة ليج قوم في محطة الطريق الحديدية ليشاهدوا الامبراطور الساقط ومع أن أهالي بلجيكا يحبون الفرنساويين لم يظهروا عند ذلك شيئاً يدل على ميلهم وحبهم . وقد قيل ان الامبراطور لم يتأثر من ذلك ولكنه أزاح ستار نافذة المركبة وأخذ ينظر الى المتفرجين وهو يدخن . ونام في فرفيه في منزل المسافرين في المركبات البخارية ثم سار بدون أن يقيم في مكان اكثر من دقائق قليلة وفي يوم الاثنين الواقع في ٥ ايلول (سبتمبر) وصل الى ولهلمشوه واستقبله الالمان في المكان المذكور استقبالا لا يقام الا لاكابر الملوك . فانهم أقاموا فرقة من الجنود في القصر المذكور ليستقبلوه . وضربت الموسيقى العسكرية نغمة الزافنسترخ (وهي نغمة لا تضرب الا عند استقبال أحد العيال الملوكية) وسلم عليه بكل احترام حاكم كاسل وضباط الفرقة وغيرهم عند ما خرج من المركبة . وعند ما مر بين الجنود المقامة لاستقباله سلمت عليه فسار بين صفوفهم الى أن دخل قاعة القصر الفاخرة وكان استقباله استقبال ضيف من اكرم الضيوف وليس استقبال أسير . أما عدد أعوان الامبراطور فكان

٤٠ رجلا وكان معه خدام كثيرون فانزلوا جميعاً في القصر وقام الالمان بضيافتهم قياماً يحا كي ضيافة الملوك وادخلوا الافراس التي أتى بها الامبراطور وعددها ٧٥ الى اسطبلات الخيل في القصر وادخلوا المركبات. ورتبوا كل شيء ترتيباً يسر الامبراطور ويريحه . وكان الظاهر انه حر لان يذهب حيثما شاء فكان يركب المركبات ويسير حول القصر أوالى القرى المجاورة والمقصود ان الالمان لم يحرسوه ظاهراً ولا نعلم هل كانوا يحرسونه خفية أولا .

هذا وقد ذكرنا ان حالة سيدان كانت بئس الحال عند اقامة شروط التسليم فان الجنود الفرنساوية المكسورين كانوا في هيجان مخيف وبحسب العادة شرعوا يصرخون ويقولون قدخانونا وكانوا يلعنون الامبراطور وقواده وجميع ضباطهم ويلعنون البروسيانيين ويحلفون بأنه لابد من أن ينتقموا منهم فنهم من بكى بصوت مرتفع ومنهم من كسر أسلحته وداسها تحت رجليه ووقف بعيداً متفكراً كمن بات في يأس . ومنهم من حملتهم أحزانهم وجبلهم على أن يقولوا بانهم يفضلون الموت على التسليم ومنهم من حاول الحصول على الفرج بالسكر وأخذ يسير في الشوارع مسيراً معيباً جداً . وحدث ما كان يكاد ينتج عنه نزاع كثير فان جندياً فرنساوياً رمى جندياً بافارياً بقنينة فأراد الالمان أن يقوموا بثار رفيقهم فانهم قالوا ان الفرنساوي أهانه اهانة لا يجريها الا من كان جباناً وعند ذلك تقدم ضباط فرنساويون ووبخوا الفرنساويين توبيخاً شديداً على ما كانوا يفعلونه ثم نظروا الى البافاريين وطلبوا اليهم أن يعذروهم وعند ذلك كثر التقبيل وهز الايدي والبكاء وهكذا خمد النزاع الذي كان يكاد يحدث . وقد حرر عضو انكليزي من أعضاء المجلس العالي الى جريدة التيمس ما يأتي بخصوص حالة سيدان فانه كان فيها في ذلك الزمان :

انني أقصر عن القيام بوصف الاضطراب والارتباك الواقع فان الجنود قدخسرت كل نظامها وانقيادها وقد اختلطت كل الفرق الفرنساوية فترى الفرسان والمشاة

والمدفعيين مجتمعين معاً والافراس المشرفة على الموت جوعاً تملأ الفضاء بصراخها المحزن والمخيف واذا خرجت الى الشوارع ترى فيها جثث الخيل الميتة وترى المجروحة منها وغير المجروحة تسير من مكان الى مكان بدون معارض وترى أفراساً كثيرة لا تزال موثوقة الى المركبات والمدافع وقد فعل فيها الجوع وحملها على أن تهيج هيجاناً مخيفاً وان تحاول جهدها للتخلص من رباطاتها ولكن بدون الوصول الى النتيجة . أما الشتاء فهطل غزيراً في الليل التابع يوم التسليم وكانت العساكر تجلس منفردة أو أفواجاً أفواجاً في الشوارع وفي النوافذ وفي مداخل الابواب وتحت القناطر . أما أنا فحصلت باذن عجوز عرجاء على كرسي في بيتها فجلست عليه الليل بطوله . انتهى .

وقد قال غير هذا الانسان ان السيوف والبنادق والغدارات والرماح والخوذ والدروع والمدافع الراشة المكسرة كانت ترى في كل مكان من الشوارع وسقط من هذه الاسلحة في نهر الموز قدر كثير حتى انها سدت مجراه بعض السد فطاف فعلا أما الوحول في الشوارع فكانت سوداء من البارود وكانت قطع الكرات ملقاة في جميع جهات المدينة . والذي زاد تلك المناظر شناعة الجوع الذي تمكن من الجميع فان الجنود التزمت أن تأكل لحوم الافراس الميتة . أما أهالي المدينة ففرحوا بنهاية الحرب عندهم ولذلك استقبلوا المنتصرين أحسن استقبال وعاملوهم باللطف فان اطلاق الكرات على المدينة كان قد أضر بهم جداً وكان قد احترق بعض بيوتهم وقتل كثيرون منهم . وكانت جثث القتلى من الاهالي ومن الجنود ملقاة في الشورع والساحات عند مادخل الالمان المدينة . و بعد أن تقررت شروط التسليم في ٢ أيلول (سبتمبر) قطع سبعة الاف فرنساوي حدود البلجيك ومعهم مدافع كثيرة وسلموا أسلحتهم وفي اليوم الثاني تبعهم ١٢ ألفاً منهم وسلموا تسليمهم وقطع تلك الحدود ثلثمائة من الفرنسويين الجرحى والتجأوا إلى البلجيك ليتخلصوا من التسليم للالمان .

أما الجرحى الفرنساويون والبروسيانيون فارسلوا بالاسوة الى المستشفى العسكري

في نامور وكان البلجيكيون قد سلموا هذا المستشفى لمناظرة مأموري الصحة وكانت حكومة بلجيكا قد قبلت بأن تسمح بتنفيذ معاهدة جرت بين المتحاربين ما آلها أن يصير الاعتناء بجرحى وأسرى الفريقين في بلاد بلجيكا بلا تمييز . وصارت اقامة الجنود الفرنساويين الغير المجروحين في نامور أما الضباط الفرنساويون فصار اطلاق سبيلهم بعد أن تعهدوا بانهم لا يخرجون من بلاد البلجيك وصار ارسال الالمان الى بروجز . وفي صباح اليوم الثالث من ايلول (سبتمبر) استولى الالمان على مدينة سيدان وصار اخراج الجيش المأسور على الفور وفضل كثيرون من الضباط الفرنساويين أن يذهبوا مع جنودهم الى الاسر على أن يتعهدوا بانهم لا يحاربون المانيا ولا يضرون بها مادامت هذه الحرب منتشبة . وكان وقت ابتداء خروجهم وقتاً صعباً ولولا اجتهاد القواد الفرنساويين وجدهم لهاجت الجنود الفرنساوية وأجرت تعديات كثيرة لتضاد شروط التسليم غير ان القواد الفرنساويين كانوا ثابتين وشديدي العزم .

وكان الالمان يتجنبون أن يظهروا أنفسهم للفرنساويين ولذلك لم يهرق دم في غضون التسليم . ولم يتمكن الجيش المأسور من الخروج من سيدان الا بعد مرور زمان طويل فان عدده كان ٩٥ ألف جندي خلا عدد غفير من الخيل والمدافع والمهمات وغيرها وصار ارسال الفرنساويين الى المانيا فرقاً فرقاً كل يوم فرقة عددها عشرة آلاف جندي . اما الفلاحون الالمان فكانوا يعاملون الفرنساويين بكل لطف ورقة وكانوا يخدمونهم في أمور كثيرة وهم مارون في قراهم وبهذه الواسطة خمد هيجان الفرنساويين وضعفت حاسيات الكره التي كانوا يشعرون بها قبل أن صادفوا معاملة حسنة في قرى الفلاحين وكانت النساء الالمانيات يطبخن لهم طعاماً ويقدمونه لهم أينما وقفوا عن المسير وبعد مدة قصيرة اتفق الآسرون والمأسرون وعاشوا معاً بالحب

وقد وصف مكاتب جريدة الديلي نيوز ميدان الحرب في تحرير بعث به الى الجريدة المذكورة ومايأتي هو ترجمته

ان الاماكن الكثيرة الخضراء والاشجار في جوانب الجبل ملآنة بجثث خيل مخلوط بعضها بالبعض الآخر وبجثث الجنود المدرعين فان الفرسان المدرعين حاولوا بكل جد وشجاعة أن يخرقوا صفوف الالمان ولكنهم هلكوا برصاص البنادق البروسيانية. هذا ويصعب على الانسان الذى ليس له اختبار في الامور الحربية أن يعرف من آثار ميدان الحرب في غد المعركة الاعمال والحوادث التي يشير اليها كل من تلك الآثار فان رأيت في مكان جثث افراس ميتة معا ومعها خوذة أوخوذتان و ١٠ أو ١٢ درعاً وطبلا صغيراً مكسوراً وجثث ثلاثة فرسان مدرعين فاعرف ان القتال اشتد في ذلك المكان وعند ماترى الارض مصبوغة بلون اسود فاعرف انه كان عليها مجروح انصب مقدار من دمه ثم نقل الى المستشفى واذا رأيت سيوفاً كثيرة في مكان واحد فاعرف ان جمهورا من الفرسان التي قتلت خيلها التزم أن يسلم في ذلك المكان. واذا انتقلت الى حيث ترى الخوذ البروسيانية المداسة والمكسرة ترى بعضها مثقوبًا بالكرات أو بالرصاص وعليها دم فاعرف ان الفرقة التي حاربت هناك قتل منها قوم واذا رأيت خوذاً غير مثقوبة وليس عليها أثر الدم فاعرف انها خوذ جرحى أوخوذ جنود خلعوا خوذهم وهم يقاتلون ليتمكنوا من سرعة المسير. واذا رأيت الارض ممهدة وحولها خرج جندي و بنادق وجبة واسعة واناء للطبخ فاعرف، ان هذا مكان جريح جرح جرحاً بليغاً فبادر رفاقه الى أن يريحوه بالنوم على قدر الامكان. وكثيراً ماترى مظلة صغيرة حقيرة من ورق الاشجار والاغصان وهي تحمي الجريح وهو مطروح في ميدان الحرب من حرارة الشمس. وترى منسوجا مرفوعا على بندقيتين والخرج وسادة وتحت هذا المنسوج جثة فاعرف انه توفي بعد ان حصل على اعتناء صديق صادق صادفه أو التزم أن يبعد عنه

وأفضل الاعمال عمل الذين يأتون ميادين الحرب ليعتنوا بالجرحى فان علامة مهنتهم هي تعزية وأية تعزية لذلك الجريح المنكود الحظ الذي بات مطروحاً بعيداً عن أهله وأقاربه وأحسن هؤلاء الفاضلين الذين أتوا ميدان الحرب اخوان الرحمة والجراحون

الذين انتظموا في سلك جمعيات مساعدة الجرحى فانهم مملوؤن غيرة وشفقة ومن هؤلاء القوم من هم من أحسن العيال الالمانية ومنهم من هم من الاجانب الذين أتوا للمساعدة في ماتندبهم اليه الانسانية

ولابد من ان نثني عليهم كل الثناء لان نقل الجرحي الى القري المجاورة أوالى مظلات موقتة كان جاريا بسرعة كافية حتي انه لم يبق منهم غير قليلين في ميدان الحرب الى اليوم الثاني صباحا . اما المجاريح فكانوا يئنون و يصرخون صراخ الالم عند مايصير نقلهم فنسأل الله أن يساعدهم و يصبرهم . اما جانب التل في الجهة الشمالية الغربية من سيدان فكان مغطي بجثث القتلى من الرجال والخيل . فالشاسور الفرسان وشاسور افريقية من الجنود الفرنساوية كانوا قد هجموا وهم مستترون بعض الاستتار بغبار خيلهم وأرجلهم ولكنهم هلكوا قبل الوصول الى مرغوبهم فكنا نري في هذا المكان الفارس الغير المدرع متمرغاً على الارض وثوبه الرسمى اللامع مضرجاً بدمه وافراسا كثيرة من الخيل الكريمة مقتولة بكرات البروسيانيين . ولما أتينا هذا المكان كان قد مات أكثر الجرحى من الرجال والخيل فرأينا قليلين من المجاريح يتمرغون متوجعين ومعهم حلقات بيضاء مربوطة بميدان وذلك لينبهوا بها الجراح عند مايمر بالقرب منهم ويتمكن من أن يهتم بهم بعد الاهتمام باخوتهم في الاوجاع . انتهي كلام مكاتب الديلى نيوز

و بعث الالمان بعشرة آلاف أو بعشرين ألف أسير من جيش سيدان الى المانيا دفعة واحدة على انهم لم يرسلوا معهم حراسا كثيرين غير ان الحراس كانوا متقلدين أسلحة كاملة اما الاسري فكانوا بلا أسلحة . وقد قيل ان لوائح الحزن كانت تلوح على أوجه القواد على ان الجنود كانوا يضحكون و يتكلمون فرحين والظاهر انهم سروا بالنجاة بلا جرح وبالخلاص من اخطار القتل والجرح في المواقع الآتية

وكان القتال منتشبا في سيدان والمرشال بازين في ميتس ينتظر بفروغ صبر وصول

المرشال مكماهون ليخلصه من مركزه الردي٠٠ وفي ٣١ آب (اغسطس) رأي المرشال بازين انه لم يحصل على المرغوب ولم يتمكن من الوقوف على خبر من جهة مكماهون فهاجم الالمان مهاجمة شديدة جدا محاولا خرق صفوفهم اذ انه كان يظن انهم قد قلوا لانهم أرسلوا جيشا منهم ليعارض المرشال مكماهون في مسيره . فهاجم الفرقة الاولى من البروسيانيين وهي فرقة الجنرال كومار والفرقة الرابعة من اللاندوهر الواقعة في الجهة الشرقية من ميتس وهاجم هاتين الفرقتين بجيشه جميعه فدامت المعركة النهار والليل بطولهما غير ان النتيجة كانت ارتداد الفرنساويين الى المدينة من كل المواقف فان الالمان كانوا قد تمكنوا من أن يمكنوا مواقفهم وان ينظموا حالتهم حتى انه كان لا أمل من نجاح المرشال بازين بمهاجمتهم . وكان يظن بازين بانه هاجمهم في أضعف جهاتهم وأصاب في ذلك غير ان الاسلاك البرقية البروسيانية كانت منظمة نظاماً متقناً جداً حتى انه كان يقدر الالمان أن يقووا جهاتهم الضعيفة بالنجدة قبل ان يتمكن الفرنساويين من مهاجمتها .

وكان الالمان يقومون بحصر ستراسبرج بنشاط لامزيد عليه وكان المحصورون يدافعون عن أنفسهم دفاع الابطال الباسلين حتي ان دفاعهم أدهش العالم قاطبة . فخرجوا لمهاجمة المحاصرين في ١ و ٢ ايلول ليلاً غير انهم التزموا أن يرتدوا بعد أن تمكنوا من الوصول الى الدائرة الثانية من دوائر المحاصرين وقتل كثيرون من الفريقين لان القتال كان شديداً غير ان الفرنساويين لم يكسبوا شيئاً ينسبهم الذين قتلوا في سبيل هذا القتال . هذا وتمكنوا من أخذ محطة الطريق الحديدية واستولوا عليها برهة قصيرة ثم التزموا ان يتركوها بعد قتال شديد

وبما انه لم يرد اسعاف ولا نجدة للمدينة الجميلة امست في ضيق شديد فان الاهالى التزموا أن يبقوا في البيوت القوية السقوف غير انهم التزموا فيما بعد ان يخرجوا منها بواسطة طوفان نهر الرين الذي دخل هذه البيوت ورطب ارضها . والتزم الذين هدمت

وقد لام الفرنساويون بازين كل اللوم لانه تأخر عن أن ينجد الجنرال ويمبفن وحقيقة الامر لم تظهر بعد غير انه اذا ثبت ان بازين كان قادرا أن يخرج جيشه من ميتس بدون أن تضعف قوة ميتس بحيث يتمكن الالمان من الدخول اليها يكون قد قصر تقصيرات أتت فرنسا باكثر المصائب التي وقعت عليها . هذا ولا نعلم ماذا حمل المرشال مكماهون والامبراطور نابوليون على ان ينتخبا محلا كسيدان ليكون ملجأهما الوحيد حال كونهما يعلمان أنه مامن ملجأ لهما فيها والظاهر ان النحس كان قد رافق الفرنساويين في كل أعمالهم وان السعد الذي كان يخدم جنودهم منذ اقامة الجمهورية كان قد فارقهم .

أما الملك غليوم وكل قواده الذين حضروا المعارك فكانوا يعرفون ان الجيش الفرنساوي والامبراطور باتوا في ضيق شديد وانه بواسطة تسليم الامبراطور الذي كان بالاسم قائد الجيوش الفرنساوية ستنتهي هذه الحرب التي كانت دموية ولئن كانت قصيرة وكانوا يظنون ان الامبراطور نابوليون الثالث كان لايزال يتعاطى الامور السياسية وان عقد الصلح لا يتم الا بواسطته ولذلك طلبوا اليه ان يسلم بلا شروط . وقد قلنا ان الفرنساويين استصعبوا جداً ان يسلموا للالمان بالشروط المذكورة ولكن بعد التفكر رأوا انه ما من فرج لهم الا بالتسليم وعلى الخصوص بعد ان أخبرهم رسل ملك بروسيا ان مولاهم كان عازما على أن يجدد اطلاق المدافع على سيدان اذا لم يصر تقرير شروط التسليم قبل الظهر من ذلك النهار وهو اليوم الثاني من آب (اغسطس) سنة ١٨٧٠ وكان الذين كانوا على الاسوار يرون ان جنود الالمانيين كانت نازلة في كل محل حول المدينة وانهم اذا لم يسلموا يهلكون جميعاً ظانين انهم اذا أظهروا استعدادهم للتسليم يتمكنون من اقناع الملك ووزيره الاول من أن يخفف الشروط .

وفي الساعة الخامسة أفرنجيه من صباح اليوم الثاني من آب (اغسطس) ركب الامبراطور نابوليون مركبته وسار ومعه بعض أعوانه قاصداً مدينة دونشري وهي المكان

الذي عين لاقامة المخابرات عن التسليم فسأل الامبراطور بعض الالمان أين البرنس بسمارك فأجابوه انه في دونشري فسار اليها وقبل أن نهض البرنس بسمارك من فراشه دخل عليه ضابط وقال له ان الامبراطور نابوليون قد وصل الى هنا وان حضرته يرغب أن يرى الملك فلبس بسمارك بكل سرعة ملابسه العادية وخرج ليقابل الامبراطور نابوليون فلما دنا البرنس بسمارك من المركبة خرج منها الامبراطور نابوليون فكشف البرنس رأسه ووقف وقوف احترام ورأسه مكشوف فطلب اليه الامبراطور نابوليون الساقط أن يلبس برنيطته فاجابه يا مولاي اني مقابل حضرتك كملك كما أقابل حضرة مولاي . وعند ذلك رجع الامبراطور الى مركبته وركب البرنس بسمارك جواده وسار بجانب المركبة وعند ما وصلوا الى خارج المدينة طلب الامبراطور نابوليون الى البرنس أن يقف عند باب بيت صغير فيه عائلة حائك فخرج أيضاً الامبراطور من المركبة ودخل البيت المذكور هو والبرنس فجلسا على كرسيين داخل البيت أما أعوان الامبراطور فبقوا خارجه . وكان الامبراطور نابوليون لابساً ملابس جنرال فرنساوي وكانت تلوح على وجهه لوائح الهم غير ان صحته كانت جيدة فقال للبرنس بسمارك انه كان قد أتى ليسلم نفسه للملك غليوم وطلب اليه أن يواجهه ولما تكلم معه البرنس عن نهاية الحرب أجابه نابوليون انه يسلم نفسه ويسلم الجيش في سيدان غير انه لا يقدر أن يعقد عهوداً ربما كانت لا توافق استعدادات الحكومة في باريز اذ أنه كان مع الجيش كمتطوع وان كل ذلك في يد الامبراطورة الوكيلة ووزرائها ثم طلب الى البرنس بسمارك أن يجمعه بالملك فاجابه بسمارك انه لا بد من عقد شروط التسليم قبل وأن الملك يحب أن يخابر بذلك الجنرالية الفرنساويين وأنه لا بد من أن يكون التسليم تاماً لان الفرنساويين لم يكونوا قادرين أن يثبتوا ليغير الشروط .

هذا وقد وقع خلاف بين كتاب الجرائد في الكلام الذي جرى بين الامبراطور نابوليون و بين البرنس بسمارك عند ما تقابلا حتى ان الظاهر ان نفس البرنس المشار اليه

قد أخطا في مكان أو اكثر في نفس تقريره الرسمي عن هذه المقابلة فانه قد قال انه قابل الامبراطور في الساعة العاشرة . أما كتاب الجرائد فقدقالوا انهما تقابلا بين الساعة السابعة والثامنة أفرنجية قبل الظهر والظاهر ان كتاب الجرائد قرروا الواقع بتدقيق يفوق تدقيق البرنس بسمارك والبرهان خروج الامبراطور من سيدان الساعة الخامسة من الصباح وذهابه رأساً الى دونشري والبرهان الآخر الذي يسعف في اظهار صحة تقريرات كتاب الجرائد عن زمان مواجهتهما هووصول الامبراطور قبل خروج البرنس بسمارك من فراشه وقد قال البرنس ان المقابلة جرت في المخدع وليس في فسحته . وكان هناك أي في مكان اجتماعهما مراسلاجريدتين ورأياهما بدون أن يسمعا حديثهما وقد قرر أحدهما أنه أقيم حديث داخل المخدع قبل خروج الامبراطور والبرنس فهذا يبين لنا ان الانسان لايقدر أن يحمي نفسه من الغلط وعلى الخصوص في التقريرات التاريخية واذا كان قد حدث ما قد حدث من الغلط في هذه الايام التي قد كثرت فيها وسائط المخابرات والانتقال فماذا يا ترى كان يحدث منه في الازمان التي لم يكن فيها من وسائط بلوغ الاخبار الصحيحة مافي هـذه الايام . وبما أن هذه الحادثة هي من أهم حوادث الحرب قد ترجمنا التقرير الرسمي الذي قدمه البرنس بسمارك الى ملك بروسيا بهذا الشأن وهو ما يأتي :

اني اجتمعت بالامبراطور هنا في مخدع صغير من منزل حائك فيه مائدة واحدة وكرسيان وحدثته نحو ساعة . وكان يحب أن يحصل على شروط أسهل من الشروط التي طلبناها بخصوص تسليم الجيش . أما أنا فتمنعت عن المفاوضة بهذا الخصوص اذ أنه من الامور الحربية المحضة التي تجري المفاوضة بخصوصها بين الجنرال مولتك والجنرال ويمفن وسألت حضرة الامبراطور هل يميل الى اقامة المخابرات بعقد الصلح فاجاب أنه لا يقدر أن يقوم بذلك اذ أنه قد بات أسيراً فسألت حضرته قائلا في يد من تظن قوة فرنسا الاجرائية قد أمست فقال لي في يد الحكومة في باريز وبعد الوقوف على هذا الامر الذي لاتقدرون

حضرتكم أن تقفوا عليه من التحرير الذي بعث به اليكم الامبراطور أمس قلت للامبراطور ان المركز اليوم هو كالمركز أمس أي أنه يتعلق بامور حربية محضة ولذلك بينت لحضرته أن من واجباتنا الاولية الحصول بواسطة تسليم سيدان على كفالة مادية تكفل دوام النتائج الحربية التي بلغناها . وفي مساء أمس تفاوضت مع الجنرال مولتك في امكان تحقيق الشروط المطلوبة بدون ان تضر بالصوالح الالمانية و بعد التبصر اللازم وجدنا انه لابد لنا من ان نحكم باننا لا نقدر ان نخفف تلك الشروط . وعند ماذهب الجنرال مولتك الى حضرتكم بعد ان كان قد أتي من المدينة ليبلغ جلالتكم طلب الامبراطور لم يكن قاصداً ان يعضد ذلك الطلب وهذا مما لايخفى حضرتكم . و بعد ذلك خرج الامبراطور الى الخارج وطلب الي أن أجلس بجانبه امام باب البيت (كما ترى فى هذه الصورة) وسألني هل يمكن أن يصير السماح للجيش الفرنساوي ان يقطع حدود البلجيك ليصير أخذ سلاحه منه؟ وفي المساء السابق كنت قد تخابرت مع الجنرال مولتك بهذا الشأن ولم نتحدث فى المركز السياسي غير ان الامبراطور أظهر كدره من المصائب الحربية التي طرأت عليه وقال بتأكيد انه لم يكن راغباً في الحرب ولكنه التزم أن يدخل فيها لما رآه من ميل الامة اليها

وقد قال مكاتب جريدة الديلي نيوز الانكليزية الذي رأى الامبراطور والبرنس يتكلمان انه كان يسمع صوت البرنس عند ما كان يرفعه ليشدد تبليغ بعض العبارات وكان ينظر الرجل الساكن في المنزل الملاصق الذي اجتمعا فيه اليهما وهما يتكلمان من النافذة وقد قال هذا الرجل ان البرنس بسمارك شرع يتكلم باللغة الفرنساوية فقال له الامبراطور سمعت انك لا تعرف حق المعرفة اللغة الفرنساوية ولذلك أطلب اليك أن تكلمني باللغة الالمانية . وقد قال المكاتب المذكور ان الامبراطور قصد أن يتهكم على البرنس اذان المسيو بنديتي سفير فرنسا في برلين كان قد أخبره بانه التزم أن يكتب بيده المعاهدة السرية المشهورة التي كدرت كل دول أوروبا لان البرنس بسمارك كان لا يعرف ان يكتبها باللغة الفرنساوية .



الامبراطور نابوليون الثالث والبرنس بسمارك بيده السيف

ص ١٠٨

و بعد ان انتهت هذه المقابلة سار البرنس بسمارك قاصداً ان يقرر للملك ماجرى بينه و بين الامبراطور الذي سار راجعاً الى جنراليته . والظاهر ان الجيش في سيدان في كل هذا الوقت كان هائجاً ولا يحب ان يسلم . غير ان الالمان كانوا قد أحاطوا سيدان بمدافع حسنة وكثيرة حتي انهم كانوا قادرين أن يطلقوها عليها وفي زمان قصير جداً ان يخربوا كل ابنيتها حال كون مدافع سيدان كانت صغيرة وقديمة ولاتقدران تدافع دقيقة واحدة . ولو تمنع الفرنساويون عن التسليم لتمكن الالمان من قتل أكثر أهالى سيدان والجيش بكراتهم بدون أن يتمكن الفرنساويون من التسليم ولذلك اتفق القوم على شروط التسليم وامضوها في قرية صغيرة اسمها فرنوا وهي قريبة من دو نشرى . اما شروط التسليم فكانت خمسة بنود وممضية بامضاء فون مولتك وومبفن وما ياتي هو ترجمة مآلها :

بما ان الجيش الفرنساوي امسى محاطا بجيش يفوقه بعدده قد سلم نفسه اسير حرب وانه بما ان الجيش الفرنساوى دافع عن نفسه مدافعة الابطال فكل القواد والضباط الفرنساويين لا يسلمون أسلحتهم وأمتعتهم اذا تعهدوا بالشرف كتابة بانهم لايتقلدون أسلحة ليحاربوا المانيا ولا يفعلون مايضاد صوالح تلك البلاد مادامت الحرب الجارية منتشبة . اما كل الاسلحة والرايات والمهمات وغيرها فيصير تسليمها في سيدان الى لجنة حربية تقام لذلك . وان يصير تسليم مدينة سيدان وقلعتها لغاية ٦ ايلول (سبتمبر) . اما القواد والضباط الذين لا يقبلون الشروط المقررة اعلاه فيصير اخراجهم مع الجنود المأخوذة منها أسلحتها الى المقاطعات الواقعة عند الموز بالقرب من أجز ليصير تسليمهم بواسطة قوادهم الى المأمورين الالمان . ولايبقي وراء الجيش غير رؤساء الجراحين ليطببوا المجروحين

و بعد امضاء هذه الشروط نشر الجنرال ومبفن اعلاناً على الجيش الفرنساوي قال لهم فيه انهم قاتلوا من أول النهار الى الليل جيشاً يزيدهم عدداً بشجاعة لامزيد

عليها وانهم أطلقوا أكثر رصاصهم و بادر وهم قبل أن سلموا و بما أنهم تعبوا كل التعب بهذا القتال لم يقدروا ان يجيبوا طلب قوادهم بمحاولة الوصول الى طريق موتميدي لينضموا الى المرشال بازين وبما ان القواد باتوا غير قادرين على الخروج من المدينة وعلى الدفاع عنها التزموا ان يقوموا بعمل مكدر وهو أن يخابروا العدو . ولما كان هذا العدو يتهددهم باطلاق المدافع علي المدينة التزموا أن يقبلوا الشروط التى طلب اليهم أن يقبلوها بعد التخلص من العادات الحربية التي تخجل القواد في ظروف كهذه الظروف وهكذا قد صار تخليص كثيرين من هلاك لا ينتفع منه أحد وقد صار حفظ الجنود لينفعوا بلادهم في وقت مستقبل . فهذا هو ترجمة ملخص الاعلان الذى نشره الجنرال ومبفن وامضاه كقائمقام جيش سيدان العمومي في وقت التسليم

وكان ملك بروسيا ينتظر في فندري ليري هل يقبل الفرنساويون شروط التسليم أو يرفضونها وطال عليه زمان الانتظار فركب مركبته وسار الى ميدان الحرب فالتقى بالجنرال مولتك فاخبره بان الامبراطور كان قد خرج من سيدان في صباح ذلك اليوم الساعة الخامسة وانه يرغب في ان يجتمع به . فعين الملك مكانا لاجتماعهما في فرنوا واسم ذلك المكان شاتو بلفو وأتي الملك هذا المكان وقت الظهر ومعه ولي عهده وحشمه وفرقة من الفرسان لتحرسه . فوصل الامبراطور الى المكان المذكور بعد ذلك بمدة قصيرة ومعه حشمه وأعوانه واجتمع الامبراطور والملك في مكان من ذلك المنزل والمكان الذي اجتمعا فيه ذو منظر بهج فانه يري منه الوادي ومدينة سيدان

و بعث ملك بروسيا بتلغراف الي امرأته الملكة أوغوسطا قال فيه ان نابوليون منكسر الجانب ولكن لوائح الجلال لا تزال تلوح على وجهه وكذلك لوائح تسليم أمره الى نصيبه . وقال الملك المشار اليه في تحرير آخر بعث به الي الملكة انا (أي الامبراطور نابوليون والكاتب وهو ملك بروسيا) حزنا جداً عند ما قابل بعضنا البعض الاخر في الظروف الحالية . انني كنت قد رأيت نابوليون قبل هذه المرة منذ ثلاث سنين

فقط وكان في أعلي معالي عظمته ولذلك لااقدر أن أصف الحاسيات التي شعرت بها عند مااجتمعنا الآن

وقد تقرر في افادة اخرى ان الامبراطور كان غير مضطرب في أول الكلام الذي جرى بينه وبين الملك وانه قابل ملك بروسيا باحترام كثير وكلمه برهة قصيرة في قاعة خارجية ثم ذهبا الى مخدع آخر واغلقا الباب واجتمعا نحو ربع ساعة . وعند ماخرجا ظهرت على الامبراطور نابوليون لوائح الكدر وتكلم مع ولي عهد ملك بروسيا وقال له ان الملك عامله معاملة حنو شديد وكرم اخلاق . ومسح الدموع عن عينيه بقفاز احدي يديه الذي كان في يده الاخري وظهر اضطرابه مدة ثوان كثيرة وظهر عند ذلك ان الملك كان قد عين قصر ولهلمشوه لاقامته وهو في كاسل وكان قد أقام في هذا القصر عم الامبراطور نابوليون الملك جروم بونابارت من وستفاليا وكان اسمه حينئذ قصر نابوليونشوه . فطلب الامبراطور أن لايصير الذهاب به الى ذلك المكان على مرأي من جيوشه وقال انه يحب مجانبة المرور في البلاد الفرنساوية على قدر الامكان وأن يكون مسيره سريعاً فصارت اجابة هذه المطلوبات حالا بدون تردد . وسمح له بان يأخذ معه امتعته الخصوصية وحشمه ومركباته وبعض موظفي قصره . وعين الجنرال نويان البروسياني والبرنس سينار الذي كان كاتم أسرار سفارة بروسيا في باريز ليكونا معاونين لحضرة الامبراطور نابوليون

وقد كتب الدكتور روسل مكاتب التيمس الى هذه الجريدة تفاصيل الكلام الذي جري بين الامبراطور والملك عند مااجتمعا

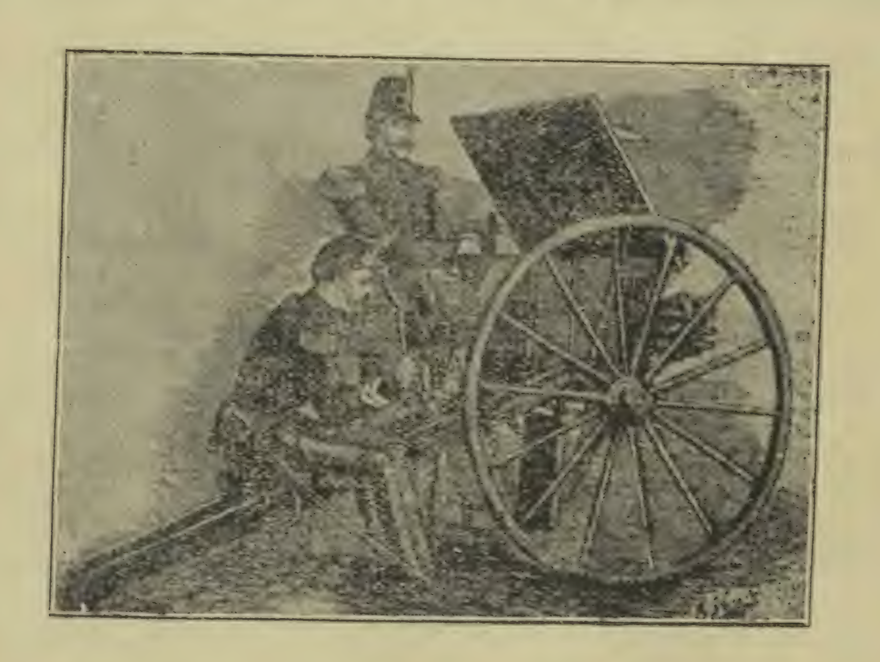
هذا ولايخفي ان البرنس بسمارك قال ان هذا الكلام هو كذب غير انه عند ماسئل بعد ذلك عن هذا الكلام قال انه لم يكذبه ولذلك نظن ان ماقرره الدكتور روسل المومااليه هو مطابق للحقيقة غير اننا لانعلم كيف تمكن من أن يعرف هذا الكلام معرفة مفصلة وما يأتي هو ترجمة ماقرره :

انه عند ما اجتمع الامبراطور بالملك ابتدأ الملك في الكلام وقال ان الله قد نصرني في حرب اشهرت ضدي · فقال الامبراطور انني لم أكن راغباً في فتح هذه الحرب ولكنني التزمت ان افتحها قياماً بحق ميل الامة وارادتها فقال الملك انني عالم بان فتح الحرب لم يكن ناتجاً عن ميلك الى فتحها وهذا مؤكد عندي ولكنك فتحتها قياماً بحق ميل الامة غير ان وزراء حضرتك هم الذين جعلوا الامة تميل الميل الذي أتى بهذه الحرب · و بعد أن صمت الملك برهة قصيرة قال ان الجيوش الفرنساوية قاتلت قتال الابطال والشجعان · فاجاب الامبراطور هذا صحيح غير ان جيوش حضرتك منتظمة نظاماً مصدره الانقياد خال كون جيوشي خالية من ذلك النظام خلواً يحملني على التأسف · فقال الملك ان جيوش بروسيا كانت تجني المنافع من جميع الوسائط الحربية الجديدة فانها كانت لا تنفك عن اقتباس اكتشافات ونظامات غيرها من الدول قبل سنة ١٨٦٦ و بعدها

فقال الامبراطور ان مدافعكم مكنتكم من الفوز فان مدافع بروسيا هي أحسن مدافع الدنيا · فانحنى الملك قليلاً شاكراً الامبراطور وقال له اننا سعينا في سبيل الانتفاع من اختبارات غيرنا · فقال الامبراطور ان البرنس فردريك شارل مكنكم من الفوز في هذا اليوم فانه هو الذي استولى على مواقفنا فاجاب الملك متعجباً هل قلت البرنس فردريك شارل انني لم افهم المقصود من كلام حضرتك فان جيش ابني هو الذي اقام القتال في سيدان · فقال الامبراطور ان كان ابن حضرتك قد أقام بالقتال أمس فاين ياترى البرنس فردريك شارل فاجاب الملك انه هو وسبع فرق من الجيش في ظاهر متس · فلما سمع الامبراطور ذلك أجفل ورجع الى الوراء كمن قداصابته داهية غير انه رجع حالاً الى نفسه وأخذ في التكلم · فقال له الملك هل ترغب حضرتكم في عرض شروط · فاجاب لا فانني بلا سلطان اذانني اسير فقال الملك هل تسمح لي ن اسألك أين هي حكومة فرنسا التي اقدر ان اقيم المخابرات معها فقال الامبراطور



البرنس فريد ريك ابن امبراطور المانيا



مدفع المترلليوز

ص ١١٢

بيوتهم ان يلتجئوا الى الكنائس وكانوا يقبرون الموتى فى المقابر خارج الاسوار فالتزموا أن يقبروها في جنات النبات داخل اسوار القلعة وفرغ الغاز من المدينة فامر الحاكم ان تضاء المدينة بتعليق مصابيح امام أبواب المنازل وخربت السكرات البروسيانية المكتبة العمومية والهيكل نوف وهو أكبر كنيسة بروتستانتية في المدينة ذات الارغن المشهور والنقوش الجميلة ومكان الآثار وغيرها من أجمل منازل المدينة والكنيسة المشهورة في كل الدنيا امست خربة تنوح على رونقها

وفي ٣ ايلول (سبتمبر) أمر الملك غليوم الالمان الذين كانوا يوجهون مدافعهم الى الابنية العمومية والمنازل الخصوصية ان يمتنعوا عن اطلاق السكرات على غير القلاع والحصون غير ان ورود هذا الامر كان بعد ان وقع ضرر عظيم على المدينة . ومع ذلك كان يظهر ان ستراسبرج ستثبت في الدفاع مدة طويلة وربما كانت شدة الصدام قد حملت الالمان الذين كانوا يقطعون الامل من فتح المدينة على أن يضروا بمنازلها الخصوصية

وكانت هذه الحوادث تحدث في الاماكن المذكورة وباريز في اضطراب غريب فان الحكومة كانت تشيع اخباراً عن انتصار الفرنساويين انتصارات عظيمة لان جهلها كان يحملها على الظن بان هذا يمكنها من التسلط على الشعب ويمنعه عن الهيجان والظاهر انها نسيت انه لا بد من ظهور الحقيقة وان ظهورها بعد ان تتأكد الامة انها كانت مخدوعة يحملها على ان تضطرب .

اما الحكومة الفرنساوية فلم تمكن الاهالي من الوقوف على حقيقة اخبار الفشل الذي لحق بجيوشها قبل أول ايلول (سبتمبر) وعند اعلان الكيفية لم تقرر الحق ولكنها أخفت كثيراً منه وقررت ان مصدر الاخبار الواردة عن التسليم في سيدان وحصر ميتس انما هو مصدر غير رسمي ولا يركن الى صحته ومع انها قالت ان الافادات الواردة تبين ان الجيوش الفرنساوية صادفت ويلات كثيرة لم تقل ان هذه الافادات وردت اليها ولكنها قررت انها افادات بروسيانية لا تصدقها ومايأتي هو ختام الاعلان الذي أعلنته

الحكومة الفرنساوية بهذا الشأن وهوان الحكومة لاتقدران تكفل صحة هذه الاخبار بواسطة نشرها امامصائبنا فتكدرنا فاننا لانقدر أن نري مارأينامن الشجاعةواحتمال المشقات يذهب سدي بدون أن نحزن جداً على ان هذه الامور لاتقلل نشاطنا ولكنها تزيده وتضاعفه . هذا ولايخفي ان الوزارة الحالية قد أجرت لفرنسا كل ماتسمح لهااستعداداتها ان تجريه ولاتزال استعدادات فرنسا قوية فبالنشاط والانضمام الى الامة تمكننا من الفوز و بناء علي ذلك نؤمل اننا بحوله تعالى سنتمكن من طرد العدو من فرنسا . انتهى .

وهكذا أمست الامة مخدوعة بواسطة حمق وشر الذين كان من واجباتهم ان يبينوا لها حقيقة الخطر الذي يتهددها ولذلك لانعجب متى سمعنا انه عند ماوقفت الامة على الحقيقة وعرفت ان حكومتها خدعتها باتت لاتركن الى تلك الحكومة التي غشتها عمداً . على ان الحكومة كانت تخاف من سوء العواقب ولذلك شرعت في تحصين باريز بكل اجتهاد وفي الاستعداد اللازم لدفع المحاصرين الذين كانت عارفة بقدومهم وقرر المجلس القضائي وجوب مبادرة كل الاهالي الذكور المتزوجين والعزاب الذين سنهم بين العشرين والخمس والثلاثين الى الانتظام في سلك العسكرية وفوض الحكومة الاجرائية ان تستخدم كل الضباط الاولين والثانويين حتى الذين بلغوا من السن الستين . اما الجنرال باليكاو فكان يخدع مجلس النواب بكتم حقيقة الخبر عند ماخطب فيه بهذا الخصوص كما خدعت الحكومة الامة ومع انه لابد من أن تكون الحكومة قدعرفت الحقيقة قبل ان خطب الخطاب المذكور لم يتردد عن ان يقول لاعضاء المجلس القضائي مايأتي وهو : قدحدثت حوادث مكدرة (هذا كلام عمومي صحيح غير انه قال بعد ذلك) ومن واجباتي ان اخبركم انه حدثت معركة بين مزير وسيدان فصادفنا فيها نجاحاً وفشلاً فاننا كسرنا البروسيانيين فى أول الامر وطردناهم الى الموز ولكننا التزمنا في نهاية الامر ان نتقهقر لان عدد جنود أعدائنا كان

اكثر من عدد جنودنا . والنتيجة انه لم يتمكن المرشال مكماهون والمرشال بازين من أن يجتمعا بجيوشهما قبل مضي مدة وقد شاعت اخبار غير هذه وعلى الخصوص عن جرح المرشال مكماهون غير ان هذه الاخبار غير صادرة من ينبوع مؤكد ومع ذلك قد أمسينا في مركز صعب فلا يجب أن ننقسم . انتهى .

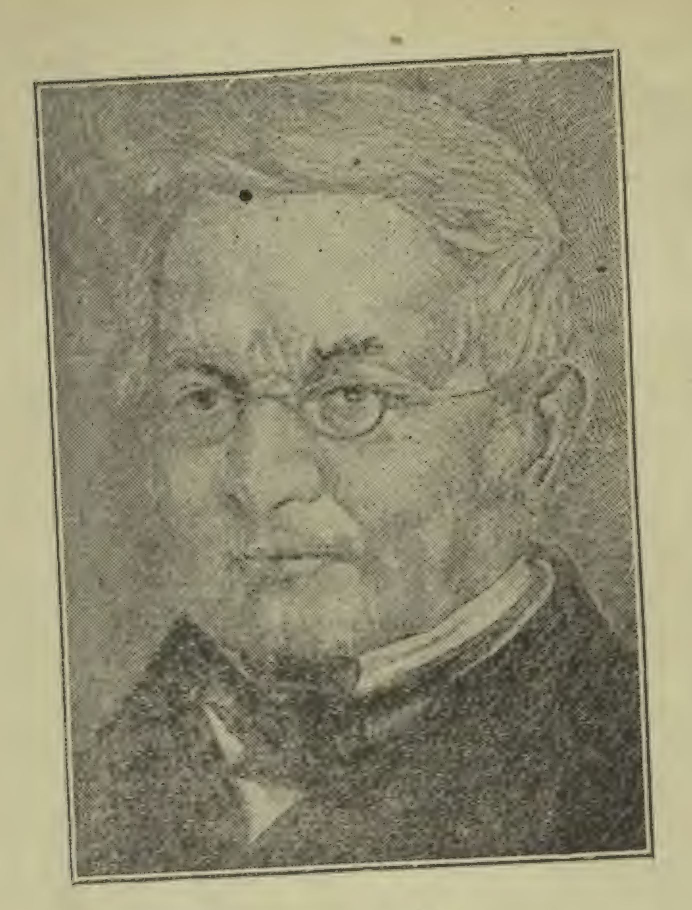
غير ان الوزارة الامبراطورية المذكورة لم تقدر ان تخدع الامة زمانًا طويلاً فان الاخبار الحقيقية انتشرت في باريز ولما عرف الاهالي انهم كانوا مخدوعين وان جيوش فرنسا منذ أول القتال الى زمان ورود الاخبار اليهم لم تصادف غير كسر وويل ولم تفز الا في معركة ساربروك التي لا تستحق الذكر صرخوا صراخا واحدا متضجرين من الدولة الامبراطورية فقال الموسيو جول فافر في المجلس القضائي قد خدعت الامة وانه لما كان قد تأكد انه لا يمكن اجتماع المرشال مكماهون والمرشال بازين كان لا بد له من أن يقيم الحجة على دوام الدولة الامبراطورية وطلب في أول الامر الى الجنرال تروشوان يقبض على زمام الاحكام ولكن بما ان الامبراطور نابوليون كان قد أقامه رئيساً للجنود وواليًا على باريز وذلك في ١٧ آب (أغسطس) أجابه بأنه لا يقدر أن يحمل مسؤلية اجابة ذلك الطلب . وعند ذلك صرخ القوم قائلين « فليتنحّ الامبراطور » وأتى تروشو جمهور قيل كان عدده عشرة ألف رجل وطلبوا اليه أن يقبض على زمام الامور فاجابهم كما أجاب الذين سبقوهم . فاجتمعت المجالس العالية في نصف الليل وكان القوم خائفين ومضطربين وأتى بالجنود لتدافع عن الاعضاء والتزم الفرسان ان يصدموا الجمهور مرات كثيرة وفي هذا الاجتماع قال الجنرال باليكا والمجلس القضائي ان جيش مكماهون سلم وان الامبراطور نابوليون سلم نفسه أسير حرب الى ملك بروسيا فاشتد الهيجان حتى التزم المجلس أن يمتنع عن المفاوضة وطلب الى المجلس أن يجتمع في اليوم الثاني ليتبصر في النتائج المضرة التي ربما كانت تعقب ويلا كذلك الويل وقال الموسيو جول فافر ان الامبراطور وعائلته قد خسروا كل الحقوق التي تقررت لهم نظاما وطلب أن يصير اقامة

عمدة مجلسية لتدبير الاعمال الحربية وتثبيت الجنرال تروشو في مركزه واليًا على باريز فعارض الموسيو بيكار المرسيو جول فافر وعند ذلك ابتدأت أنواء الثورة التي أتت بنتائج مهلكة ·

أما الذين كانوا يحبون أن يحافظوا على الاحوال المعتدلة فامسوا لا يقدرون أن ينفذوا غاياتهم الحسنة لان المكان الذي يقيم فيه ألوف من الفقراء والاوباش الذين يكادون يموتون جوعاً لا يمكن أن يصير المحافظة فيه على الراحة في ظروف كهذه الظروف لان أولئك القوم يعتقدون ان الثورات تأتيهم بنفع بواسطة حصولهم على نهب وسلب لا يقدرون أن يحصلوا عليها في أيام الضبط والراحة ولذلك كانت باريز مستعدة أن تقيم ثورة لاية علة كانت ·

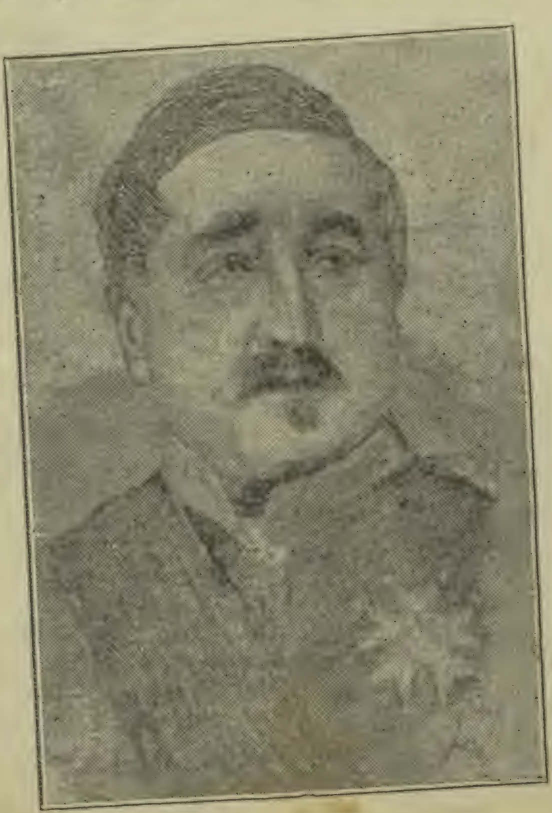
وكان كثيرون من العامة يتذمرون من الدولة الامبراطورية غير ان يد الامبراطور القوية كانت تصدهم عن تنفيذ غاياتهم التي كانوا يرغبون في تنفيذها قبل معركة سيدان بزمان ليس بقصير على انه لما كان الامبراطور قد أمسى أسيراً وبات غير قادر أن يخمد نيران الثوره بالقوة أو بالملاطفة أو بغير ذلك من الوسائط السياسية التي لم يتمكن أحد من ملوك فرنسا من تنفيذها مثله منذ الثورة الكبيرة التي حدثت سنة ١٧٩٠ هاج الشر الذي كان خامداً بتلك الوسائط واضطرمت نيران الثورة المنحصرة · أما الاصطلاحات التي قررها الامبراطور نابوليون في أواخر سنة ١٨٦٩ فارضت الذين يحبون الراحة من الامة فانه كان قد قرر حكومة منتظمة وقبل أن يسوس فرنسا بسياسة تشبه السياسة المفيدة وقبل شبوب نيران تلك الحرب التي أتت فرنسا بالاضرار المعلومة بمدة قصيرة أصبحت فرنسا في هدو وسكينة لم تصبح فيها منذ سنين كثيرة ·

ولما وقف الباريزيون على حقيقة أخبار ويلات سيدان غضبوا ولاموا الامبراطور نابوليون وهكذ تمكن أعداء الامبراطور وأعداء الراحة من اغتنام فرصة مناسبة لهم في زمان أمست فيه الامة في خطر مبين وفي احتياج شديد الى الاتحاد في مساعدة



المسيو تييرس

هو أول رئيس للجمهورية الفرنساوية بعد سقوط الامبراطورية الثالثة ولد سنة ١٧٩٧ وانتخب رئيساً للجمهورية فی ٣٠ آب (أغسطس) سنة ١٨٧١ وتنازل عنها في ٣٠ كانون الثانی (ینایر) سنة ١٨٧٣ وتوفي سنة ١٨٧٧



الحكومة وهكذا كانوا يزيدون ارتباكات البلاد وويلاتها ويسعفون الأعداء بطلب اسقاط الدولة السائدة ومحاولة اقامة جمهورية وذلك بواسطة الشروع في حرب أهلية عند ما كان العدو يقترب من عاصمتهم ٠

《 سقوط الامبراطورية واقامة الجمهورية الفرنساوية 》

وفي يوم الاحد الواقع في ٤ ايلول (سبتمبر) اجتمع المجلس القضائي ليبحث في حالة البلاد بالنظر الى ويلات سيدان المحزنة غير ان اجتماعه كان ليزيد ارتباك البلاد فان الجنرال باليكا طلب الى المجلس أن يقيم حكومة أعضاؤها خمسة رجال ينتخبهم ذلك المجلس وان يصير انتخابه رئيساً لهذه الحكومة ٠ أما موسيو جول فافر فطلب أن يصير اسقاط حكومة نيابة الامبراطور وان يقام رئيساً للحكومة الجنرال تروشو ٠ أما الموسيو تيرس فطلب ان يقام مجلس ليسوس البلاد ويدافع عن الوطن ويقيم مجلساً للتنظيم عندما تتخلص الحكومة من الارتباكات الجارية فصادق الجنرال باليكا على ما طلبه موسيو تيرس غير انه لم يقر قرار المجلس على شيء فانفض بدون نظام ولم يجتمع بعد ذلك اجتماعاً منظماً ٠

أما وزراء الدولة الامبراطورية فاصدروا اعلانات وعلقوها على جدران المدينة وما لها انه قد لحق بالبلاد ويل عظيم فانه التزم ٤٠ ألف جندي فرنساوي أن يسلموا بعد أن قاتلوا ثلثمائة ألف من الاعداء ثلاثة أيام قتال الابطال الاشداء وان المرشال مكماهون جرح جرحاً بليغاً وان الجنرال ويمبفن قرر معاهدة تسليم وما يأتي هو ختام الاعلان المذكور :

ان باريز قد باتت في حالة الحصار وقد صار الشروع في تنظيم قوات البلاد الحربية وبعد أيام قليلة سيجتمع جيش في ظاهر أسوار باريز وقد صار الشروع في جمع جيش آخر عند شطوط نهر اللوار ولا ريب في ان خلاص فرنسا متوقف على حبكم لوطنكم ونشاطكم واتحادكم ٠ أما الامبراطور فقد بات أسيراً غير ان الحكومة متحدة مع أولياء الامور وشارعة في اتخاذ كل الوسائل التي تقتضيها الحوادث الجارية المهمة ٠ انتهى

ولم ينتبه الاهالي حق الانتباه الى هذا الاعلان غير أن باريز كانت في سكينة

غير اعتيادية وهذه هي كالسكون الذي يسبق غالباً الانواء . هذا ولا يخفى ان يوم الاحد هو يوم سرور وحظ عند الفرنساويين وفي أول اليوم المذكور لم يخرج الى الاسواق غير قليلين من الاهالي وكانت كل الحوانيت مقفلة غير ان هذه الحال تغيرت دفعة واحدة فانه قبل الظهر بزمان قصير سارت فرقة كثيرة العدد من جنود الحرس الوطني في بولفار مونمارتر ومعها جماهير كثيرة من الاهالي من جميع الاصناف وكانت جنود هذه الفرقة متقلدة سلاحها الكامل وكان يظهر للحاضرين ان الضباط والجنود كانوا يسيرون مسير من كان ذا عزم ثابت وكانوا يسيرون صامتين غير ان الاهالي الذين كانوا معهم كانوا يصرخون قائلين فلنخلع الامبراطورية فلنخلع الامبراطورية فلتحيى فرنسا فلتعش الجمهورية وكان أولئك الجنود يسيرون بامر الجنرال تروشو ليقيموا حراس مجلس النواب غير انهم عند ماوصلوا الى بلاس دولا كونكورد صدر الامر بان يقفوا ويمتنعوا عن قطع الجسر والذي أمرهم بان يقفوا هو قائد فرقة من الحراس الفرسان وهكذا كان يظهر انه سينتشب القتال بينهما وأمر قائد الفرسان جنوده أن يجردوا أسلحتهم فجردوها فعند ذلك صرخ الحراس الوطنيون قائلين هلموا نتقدم غير انه بعد ذلك تخابر القائدان وارجع الفرسان سيوفهم الى اغمدتها وقطعت فرقة الحرس الوطني الجسر وهي تصرخ قائلة فلتعش الجمهورية وسارت ونزلت بالقرب من مجلس النواب مع فرقة من الجيش المنظم العامل وكان المجلس المذكور مجتمعاً . وكان في حديقة قصر التويلرى وهو القصر الملوكي فرقة صغيرة من الجيش العامل المنظم وكانت تقوم بحراسة القصر المذكور وظن القوم ان الهائجين من عامة الاهالي سيدخلون القصر المذكور ويهاجمون الفرقة المذكورة على ان جندياً من جيش الزواف كان يطرب الجمهور برقص رقصة اسمها عندهم كان كان وهكذا امتنعوا عن الدخول . هذا وكان جمهور العامة محافظاً على الراحة وكان محظوظاً ومكتفياً بان يصرخ قائلا فلتعش الجمهورية اخلعوا الامبراطور وبان يرقص رقصة الكان كان ويغني اغاني ثورات ويجلس تحت

الاشجار ويضع من اوراقها في برنيطاته وكان كثيرون من النساء الممدوحات السيرة والاولاد يسيرون في وسط هذا الجمهور بلا خوف ومن هؤلاء القوم من نشر رايات حمراء على اعمدة المصابيح والتماثيل وألزم بعض ضابطي باريز المتسلحين أن يسلموا عليها غير أنهم سلموا وهم يقيمون الحجة على القوم . ودامت الحال على هذا المنوال الى الساعة الثالثة بعد الظهر وعند ذلك صار تنزيل الراية المثلثة الالوان من قصر التويلرى وهذا يدل على ان الامبراطورة خرجت من قصر التويلري . وقبل ذلك بمدة قصيرة جداً وقع نزاع قليل بين بعض جيش الحرس الوطني و بين بعض الجيش العامل المنظم ... الجنود المنظمون الحراس الوطنيين بعض الصدام غير أنهم امتنعوا عن ذلك ... مع جنود الحرس الوطني وعند ذلك وصل كثيرون من الرجال الى مجلس النواب ومنعوا دوام اقامة المفاوضة في أمر الدفاع عن البلاد الذي صار الشروع فيه قبل ذلك بيوم واحد وصعد الجمهور علي المنبر وجلسوا في مجالس النواب وقالوا باسم الجمهورية ان النواب قد أمسوا معزولين من وظائفهم مع أنهم كانوا قد انتخبوا انتخابا أصولياً .

ولا يخفي ان هذه من الامور المخلة جدا التي لا توافق روح الاشغال حتى ان كثيرين من رؤساء حزب الجمهوريين منهم الموسيو كامبتا والموسيو اراكو أقاموا الحجة علي الجمهور ومع ذلك أصر على تنفيذ مقاصده ودق جرس الرئيس وتهدد الاعضاء ثم شرع في ان يغني أغنية المارسلياز وهي أغنية ثورة ثم قال ذلك الجمهور انه قد انتهت جلسة المجلس المذكور ولولا مبادرة بعض الاعضاء الى الهرب لما تمكنوا من الخروج بدون أن يمزق الجمهور ثيابهم وعندما خرج كل الاعضاء الذين كانوا يحبون المحافظة على الحالة الحاضرة اجتمع المعارضون وهم المعروفون بحزب اليسار وشرعوا في تقرير أسماء قوم كانوا قد صمموا على أن يقيموهم حكومة موقتة . فعينوا سبعة أو ثمانية رجال فخرج الجمهور وسار قاصداً الاجتماع عند أوتل دي فيل وقرروا هناك

مرة ثانية أسماء رجال عينوهم ليتقلدوا زمام الحكومة • وعند ذلك صرخ قوم قائلين انه قد أعلن في الشوارع خلع الامبراطور واقامة الجمهورية فلما سمع الجمهور بذلك ضج بأصوات الفرح وخرج الحراس الوطنيون من مواقفهم بالقرب من مجلس النواب وساروا في دوريفولي وكانت الجيوش النظامية العاملة تنضم اليهم وهم سائرون . وكان يظن الناظر ان الاهالي مشتغلون في اقامة الافراح بسبب تمكن الجيوش من الانتصار التام على الاعداء ولو رآهم أجنبي يجهل سبب فرحهم لظن انهم قد فازوا في الحرب وطردوا الالمانيين من فرنسا بعد ان شتتوا شملهم وما من أحد من الذين يعرفون الواقع يخطر له ببال ان عساكر الامة التى كانت غائصة في بحار الافراح والسرور كانت منكسرة في سيدان حال كون الوف منهم قتلى وجرحى وأمبراطورها ونحو مائة ألف من جنودها أسرى في بلاد أجنبية . واشتد فرح الاهالي حتى انه كان يعانق بعضهم البعض الآخر في الاسواق ويبكون فرحا وكثير من النساء الكريمات كنّ يوقفن مركباتهن عن المسير ويأخذن يد الجنود تنشيطاً لهم وتهنئة وشرع القوم في أن يهينوا الدولة الامبراطوية فاخذوا في قلب كل تماثيل العائلة المذكورة وفي طرحها في النهر بالاهانة والاحتقار وحاولوا الدخول الى قصر التويلري لينهبوه على ان حراسه كانوا قد أقفلوا الابواب فرجع القوم عنه . ووقع بينهم خلاف في أوتيل دى فيل على انتخاب راية الجمهورية الجديدة ومنهم من قال ان الراية التي هي ذات ثلثة ألوان انما هي راية بلا أصل ولذلك يجب أن ترجع الراية القديمة البربونية وهي راية بيضاء فيها زهرة زنبق في الوسط ومنهم من قال ان تلك الراية هي راية مدنسة وبعد مجادلات طويلة قر قرارهم على المحافظة على الراية التي هي ذات ثلثة ألوان وهي راية الجمهورية والامبراطوية التي خرجت منهم مرتين . وعند اقامة الحكومة الموقتة قر القرار باطلاق سبيل المسيو هنري دور شيفور الذي كان مسجونا وهذا المسيو هو محبوب جداً من العامة وهو محرر جريدة فاطلقوا سبيله وأركبوه مركبة واجتمع الرجال وصاروا يجروه بها في الشوارع

بسرور وفرح لا مزيد عليهما وعند ماوصل الى أوتيل دي فيل قبل على مراي من الجمهور المسيو راسيل أحد محرري جريدته ودام الجمهور يسير بها على تلك الحال في أكبر شوارع المدينة الى أن خيم الظلام فعند ذلك أخذ القوم يحملون مصابيح مشتعلة وذلك ليرمزوا الى الجريدة التي كان يحررها ذلك المسيو وكان اسمها الالانترن أي المصباح . ودامت هذه الافراح تلك الليلة الخريفية البهجة بطولها وكان القوم يجلسون و يشربون المسكرات و يدخنون و يتكلمون بفرح و يغنون و يضحكون فرحين بسقوط الدولة الامبراطورية وناسين كسر الجيوش الفرنساوية وفوز البروسيانيين .

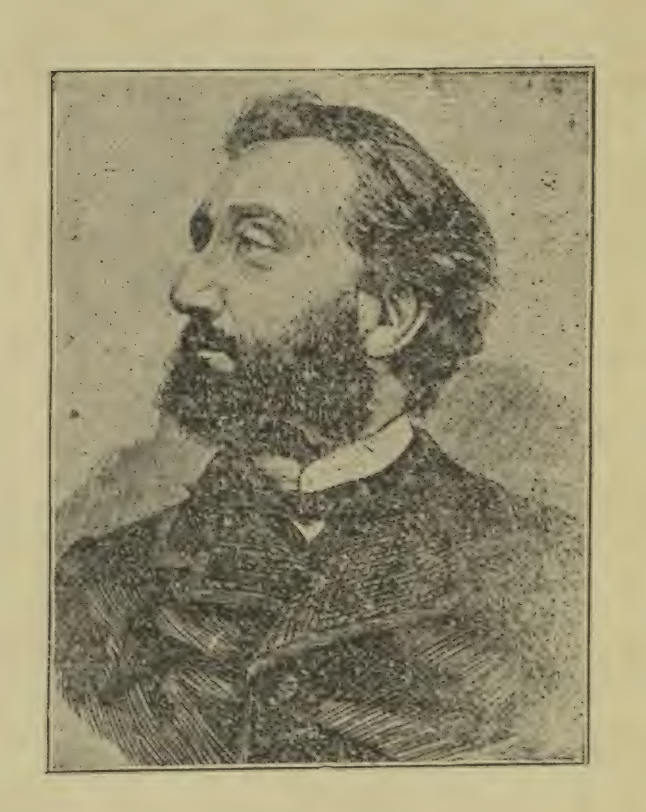
وعند ذلك اجتمع المجلس العالي وأقام الحجة على اعمال الاهالي وقال بعض الاعضاء ان أعضاء المجلس القضائي خالفوا يمين الامانة للامبراطورية بواسطة خلعه ثم صرخ المجلس المذكور قائلا فليعش الامبراطور وقرر الغاء قرار المجلس القضائي لجهة خلع الامبراطور ثم انصرف المجلس العالي ولم يجتمع بعد ذلك وفي اليوم الثاني اجتمع المجلس القضائي اجتماعا مخصوصاً وكان الموسيو تيرس قائمقام الرئيس فقرر أن يصير نشر الاعلان الآتية ترجمته .

يا أيها الفرنساويون . ان الاهالي قد أبطلوا سلطة مجلس لم يبادر الى أن يخلص البلاد وهي في خطر وقد طلبوا جمهورية والجمهورية هي التي دفعت المهاجمين سنة ١٧٩٢ ولذلك قد تقررت وقد تمت الثورة باسم المحافظة على الحقوق والراحة العمومية . يا أيها الاهالي احرسوا البلاد المسلمة اليكم وفي الغد ستقومون أنتم والجيش بحق أخذ ثار البلاد انتهى .

وامضي هذا الاعلان أعضاء الحكومة الجديدة الموقتة وهم الجنرال تروشو الرئيس وله سلطان تام للقيام بحق الدفاع . وموسيو جول فافر وزير الخارجية وموسيو كامبتا وزير الداخلية ومعهم تسعة رجال أقل شهرة منهم . أما موسيو جول فافر فكان رئيس حزب الجمهورية في المجلس القضائي مدة طويلة ولئن كان القوم لا يظنون أنه متقدم تقدما

. كافياً في مباديه ليكون رئيس الجمهورية وكانت مهنته مهنة قانونية فانه كان من علماء النظامات والقوانين وكان من الذين قلبوا الملك لويس فيليب عن عرش فرنسا سنة ١٨٣٠ وأنشأوا الجمهورية سنة ١٨٤٨ ومما جعله ذا تقدم عند المضادين للامبراطور هو اتقانه المحاماة عن الكونت أورزيني عندما أقيمت محاكمته لانه حاول قتل الامبراطور وصار قتل هذا الكونت قصاصاً سنة ١٨٥٨ وهذا هو الذي جعله ذا شهرة وهو خطيب بليغ غير أنه ليس من رجال السياسة المشهورين بالحذق . أما موسيو كامبتا فهو أصغر رجال تلك الحكومة ومع ذلك المظنون أنه أحذقهم وهو من أهل المعارف القانونية والنظامية ومن أهل الغيرة والحماسة . وبما أن الباقين لم يشتهروا وكانت دولتهم قصيرة لا يقتضي أن نذكرهم . وصارت اقامة عمدة الدفاع عن الوطن وكان موسيو هنري دوروسفور من أعضائها ومن واجباته تنظيم حواجز باريز اذا تمكن البروسيانيون من أن يجوزوا الحصون والقلاع ويصلوا الى المدينة وبما أن القوم كانوا مصممين على أن يدافعوا عن المدينة الى أن يقتل كل الرجال الباريزيين لم يصر الانتباه الى القيام بمأموريته موسيو روشفور المذكور قياما يمكنه من اظهار حذقه ومحبته لوطنه .

وبعد ذلك قرر الوزراء فض المجلس القضائي والغاء رياسة مجلس الشورى والمجلس العالي وقرروا أنه يسوغ لكل من أراد أن يعمل الاسلحة أن يعملها وعين موسيو أسين راكو حاكماً لباريز ومعه موسيو فلوكي وموسيو برسون وعين موسيو كيراتري رئيسا للضابطين . وقررت هذه الوزارة العفو عن جميع الجرائم السياسية فرجع كثيرون من المنفيين من مشاهير الرجال من أشهرهم موسيو فيكتور هيكو الشاعر العظيم وكاتب الروايات المشهور وموسيو لدور رولن وليوس بلان وأتوا باريز بعد أن كانوا عائشين في المنفى مدة طويلة فانهم كانوا يحبون أن يشتركوا في هذه الاعمال الجديدة . وأقاموا ولاة وحكاما في الولايات والمدن غير الولاة والحكام الاولين وصار ابطال وظيفة حراس المدن بدون اقامة من يقوم مقامهم من الضابطين وسموا شوارع المدينة باسماء



المسيو كامبتا

ص ١٣٠

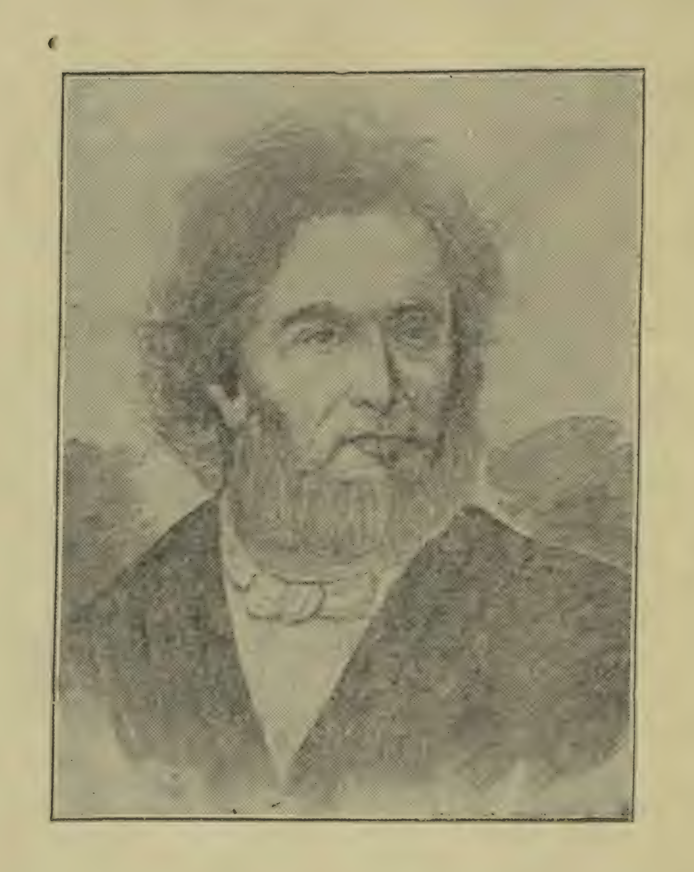
جديدة فانهم كانوا يبطلون كل اسم يذكر الاهالي بالامبراطورية أو بالامبراطورين .

هذا ولا يخفى ان الامبراطورة أوجيني أمست في مركز مضطرب في وسط الافرح التي أقيمت عند سقوط الامبراطورية . وفي يوم الاحد باكراً في الصباح قال موسيو دولسبس الذي فتح خليج السويس ان الاوفق لها ان تستعفى بالنيابة عن الامبراطور غير ان الوزراء قالوا انه لا يحق للامبراطورة أن تنوب عن الامبراطور في ذلك وأن هذا الاستعفاء بلا فائدة وثبتت الامبراطورة المنكودة الحظ في سياسة البلاد ثباتاممدوحا في تلك الظروف الصعبة الى أن أمست وحدها فان أكثر مشيريها كانوا قد تركوها وعند ذلك خرجت من قصر التويلري ماشية ومعها رجال قليلون غير أنها انفصلت عنهم بازدحام القوم في الشارع الذي مرت فيه وعند ما كانت مارة في وسط القوم عرفها ولد واحد فقط وقال هوذا الامبراطورة فلما سمع ذلك الجمهور قال هيا بها الى الـكيلوتين وهي آلة الذبح . غير انها كانت من أهل الشجاعة فلم تضعف عزائمها ولم يظهر عليها شيء من لوائح الخوف فدخلت محلا كثر فيه الازدحام وغابت عن أعين الذين عرفوها وتمكنت من الوصول بسلامة الى بيت صديق من أصدقائها وتخبأت مدة قصيرة هناك وقال لها أصدقاؤها ان الاوفق أن تقلع عن الذهاب الى محطة المركبات البخارية لانه لا ريب في أن القوم يعرفونها وأخيراً خرجت من باريز في مركبة بضاعة خصوصية وذهبت الى كاين وبقيت فيها ثلاثة أيام وليلتين وعندماخرجت منها سارت الى أن وصلت الى تروفيل وركبت باخرة السيرجون برجون . وأما هذا السير فقبلها بسرور لا مزيد عليه في سفينته .

أما أهالي فرنسا فسروا باقامة الجمهورية فان أهالي الولايات رأوا انه لا سبيل لهم الى التمنع عن قبولها . وعند ذلك شرع موسيوجول فافر فى أن يطلب الى دول أوربا أن تعترف بالحكومة الجديدة وقال ان الامبراطورية وقعت من جرى ثقل حمل أغلاطها وان ذلك تم بدون سفك نقطة واحدة من الدم وبدون سلب حرية رجل

واحد وانه لم يصر تكدير الراحة دقيقة واحدة وأن أهالي فرنسا الذين تمكنوا من النجاة من سياسة حكومة تبرهن على انها أهملت كل واجباتها يهتمون بأمرين وهما الحصول على القوة باحترام الحقوق واخراج الاجانب المحاربين من الاراضي الفرنساوية وان الجيش أظهر من النشاط والشجاعة مالامزيد عليه غير انه بات ضحية عدم أهلية قائده الاول وما يأتي هو ما قاله موسيوجول فافر عن ملك بروسيا وهو ان ملك بروسيا قد قال انه يحارب الدولة الامبراطورية ولا يحارب فرنسا فقدسقطت هذه الدولة ولذلك قد أنهضت فرنسا نفسها حرة فهل يرغب ملك بروسيا أن يداوم القيام بحرب شريرة تضر به كما تضر بنا اذا لم تقل غيرذلك وهل يرغب أن يمكن عالم القرن التاسع عشر من أن يرى أمتين تهلك احداهما الاخرى حال كونهما تنسيان حقوق الانسانية والتعقل والمعارف وتجران قتيلا فوق قتيل وويلاً فوق ويل . فان كان يرتضي أن يأخذ على نفسه مسؤلية ذلك وتهددنا فنحن نقبل تهديداته ونقابلها بحد السيف ونقول اننا لا نسلم باعطاء فتر واحد من بلادنا ولا باعطاء حجر واحد من حصوننا فان عقد صلح معيب انما يشير الى حرب قريبة الى الفناء أما نحن فنحب أن نعقد صلحاً دائماً فان صوالحنا هي صوالح أوربا والمظنون ان دول أوربا تقبل ما قد قررناه من أفكارنا بهذا الخصوص واذا أمسينا وحدنا لانخضع فان جيشنا شديد العزم وقلاعنا فيها مهمات وزاد كثير وفضلا عن ذلك جميعه قدصمم ثلثمائة ألف مقاتل أن يعرضوا صدورهم لنار العدو الى أن يفنوا عن آخرهم انتهى .

فهكذا خاطب موسيوجول فافر دول أوربا ولم ترد أجوبتهم حالا . ونشرت الحكومة الجديدة اعلانات على الجيش والولاة ما لها يقارب مآل التحرير الذي بعث به موسيو جول فافر الى دول أوربا . وبادرت الدائرة الفرنساوية من جمعية الفعلة العمومية الى نشر اعلان على الالمان مآله أنه لما كانت الامبراطورية قد سقطت كان لابد من أن يدعوهم ليلقوا عنهم أسلحتهم وينضموا كاخوة الى الشعب الفرنساوي وذكر في هذا



المسيو جول فافر

ص ١٣٢

الاعلان ان الامة الفرنساوية هي أخت كل الامم الحرة ومتحدة معها وانه لا دخل لها في أحوال غير أمم وانه عند ما يعبر الالمان الرين الى جهة المانيا تمد يديها لمصافحة الالمان وتنسى الذنوب التي جعلها الملوك الظالمون ترتكبها الى أن قال فيه: ومن واجباتنا أن نعلن حرية الامم والمساواة بينهم وأخويتهم وان نجعل دول أوربا دولة واحدة اسمها الدول المتحدة الاوربية ونصرخ قائلين فلتعش الجمهورية العمومية

وعند مارجع موسيو فيكتور هيكو كاتب الروايات والشاعر المشهور من منفاه استحسن أن ينشر اعلاناً تحت اسمه فنشره وقال فيه ان الجمهورية قد اقيمت وانه قام بحق كلامه الى ان قال كلاماً مصدره الغلو الذي لولاه لكادت تكون كتاباته بلا عيب: ان تخليص باريز انما هو عبارة عن أكثر من تخليص فرنسا فانه تخليص العالم لان باريز انما هي عاصمة التمدن ومركز الانسانية ومدينة كهذه المدينة لا تمسي مفتوحة بحرب وحشية . وكذلك أتي غاريبالدى في فرنسا وقال للفرنساويين الجمهوريين انهم مقدمة الذين يقلبون ظلم الممالك . وحرضهم على أن يحموا من الكدر الحكومة التي بادروا الى اقامتها بعد ان كانت ساقطة .

وفي ٨ ايلول (سبتمبر) بعد قيام الجمهورية الفرنساوية بثمانية أيام عرفتها دولة امريكا وايطاليا واسبانيا وسويسرا و بورتغال. اما انكلترا فمتنعت عن ذلك تمنعا كدر اصحاب الصناعة والفعلة في انكلترا وقد قال مستر غلادستون وزير انكلترا الاول بهذا الخصوص انه لا يجب أن نعترف باقامة الجمهورية الفرنساوية الا بعد أن تقررها الامة الفرنساوية بالانتخاب العمومي . وبعد الانتهاء من نشر كتابات التهاني بقيام الحكومة الجمهورية في فرنسا ونشر الاعلانات بهذا الشأن شرعت الحكومة الفرنساوية الموقتة في القيام بالاعمال اللازمة قياماً مستنداً الى الاجتهاد والكد . وفي ٥ ايلول (سبتمبر) اقام الجنرال تروشو في قصر التويلري الذي كانت قد أخلته الامبراطورية الفرنساوية وصارت المبادرة الى ارسال عمدة من قبل الحكومة المذكورة الى مدينة طور لتقوم بالاعمال

اللازمة اذا أمست باريز محصورة وباتت الحكومة المقيمة فيها غير قادرة على ادارة الاعمال في خارجها .

وعند ماعرف امراء فرنسا المنفيون في انكلترا منذ مدة طويلة بان الدولة الامبراطورية قد سقطت بادروا الى المجيء الى باريز وطلبوا ان ينتظموا في سلك خدمة البلاد ليتمكنوا من الذب عن وطنهم ودفع الفاتحين ولو كانت الخدمة التي يمكنهم ان يحصلوا عليها من أدنى الخدمات وهؤلاء الامراء هم الدوق دومال والدوق دوشارتر والبرنس دوجوانفيل وهم من العائلة البوربونية الاورليانية التي ملكت في فرنسا مدة غير ان الحكومة الفرنساوية كانت تعتقد ان وجودهم في باريز يكدر الجمهوريين ويحملهم على أن لا يركنوا اليها ولذلك طلبت اليهم باعتبار ان يخرجوا من المدينة فخرجوا بدون تردد وأتوا كالس وأقاموا فيها اقامة موقتة .

ولما سمع الجمهوريون في مدينة ليون وتولوز ومرسيليا انه قد صارت اقامة الحكومة الجمهورية في باريز فرحوا فرحاً متجاوزاً حدود الاعتدال . وعند ما سمع اهالي مرسيليا بويلات سيدان اجتمع قوم من عامتهم وهجموا على قاعة المالية البلدية وقطعوا رأس تمثال الامبراطور نابوليون ودحرجوه في الشوارع وهم يدوسونه بارجلهم وطرحوا النسر وهو علامة الدولة الامبراطورية في البحر وكسروا كل العلامات الامبراطورية التي كانوا يصادفونها .

وفي ٨ ايلول (سبتمبر) تحقق الجنرال تروشو انه لابد من أن يأتي الالمانيون باريز فامر ولاة الولايات المجاورة لباريز أن يبادروا الى انشاء التنظيمات اللازمة للدفاع . ودخل الخوف قلوب كثيرين من أهالي فرنسا ولذلك هرب كثيرون منهم الى بلجكيا وانكلترا وبقيت مراكز الطرق الحديدية في باريز أياماً كثيرة محلاً لازدحام اقدام الطالبين الفرار ولامتعتهم اما الذين هربوا فهم الجبناء الذين لا يحبون وطنهم محبة صحيحة . واجتهدت الحكومة الموقتة كل الاجتهاد في جمع كل ماتقدر أن تجمعه من الزاد وحيوانات الذبح

داخل باريز خوفاً من الاحتياج الى ذلك في مدة اقامة الحصار فملأت غابة بولون وهي من الاماكن الجميلة المعينة للتنزه في باريز بالمواشي التي خربت كل حواجزها وأكلت مزروعاتها والنباتات الكثيرة الجميلة الموجودة فيها لان الحصول على مايقوم باود القوم عند ماينحصرون هواهم كثيراً من المحافظة على جمال ذلك المكان البهج وبعد ذلك بمدة قصيرة قطعت أشجاره وبان ذلك المكان الذي كان جميلاً جداً كانه قفر جدب .

وهكذا انفتحت أبواب جديدة للحرب لان الالمان تمنعوا عن عقد الصلح فانه كان قد قال البرنس بسمارك الذي لايحب الجمهوريات ولم يكن يعتقد بان الذين تقلدوا سياسة فرنسا كانوا أهلا لذلك: انه مصمم على أن يأخذ من فرنسا ولاية الالزاس وولاية اللورين فانهما كانتا ولايتين المانيتين ودخلتا في يد الفرنساويين بالفتح قبل ذلك بنحو مائتي سنة وان الالمان لم يرغبوا في الحصول على الولايتين المذكورتين لانهم كانوا راغبين في توسيع املاكهم ولكن لانه كان من اللازم تقوية الالمان عند حدودهم واضعاف الفرنساويين في المكان المذكور واجتمع البرنس المذكور بمراسل من مراسلي الجرنلد وقال له انه من الموافق ان نجعل الالزاس واللورين مملكة مستقلة واقعة بين لكزمبورج الى سويسرا وهذا يمكننا ان نحمي كل الحدود الشرقية من فرنسا ولكن من ياترى يكفل قيام هذه المملكة على الحياد فان الاهالي يرغبون على الدوام ان ينضموا الى فرنسا لانها المملكة التي كانوا منضمين اليها منذ زمان طويل

اما نحن فلابد من أن نحصن بلادنا لنحميها من مهاجمات الفرنساويين . ومادامت ستراسبرج في يدها نكون نحن هدفاً لتعدياتها فانه ليس لنا قلاع في البلاد الواقعة بين الحدود وبين قلعة إلم المختصة بنا ولذلك اذا انتصرنا لابد من أن نأخذ ستراسبرج وميتس وسنجعل ستراسبرج قلعة للدفاع كما جعلت انكلترا قلعة جبل طارق لها وسيتذكر الفرنساويون هذا عند مانأخذ قلعتين من أحسن قلاعهم ولكن لما كان مؤكداً انهم

لايسامحوننا بعد ان كسرناهم ذلك الكسر الشديد كان لابد من أن نجتهد في الحصول علي الضمانات المادية التى تحمينا من تعدياتهم في المستقبل ·

و بعد ذلك اجتمع البرنس بسمارك بمكاتب جريدة الستاندارد الانكليزية وقال له في أثناء الحديث اننا لانحب أن نزيد بلادنا لمجرد الحصول علي الزيادة فان وجود قوم يتكلمون اللغة الفرنساوية (معناه أصحاب ميل فرنساوي) بين رعايا المانيا هو من الامور المتعبة والمكروهة على ان هذه الحرب هي تتمة الخمس والعشرين حرباً التي فتحتها فرنسا على المانيا في مائة سنة · اما الآن فبما ان الله قد ساعدنا في عملنا ومكننا من شفاء مرض الانشقاق الذي كان يضعفنا تمكنا من أن نذلها أشد الذل و يغلط كل من يؤمل بان يخمد غضبها و يرضيها ·

و بعد ان نجح الالمان ذلك النجاح العجيب في سيدان بادروا بنشاطهم الاعتيادي وسرعتهم الشديدة الى القيام بمقتضيات الحال وسارت طليعة الجيش الذي كان في ظاهر القلعة المسلمة في ٣ ايلول (سبتمبر) قاصدة باريز و بعد ذلك بايام قليلة تبعها فرق من الجيش الثالث والرابع تاركين وراءهم قلعة ستراسبرج ومتس وتيونفيل وفزبار ولونكفي وموثميدي وفردون وتول وسواسون · وسار ولي عهد ملك بروسيا في جيشه في وادي المارن و ولى عهد ملك ساكسونيا في مونميرل وشارن و بري كونت رو بر وقطع الجيش الثالث والرابع الطريق أى كل منهما قطع طريقا واحدة الى جهة مخالفة في ريمز وفي ٥ ايلول (سبتمبر) نزل المنصورون في عاصمة ولاية شامبين الجميلة ·

وفي ذلك اليوم بعد الظهر ببرهة قصيرة دخل أربعة فرسان بروسيانيون المدينة المذكورة ووقفوا امام حانوت رجل يبيع مأكولات وطلبوا شيئاً من الخبز فاعطاهم اياه صاحب الحانوت وقبض الثمن ·

وكان جندي فرنساوي واقفاً فطرح نفسه على الجندى البروسياني من هؤلاء الجنود وحلف بانه لايسمح له أن يأكل مااشترى فضرب الجندي الفرنساوي بطرف

غدارته ولكن لما رأى انه لم يتركه أطلق عليه الرصاص وجرحه وعند ذلك خرج الجنود راكضين وشرع فتى يطلق عليهم الرصاص . و بعد الظهر بثلاث ساعات رجعوا مع فرقتهم فخرج حاكم المدينة واستقبلها وسلمهم المدينة تسليما رسمياً . و بعد ذلك بمدة قصيرة وصل قلب الجيش الالماني وكان عدده خمسة وعشرين ألف رجل وكان ملك بروسيا يسير في مقدمتهم . اما ريمز فكانت غير قادرة ان تدفع هجوم جيش فاتح ولذلك دخلها الالمان وجعلوها نهاية المرحلة الاولى من مسيرهم الى باريز و بعد ان ارتاحوا برهة ساروا قاصدين باريز بدون أن يصادفوا مصادمة تستحق الذكر غير ان الفرنساويين كانوا يهدمون الجسور والالمانيون كانوا يقيمون مايقطعون الأنهر عليه بدون صعوبة . وفي ١٠ ايلول (سبتمبر) وصل الالمان الى كرسي وكومبيان وهما بلدتان من ولاية اللوار التى تبعد عن باريز نحو ثلاثين ميلا الى الجهة الشرقية الشمالية وفي ١٩ من الشهر المذكور حصر الالمان باريز حصراً كاملاً وفي اليوم الثاني نزل ولي عهد ملك بروسيا هو وأركان حربه فى مدينة فرساليا وكان معه الجيش الثالث وكان نزوله فيها بعد ان أسر ألفي جندي من جنود الحرس المتنقل الذين كانوا يحرسون المدينة . وعقد الالمان وأولياء أمور المحل المذكور الشروط الآتية وهي . أولاً أن لايصير تعد على الاشخاص والاملاك والامتعة ولا الحاق ضرر بالاعمال الصناعية الموجودة في ذلك المكان . ثانياً أن ينزل الجنود الالمان فى منازل العساكر اما الاهالي فملزمون أن يفرغوا محلات للضباط وللجنود الذين لايجدون محلا كافياً في منازل العساكر ثالثاً أن يصير السماح للجنود المحليين وهم من غير الجيش العامل أن يتقلدوا أسلحتهم ولمنفعة جميع الذين فى المدينة صار تركهم ليضبطوها . رابعاً أن لايطلب الالمان الى الاهالي أن يدفعوا لهم أموالاً وانه من واجبات المدينة ان تقدم كل مايلزم للالمان لسد احتياجات الجنود الالمانية التي تقيم فى المكان المذكور أو التى تمر به وذلك بالاسعار الاعتيادية

وفى و ١٧ و ١٨ و ١٩ ايلول (سبتمبر) المذكور انتشب قتال شديد بين الالمان وبين جيش الجنرال دكر والذى كان نازلاً فى تلال حول جيوف فى الجهة الجنوبية من باريز وكان ممتداً قليلا الى الجهة الغربية ومع ان الفرنساويين كانوا قد أوقعوا اضرارا كثيرة باعدائهم بالقتل التزموا فى نهاية الامر ان يتقهقروا . اما بعض الجيوش الفرنساوية وعلى الخصوص جنود الحرس المتنقل فاقاموا للقتال في المواقع المذكورة كالابطال وثبتوا في مواقفهم ثباتاً عجيباً غير ان الفرقة الاولى من الزواف طلبت الفرار بدون ترتيب وذلك قبل أن تطلق بنادقها اطلاقاً يسوغ أن يدعي اطلاق بنادق فرقة منظمة ودخلت باريز وفرائصها ترتعد خوفاً وأهالى باريز يسخرون بها ويوبخونها وصار القاء القبض على كثيرين من جنود هذه الفرقة الجبناء وصار قتلهم تأديباً لغيرهم من الذين ربما كانوا يهربون مثلهم . فقللت هذه الكسرة جسارة أهالى باريز ولكنه لم يطل ذلك فانهم تشددوا وجدوا في سبيل القيام بما يلزم فانهم كانوا يؤملون أنهم سيتمكنون من قهر العدو بواسطة الثبات والبسالة وكان الفرنساويون قد خربوا كل الاماكن المجاورة للمدينة لكي لا يجد الالمان محلات تقيهم من البرد فخربوا كل الاماكن والمنازل والابنية الواقعة بين باب نولي وبين باب ترن خلا الكنيسة المبنية ذكرى للدوق دورليان أكبر أولاد لويس فيليب الذكور وأحرقوا الاحراش وجنات التنزه الواقعة بالقرب من المدينة ولم يمتنعوا عن احراق وهدم كل شئ كانوا يظنون ان هدمه واحراقه يضر بالالمان ولو كان ثميناً وجميلاً جدا . وقد كتب مكاتب إحدى الجرائد الانكليزية بهذا الشأن ما يأتي وهو انني وقفت على سطح البيت الذي أنا فيه فرأيت احراش ميسونس ومونمورنتي وسان بري وسان كراسيون تحترق ومع ان الهواء يهب من الشرق والمطر يهطل غزيراً نشم رائحة النار المذكورة ونحن بعيدون عنها مسافة أميال كثيرة حتى اننا نكاد نختنق من رائحتها وقد رأينا بواسطة النظارة المكبرة بيوتاً كثيرة ومنازل جميلة صيفية تخرب بالنار التى تصل اليها وقد استخدم القوم الزيت

الامريكاني المعدني والقطران ليتمكنوا من احراق الاشجار المبلولة بماء المطر . أما أهالي بوندي فرأوا حرشهم وهو في حالة مخيفة جدا فان الأشجار كانت ناشفة ولذلك فعل فيها بسرعة الزيت المعدني والقطران واضطرمت النار اضطراما مخيفاً وتكاثف الدخان في أقل من نصف ساعة واجتمع بعضه الى البعض الآخر حتى أنه صار عموداً أسود وأحمر محيطه أميال كثيرة وهو كانه ينطح السماء في وسط ليل مخيف .

وامتدت النار فوق الحفر التي حفرت بسرعة لدفن الذين قتلوا في المعارك التي حدثت في ظاهر المدينه وكانوا قد دفنوا في كل منها ٣ أو ٤ مئة جثة ولم يضعوا فوقها تراباً كثيراً ولذلك انتشرت رائحة جثث الموتى المحترقة الى مسافة أميال كثيرة فانه احترقت مئات منها ولم يبق منها غير رمادها ولو قررنا ماحدث كما سمعناه من الذين عاينوه لاقشعرت أبدان مطالعيه فانه ممالايحتمل الانسان أن يسمع وصفه بدون انزعاج شديد . ومع ذلك أخذ الفرنساويون يتكلمون عن ذلك ضاحكين بعد أن رأوا مارأوه من قبح منظره ولاعجب فان الفرنساويين طبعاً يقدرون ان يحولوا كل شيء الى مزاح

ومع ان الخبر الوارد عن اقتراب الالمان من العاصمة كان يحمل عموم الاهالى على ان يصمموا كل التصميم على الدفاع عن باريز مهما كلفهم الدفاع عنها كان كثيرون من الاهالى يقولون بلا تردد ان الاوفق بعد ماحدث ماقد حدث عقد الصلح وقد بينت الحوادث التى جرت بعد ذلك انهم كانوا مصيبين لانه ربما كانت فرنسا قررت مع الالمان شروطاً أوفق لها من الشروط التى قررتها لانه لايمكنها أن تقرر شروطاً اردأ من تلك الشروط على ان الاكثرية كانت تطلب الحرب ولم يشتغل الاهالى الافي الكلام عن تصميم الباريزيين على طرد الالمان ليس فقط من باريز ولكن من كل فرنسا وشرع فيكتور هيكو المشهور بكتابة الروايات ونظم الشعر في أن يكتب كتابات مهيجة جدا ليهيج الفرنساويين وعلى الخصوص الباريزيين للدفاع عن وطنهم والذب عن ذمارهم وليحرك غيرة الامة الانكليزية التي

كانت محافظة على الحياد التام حال كون جارتها فرنسا كانت قد باتت في ماباتت فيه واشترك كثيرون غيره من الكتاب في كتابة كتابات مهيجة وما يأتي هو ترجمة خطاب من خطب موسيو فيكتور هيكو المذكور المهيجة وهو منقول عن الترجمة التي قد نشرتها جريدة الجنة فى عدد ٣٠ سنة ١٨٧٠ الميلاد ٠

ان موسيوهيكو يطلب الى الفرنساويين ان يدفعوا مهاجمات أتتهم بها سياسة لابد لهم فيها ٠ وقال انه من واجبات كل الامم ان تدافع عن باريز ليس لقيام صالح باريز فقط ولكن لقيام صالح العالم قاطبة ٠ وقال بعد أن طلب الى جميع الاهلين أن يتقلدوا الاسلحة التي يمكنهم ان يتقلدوها وأن يدافعوا المهاجمين بالنوع الذي يقدرون أن يدافعوا به ٠ فليفعل كل رجل كما فعل كاميل دسمولنز وكل امرأة كما فعلت ثرواجن وكل شاب كما فعل بارا افعلوا فعال بونسيونل الاسد الضاري الذي بمساعدة ١٥ رجلا قتل عشرين بروسيانياً وأمسك منهم ٣٠ أسيراً ٠ فلتقتلع شوارع المدينة جيوش الاعداء ولتفتح النوافذ مصاريعها بغضب وهيجان ٠ ولتدفع أعالي البيوت ما يمكنها من اللبان ولتطرح المخادع أثاثها ٠ ولتأتي غاضبات مسنات النساء ببياض لممها شاهدات على ماقد حدث ٠ فتصرخ القبور صراخ الهيجان ٠ وليكن مؤكداً ان وراء كل سور يوجد سند وهو الامة والله سند الجميع ٠ فلتقذف الارض في كل موضع لهيب النيران وليكن كل نبات كانون متقد ٠ هلموا وأذيقوهم مرارة الاتعاب ٠ وتكاثروا عليهم امسكوا حراس مهماتهم ٠ واقطعوا حبال آثارهم واهدموا الجسور وخربوا الطرقات وافتحوا حفرا في أراضي فرنسا واملاؤها بمغنيات البشر بحيث تصبح حفر ويل وهوان للبروسيانيين ٠ البدار البدار الى اضرام نيران الحرب ليلا ونهاراً نيران حروب الجبال والسهل والاحراش ٠ هلموا هلموا لا هدنة لا راحة لا نوم لنا ٠ فان الظلم قد هاجم الحرية ٠ المانيا قد هاجمت فرنسا ٠

فليذب ذلك الجيش العرمرم كما يذوب الثلج في أراضي فرنسا الحارة ٠ هلموا بدون

أن يتأخر أحد أقسام البلاد عن المبادرة الى القيام بحق واجباته • هيا بها نقيم نزال البلاد المخيف • أما أنتم أيها المقاتلون الطوعيون الغير المنظمين فاسلكوا في ملتقى الغابات واعبروا الانهر واغتنموا فرص الظلمات والغسق • وامشوا قاطعين الاراضي دابين وزاحفين وحكموا توجيه بنادقكم وأطلقوها واخمدوا نيران الهجوم • دافعوا عن فرنسا بشجاعة و بأس وحنو • يامحبي الوطن كونوا برد الويل لاتقفوا الا عند ما تمرون بالقرب من كوخ وقفوا لتقبلوا وجنة طفل نائم • هذا الطفل هو المستقبل • والمستقبل هو الجمهورية • فمالنا ولأوربا فلتنظر الينا ان كان لها أعين تنظر بها • اذا أرادت أن تأتي الينا فلتأت اننا لا نطلب مساعدة • اذا كانت أوربا خائفة فلتبق اننا سنفعل ما ينفع أوربا وهذا كاف ان كانت تحب أوربا أن لا تخرج من بلادها فلتبق فيها • أما عزم فرنسا اذا اغصبتها المانيا أن تعزم على شيء وهو ان فرنسا تكفى فرنسا و باريز تكفي باريز • ان باريز قد أعطت منذ الابتداء أكثر مما أخذت فان دعت الامم الى مساعدتها فهو لخيرهم وليس لخيرها فيفعلوا مهما أرادوا ان باريز لا تتوسل الى أحد ان التاريخ يتعجب اذا توسلت باريز مع عظمتها • لا يعني أحد سواك • يا أوربا ان كنت عظيمة أو حقيرة • أيها الالمانيون أحرقوا باريز كما أحرقتم ستراسبرج • فان ذلك يوقد نيران الغيظ أكثر مما يشب نيران البيوت المحترقة انتهى •

فهذا هو الخطاب الذي هيج به موسيو فيكتور هيكو الامة الفرنساوية الى القتال وكل من طالعه يرى انه خطاب خال من الترتيب الذي لا تخلو منه الافكار المنظمة والظاهر انه لم يخطر ببال موسيو هيكو ولا بال الذين كانوا يحذون حذوه في تهييج أبناء الامة الذين يقدرون أن يقوموا بحق ما كانوا ينتدبونهم الى القيام بحقه كانوا قد باتوا في حالة لا تسمح لهم أن يقاتلوا البروسيانيين القتال المطلوب بدون أن يهلكوا جوعاً حال كون موسيو هيكو وغيره من الكتاب كانوا قادرين أن يعيشوا في مكان آخر • هذا وما من أحد يقدر أن يذم مايظهر في تلك الكتابات من محبة الوطن والغيرة الجنسية غير

أن الظاهر أنها غير صادرة عن حاسيات مرتبة لانها متجاوزة حدود الاعتدال . أما الباريزيون فشرعوا في القيام بأعمالهم الدفاعية بهمة ونشاط حتى ان أوروبا كانت تنظر اليهم مندهشة وكانت تثني على همتهم ومحبتهم لوطنهم هذا ولا يخفى ان باريز هي من أحصن مدن العالم ولا يلزم أن نطيل الكلام في وصف حصونها غير اننا نقول ان حصنها الاساسي هو ذو خمس زوايا وله ٩٣ حائطاً من تراب وغيره لتحميها والمسافة الواقعة بين الحواجز من الشمال الى الجنوب هي ١٢ ألفاً و ١٥٠ ذراعاً ونحو خمسة أميال والمسافة الواقعة بين الشرق والغرب هي أكثر من هذه المسافة وان في وسط هذا المكان الواقع بين الحواجز طريق حديدية ممتدة حول المدينة لنقل المدافع والاسلحة والمهمات الى محل الاقتضاء في المكان المذكور . أما عدد المدافع التي في قلاع باريز المنفصلة عن الحصن الاساسي فهو ٩٨٢ مدفعاً منها في قلعة نوجي ٥٥ مدفعاً وفي فنسن ١١٧ وفي روزني ٥٦ وفي شارنتون ٧٠ وفي رومانفل ٤٩ وفي نوازي لوسك ٥٧ وفي أوبور فليار ٦٦ وفي أفري ٧٠ وفي بيستر ٦٠ وفي سان داس ٧٥ وفي لار و بل كرون ٥٦ وفي لابر بش ٦١ وفي موز فالريان ٧٠ وفي آسى ٦٤ وفي فانفر ٤٥ وفي مون روج ٤٢ هذا ولما تحقق الباريزيون ان الالمان مصممون على حصرهم زادوا عدد هذه المدافع زيادة كثيرة ولاريب ان الذين كانوا مشتغلين في التاهب للدفاع عن المدينة كانوا يتكدرون ويضعف نشاطهم عندما كانوا يرون ان المدن والقلاع والحصون الشرقية كانت قد سلمت للاعداء بعد دفاع قصير المدة فان باريز كانت تفتح أبوابها حيناً بعد حين لدخول بقايا الجيوش الذين كانت البلاد مستندة الى قوتهم وأخذت في استخدامهم لتعليم الجيوش الجديدة وللمساعدة في القيام بالاعمال الحربية غير ان اختلاط البقايا المذكورة بالجيوش لم يشجعها ولا نفعها ولكنه أضر بها لانها كانت تقص عليهم أخبار الويلات التي صادفوها والمشقات التي احتملوها الى غير ذلك مما يخاف منه الجندي . ومع ذلك لم يظهر ان أهالي باريز كانوا يخافون مهاجمات الالمان لمدينتهم ولما كانت

باريز مشتغلة بالتحصين والتأهب أرسلت الحكومة الموقتة الفرنساوية موسيو تييرس الى دول أوربا العظيمة ليجعلها تميل الى فرنسا ميلا ينفعها فاتي لندرة قبل ان أتي غيرها وفي ١٣ ايلول (سبتمبر) اجتمع باللورد كرانفيل فقال له موسيو تييرس انه لم يأت ليطلب الى الدول العظيمة المحافظة على الحياد ان تتداخل مداخلة مستندة الى القوة ولكن ليطلب اليها ان تفرغ قوتها الادبية في سبيل عقد الصلح وقال ان انكلترا عاملة على المحافظة على سياسة التنحي وان هذه السياسة لا توافقها لانها تجعلها تخسر المركز الذي هو لها وهو مركز دولة أولية وانه ولئن كانت انكلترا جزيرة ودولتها دولة بحرية لاتقدر ان تقول انها ليست من دول اوربا وانها بينت في الزمان الماضي اجتهادها في المحافظة على ميزانية اوربا وأظهرت اقتدارها العظيم على اقامة تبعتها في ممالكها الخارجة وعلى استخدام قوة كثيرة بحرية وانها لا ترغب ان ترى فرنسا ذليلة وضعيفة بعد ان كانت حليفتها أربعين سنة وحاربت معها في القرم وتمنعت عن ان تنتفع من الثورة في الهند . وانه لا يوافق انكلترا ان يصير عقد صلح يأتي فرنسا بالذل والهوان والضعف فتبيت لاتقدر ان تسعفها . وقال في ختام كلامه انه اذا بادرت انكلترا الى أن تتداخل مداخلة أدبية تبادر بقية الدول المحافظة على الحياد الى أن تحذو حذوها وان بروسيا لاتقدران أن تمتنع عن الاصغاء لمداخلات أدبية عمومية كهذه المداخلات المبنية على مراعاة حقوق الانسانية والمحافظة على ميزانية القوة في اوربا .

فاجاب اللورد كرانفيل مسيوتييرس قائلا ان انكلترا قد افرغت جهدها للمحافظة على السلام وانها تجاوزت حدود حقوقها بالالحاح على اسبانيا بان تقلع عن انتخاب ملكها غير ان الحكومة الفرنساوية لم ترتض بذلك ولكنها قطعت النظر عن مداخلات انكلترا وأشهرت الحرب ولذلك قررت انكلترا في المجلس العالي انها مصممة على الحياد التام وعلى المحافظة على صداقة فرنسا والمانيا وانها كانت قد اخبرت المتحاربين منذ ابتداء الحرب انها مصممة علي عدم المداخلة الى أن تتحقق بان

مداخلتها ستكون مقبولة عند الفريقين وانه في ذلك الوقت لم تر ما يحملها على الاعتقاد بان وقت المداخلة لعقد الصلح قد دنا .

وفي ١٨ ايلول (سبتمبر) خرج مسيو تييرس من لندره وسار قاصدا فرنسا بدون أن ينجح في ماموريته على انه قال انه سر بالاستقبال الحسن الذي صادفه عند مستر غلادستون وزير انكلترا الاول وعند اللورد كرانفيل وزير خارجيتها . ثم سار قاصدا فينا عاصمة امبراطورية النمسا ومنها سار قاصداً بطرسبرج عاصمة امبراطورية روسيا وصادف في العاصمتين المذكورتين ماصادفه في انكلترا فان جواب حكومة النمسا وحكومة روسيا كان كجواب حكومة انكلترا . وهكذا لم تنجح الحكومة الفرنساوية الموقتة بحمل الدول العظيمة المتحايدة بواسطة المسيو تييرس على المداخلة لمنع دوام الحرب التي كانت تقول ان الامبراطورية هي التي أقامت الحرب وانه لما كانت الامبراطورية قد سقطت كان من الواجب عقد الصلح . ولا ريب ان انكلترا والنمسا وروسيا كانت تسر جداً لو تمكنت من عقد الصلح وخلصت باريز من الويلات المضرة التي حلت فيها علي ان حكومات الدول المذكورة كانت محققة ان الظروف التي كانت جارية كانت تبين انه لا سبيل الى عقد الصلح في ذلك الوقت لان الامتين المتحاربتين كانتا لا تقبلان بالشروط التي تعرضها الامة الاخري .

و بعد تسليم سيدان نشر البرنس بسمارك اعلانا عن عزم بروسيا على أخذ ميتس وستراسبرج ومايأتي هو ترجمة ماقاله في ذلك الاعلان :

انه قد اجتمعت الامة الالمانية على انه من الواجب أن تكون المانيا محمية بحدود أقوى من حدودها الحالية لتمنع تكرار حدوث التعديات والمهاجمات التي جملتها عرضة لها حكومات فرنسا المتتابعة منذ قرون كثيرة . وما دامت ستراسبرج وميتس في يد فرنسا تكون قادرة على مهاجمة المانيا الجنوبية وشاطئ الرين الشمالي اكثر مما نكون نحن قادرين على المحاماة عنهما . فان أصبحت ميتس وستراسبرج في يد المانيا تصيران

قلعتين لمجرد الدفاع ·

وقد اشتبكت بيننا و بين فرنسا عشرون حرباً ومع ذلك لم نشهر الحرب عليها مرة واحدة والآن لا نطلب الى فرنسا غير أمر واحد وهو أن تسمح لنا أن نتمتع بأملا كنا بالامنية والراحة التي طالما سلبتها منا وهكذا اذا أقمنا صعوبات تؤخر فرنسا عن التعدي على غيرها حال كونها مصدر جميع المشا كل الاوربية نخدم أوربا كلها لانها محتاجة الى دوام السلام · الى أن قال انه مامن خوف من أن تكون ألمانيا واسطة لتكدير دولة أوربية·

هذا واذا قطعنا النظر عن ثلاثة أمور نقول ان البرنس بسمارك قد قرر الحقائق في اعلانه المذكور وهي أولا قوله فان أصبحت ميتس وستراسبرج في يد المانيا تصيران قلعتين لمجرد الدفاع · فانه لايخفى ان هذا مردود· ثانيا قوله انها (أي فرنسا) مصدر جميع المشا كل الاوربية وهذا لا يوافق الحقائق التاريخية لان فرنسا ليست مصدر جميع المشا كل الاوربية· ثالثاً قوله أنه مامن خوف من ان تكون المانيا واسطة لتكدير دولة أوربية وهذا ممالايقدر أن يسلم به أحد بعد الوقوف على تعديات بروسيا على الدول الثانوية ·

وقد لام العالم كل اللوم الامة الفرنساية لانها لم تقطع حربا باتت بلا نفع لها بعد موقعتي ورث وديسنبرج و بعد تسليم سيدان · على ان المظنون ان ذلك اللوم لم يكن لوماً عادلا هذا اذا نظرنا الى الظروف التي أمست فيها نظر مراعاة لان فرنسا المغلوبة لم تقدر ان ترى وهي غائصة فى بحار الهيجان والاضطراب والغيظ ما رآه الذين كانوا ينظرون اليها بدون أن تؤثر فيهم نائباتها أي انها لم تعرف انها بعد سيدان باتت مغلوبة غلبة تامة ولو فرضنا انها عرفت انها باتت مغلوبة لاستصعبت قبول شروط عدوها والتسليم بسهولة مع انها من الامم العظيمة التي في تواريخها ما يدل على نجاح متصل مجيد مكنها من الوصول الى قمم المجد والسطوة · ومن ياترى ينتظر ان يرى ذلك من

أمة تحب المجد كما تحبه فرنسا ومن لاحظ أعمال الالمان وأقوالهم يرى ان فيهاما يجعل عقد الصلح وتقرير الحال مستصعبين ومن الناس من يقول انه لو قبلت فرنسا بالشروط التي كانت المانيا تبين انها مصممة على ان تطلبها منها بعد تسليم سيدان لتكدر الملك غليوم ووزيره وقواد جيشه لأنهم كانوا يعرفون ان فرنسا يجب اضعافها كما كانوا يعرفون ان تلك الغلبة لا تكفي لتبليغهم غاياتهم من اذلال فرنسا واضعافها فانهم كانوا يعرفون أن فرنسا ذات قوة عظيمة وانها ذات ثروة وجيش جرار وانها ولئن كانت قد التزمت ان تخضع وتسلم ميتس وستراسبرج والالزاس واللورين لاعدائها تقدر بعد مدة قصيرة ان تنهض لاخذ الثار فتلتزم المانيا أن تحمل الاثقال التي كانت قد حملتها وان تعرض نفسها لخطر الكسر مرة ثانية وذلك بعد أن تكون فرنسا قد تعلمت بواسطة الوقوف على الاسباب التي أتتها بالفشل كيف تصلح سقطاتها وهذا ينفعها اكثر من المحافظة على قلعتين وولايتين • ولا ريب ان الملك غليوم ووزيره وقواد جيشه كانوا قد أصابوا بهذه الافكار فان من واجباتهم بعد ان التزمت بلادهم ان تغوص في حرب مهلكة كهذه الحرب أن يقهروا عدوهم بحيث يصير غير قادر على تكدير السلام للقيام بالثار بعد عقد الصلح بزمان قصير • وكان الملك غليوم يعرف ان هذا لا يتم الا بفتح عاصمة فرنسا الحصينة فان الفرنساويين لا يقرون بأنهم قد انكسروا مالم يصر فتح عاصمتهم • ولما اجتمع المسيو جول فافر وزير خارجية فرنسا بالبرنس بسمارك وأخذ يطلب اليه أن يترك لفرنسا الالزاس واللورين قال له انه اذا سمحت المانيا عن الالزاس والورين مراعاة لحاسيات الامة الفرنساوية يكون سماحها واسطة للمحافظة على السلام فانها تقابل بالشكر سماحه ويحملها كرم أخلاقها على مجانبة فتح حرب جديدة • أما البرنس بسمارك فهو من أهل التأني وسعة الصدر والمعرفة ولذلك لم يصدق ماقاله المسيو جول فافر وأجابه بما يأتي:

اذا انقاد مجلس النواب عندكم الى ارادة الامة نلتزم أن نشهر الحرب فتنسون نتيجة هذه الحرب كما نسيتم نتيجة معركة واترلو وسادوا فانهما لم يؤثرا فيكم ومن المعلوم انكم

كنتم مصممين علي أخذ بلاد المانية اذا فزتم و بما ان ستراسبرج هي مفتاح البيت لا بد من أن تبقى بيد الالمان . وقال البرنس بسمارك لمسيو جول فافر هذا القول مرات كثيرة في اثناء اجتماعهما وما يأتي هو ختام كلام البرنس بسمارك في ذلك الاجتماع: انني لا أرى في الكلام فائدة فاننا لا نقدر ان نتفق ولذلك لا بد من فصل هذه المسئلة في زمان مستقبل (أي عند وصول جيش الالمان الى ظاهر باريز) والظاهر أن جول فافر اتفق مع البرنس بسمارك علي أن تسوية الامر لا تتم الا في زمان مستقبل • ومما يبين ان البرنس بسمارك كان معتقداً بأن فرنسا كانت قد انغلبت غلبة تامة و بانها لا تقدر أن تعوض ما خسرته في تلك الحرب ما كان يقوله للمأمورين الفرنساويين الذين كان يجتمع بهم وعند ما اجتمع بهم في (قصر) فريار للتكلم عن عقد هدنة قال لهم ان الهدنة تضر جدا بالجيش اذا عقدت وهو في وسط فوز عظيم وانه اذا كان لا بد من عقد الهدنة لا بد من أن تطلب المانيا الحصول على وسائط سهلة لوصول الزاد اليها من بلادها اذ انها تصير ملتزمة أن تطيل مدة اقامتها في فرنسا والمقصود ان تستلم ليس فقط ستراسبرج وميتس ولكن تول وكل الاماكن المهمة التي كانت تصعب اقامة اتصاليات بين جيش المانيا في فرنسا و بين بلاده

وقال لهم انه لا يسلم بعقد الهدنة و باقامة المواصلات بين باريز و بقية البلاد مالم يعرف انه لا يدخلها زاد يمكن أهاليها من أن يطيلوا مدة احتمالهم الحصر وقال البرنس بسمارك ماقال قبل وصول جيش المانيا الى ظاهر باريز وهذا يدل علي انه كان معتقداً أن فرنسا باتت في يده • وكان مسيو جول فافر يقول ان الذي كان يحمله علي طلب الهدنة بالنيابة عن حكومة فرنسا الموقتة هو وجوب اقامة المخابرات لانتخاب مجلس نواب و بعد أن خابر مسيو جول فافر البرنس بسمارك بهذا الشأن مرات كثيرة رجع الى باريز بدون أن يحصل علي الشروط الآتية وهي :

أن يصير عقد هدنة ومدتها أسبوعان أو ثلاثة أسابيع وذلك لتتمكن فرنسا من انتخاب مجلس نواب وما يأتي هو من شروط هذه الهدنة • وهو أولا ان تبقى الاحوال

الحربيه في باريز وفي ظاهرها علي ما كانت عليه • ثانيا ان تبقى الحرب جارية في ميتس وفي ظاهرها ضمن دائرة تقرير تفاصيلها • ان تسلم ستراسبرج وجيشها وان تخلي الجيوش الفرنساوية تول و بتش وترجع عنها بدون ان تسلم •

فهذه هي الشروط التي تمكن مسيو جول فافر ان يحصل عليها من البرنس بسمارك بعد فتح الحرب بشهرين فسار بها مسيو جول فافر ليخابر بشأنها الحكومة الفرنساوية الموقتة • أما الفرنساويون فكانوا يقطعون النظر عما كانت تقوله أوربا عن حالتهم وكانوا يعتقدون أنه ولئن كانت حالتهم بئس الحال كان لا يزال عندهم من القوة والوسائط ما يحملهم على ان يؤملوا بالفوز ومع ذلك كانت هذه الشروط كالشروط التي يقررها المنتصر بحسب ارادته اذ انه معتقد بان عدوه بات في يده • فان من شأن كل الشروط المذكورة اضعاف فرنسا وتقوية المانيا فانه صار تقرير الشروط التفصيلية عن تسليم تول و بتش وتحديد دائرة الحرب في ميتس تقريراً موافقاً جدا لالمانيا وهذا يبين ان البرنس بسمارك لم يفعل شيئا من شأنه تقريب الصلح • أما الفرنساويون فلم يقبلوا هذه الشروط ولكنهم التزموا ان يقبلوا شروطا مثلها بعد ذلك بأشهر قليلة غير ان الاحوال كانت قد أمست تحت سطوة العدو أي انه كان قادراً أن يجول فيها لينفذ ارادته وعند طلب الشروط المذكورة كانت باريز لا تزال قوية وكانت محور أمل فرنسا ولم يكن الفرنساويون يعرفون هل يقدر بازين أن يخرج بجيشه من ميتس أولا وكذلك كانوا يجهلون اقتدار القلاع المحصورة على الثبات في النزال ولذلك لا تعجب من تمنع الحكومة الفرنساوية الموقتة عن قبول شروط تمكن العدو من فتح البلاد بسهولة لا مزيد عليها

و بينما كان الالمان يتقدمون قاصدين باريز حدث ماشدد بغض المتحاربين وكره بعضهم للبعض الآخر وهو احتراق الحصن في لاون بعد ان كانت المدينة قد سلمت للالمان فانه بعد استلامها دخلتها فرقة المشاة الخامسة الالمانية و بعد ان خرج منها كل الجنود الفرنساوية التي كانت فيها اندفعت الى فوق بعنف بواسطة احتراق البارود

واضرت جداً بابنية المدينة . وقتل كثيرون بهذه الحادثة وأكثرهم من الفرنساويين وقد قرر الدوق دوما كلنبورج شورين انه قتل من الالمان ضابط وجرح ٨ ضباط وقتل ٣٤ ضابطاً نوياً وجندياً وجرح ٦٣ منهم و٧ فراس . وقتل وجرح جروحات بليغة أربعمائة من الجنود الفرنساوية وهلك من الاهالي بين السبعمائة والثمانمائة . ومع ذلك كان يقول الالمان بتأكيد ان ذلك انما كان خيانة فرنساوية وصمموا على الانتقام وقاموا بتصميمهم قياماً وحشياً . هذا والمظنون انه لاريب في ان فرنساوياً أشعل البارود على انه اضر ببلاده أكثر مما أضر بالالمان والمظنون ان الكدر والغضب حملاه على ان يفعل مافعل وقتل به قبل الجميع . اما الالمان فقالوا ان ذلك العمل يبين فساد الفرنساويين وتوحشهم فانهم لايترددون عن ان ينكثوا بعهودهم ليفعلوا افعالا دنيئة يقودهم الى فعلها حب الانتقام وسفك الدماء اما انتقام الالمان من الفرنساويين بسبب هذه الحادثة المكدرة فكان في غير محله وعلى الخصوص بعد ان كانوا قد سفكوا دم أعدائهم في بازيل في ظروف تضاد الانسانية وأصول الحرب وجميع هذه الاعمال الوحشية تبين شرور الحرب التي تجعل الذين يفتخرون بتمدنهم يفعلون افعالاً وحشية . وقد نشرت جريدة الكوريه دولاسن جملة عن تلك الحادثة وما ياتي هو ترجمتها : انه بعد ان سلم الجنود الفرنساويون الذين كانوا يحرسون الحصون المذكورة وشرعوا في القيام باعمال تقتضيها الظروف سمع صوت مخيف شديد وارتجت الارض ارتجاجاً ترتعد منه الفرائص وصار الالمان والفرنساويون من الجنود والاهالي يندفعون من جهة الى جهة ويسقطون على الارض بعضهم فوق البعض الآخر ثم أخذت المواد التى اندفعت بقوة البارود الى الجو تسقط عليهم وتقتل بعضهم وتجرح البعض الآخر حتى انه امسى كثيرون منهم مدفونين تحتها . وسبب ذلك احتراق مخزن البارود في الحصن المذكور وكان فيه ٥٢ قنطاراً من البارود وارتجت الارض ارتجاجاً شديداً حتى ان القوم رأوا ان التل مال من جهة الى جهة اربع مرات وتكسرت أكثر النوافذ

الزجاجية في المدينة واندفع الى الجو حجارة واخشاب ولبان محروقة واقسام كثيرة من الابنية المجاورة واجساد بشرية مقطعة ثم سقطت في مكان يبعد من ثمانمائة الى ألف متر وكانت جثث الذين قتلوا وأعضاء أجسادهم المقطعة مطروحة في الشوارع وملأ التراب والحجارة المندفعة البساتين واستأصلت أشجار كثيرة واندفعت الى أماكن بعيدة أوقطعت كأنها مقطوعة بالفؤس . وبعد ذلك أتي الوالي مع ضابط من ضباط دوق ماكلنبورج الى الحصن المهدوم وأخذا في الاعتناء بالمجاريح وكان منظر ذلك الحصن مخيفاً فان أعضاء اجساد القتلى والجرحي كانت تملأ ذلك المكان وكانت الطريق بينه وبين اوتيل ديو مضرجة بدماء الجرحي الكثيرين الذين لم يتمكنوا من نقلهم جميعا الى ذلك المكان باقل من يومين انتهى .

ومع ان هذه الحادثة هي من الحوادث المخيفة التي لا يقدر الانسان ان يفتخر بها كان كثيرون من أهالي باريز يظهرون فرحهم بما جري لانهم كانوا يعتقدون ان ذلك دليل على شدة محبة الفرنساويين لوطنهم وهذا يبين كيف ان القوم يبيتون فاقدين كل حاسيات الانسانية عند مايقطعون الامل من النجاح بالحروب التي تأتيهم بالكسر والويل .

اما حصار ستراسبرج فكان لايزال مشتداً فان جنودها كانوا لايزالون مصممين على الدفاع ولئن كانت قد سلمت سيدان وامبراطورهم وفي ٤ و ٥ ايلول (سبتمبر) أخذ الالمان يطلقون الكرات المحشوة والقطع الحديدية على المدينة المذكورة وكانوا يطلقون عليها من ١٥ الى ٢٠ طلقاً في الدقيقة بدون انقطاع وبعد ذلك ضعفت المدافع الفرنساوية حتى انها لم تقدران تدافع دفاعاً فعالاً وكانت كراتها لاتضر بالعدو ضرراً يستحق الذكر ومع ذلك تمكن مائة من الاهالي من ان يخرجوا من المدينة ويلتجئوا الى بيوت الفلاحين خارجها وكان أكثرهم يكادون يهلكون من الجوع والتعب والخوف فاشاعوا بان المدينة امست في حالة لاتمكنها من الدفاع وان كثيرين

من الاهالى المحاربين كانوا قدهلكوا بكرات المحاصرين وان كثيراً من منازل أكثر الشوارع كانت قد باتت خربة والاهالى تخبئوا في السراديب ومع ذلك كان المحصورون الذين لايفني ذكر شجاعتهم وثباتهم يكدرون المحاصرين على الدوام بالخروج من المدينة ومهاجمتهم خارجا . على انهم كانوا ضعفاء بالنسبة الى أعدائهم وكانت وسائطهم قليلة جدا وضعيفة بالنسبة الى وسائط المحاصرين ولذلك لم يقدروا ان يضروهم ضررا ينفعهم ولذلك تيقن الجميع بان بعد مدة قصيرة لابد من تسليم ستراسبرج ومع أن أهالي ستراسبرج اشتهروا في هذا الحصار لانقدران تقول انهم جميعاً يستحقون المدح لان كثيرين منهم كانوا يحبون أن يسلموا للاعداء قبل ان أقيم الحصار رسمياً ولم ينحصر ذلك في الاهالي لان بعض الجنود رغبوا في التسليم عند ابتداء الحصار . فبلغ ذلك الحاكم فتكدر وحاول تنشيط الاهالى والجنود باشاعات لاأصل لها ونجح في ذلك نجاحاتاماً . فانه ادعي انه وردت اليه رسالة برقية مآلها ان الفرنساويين انتصروا انتصارا عظيما على البروسيانيين وان المنتظر وصول ثلاثين ألف اسير من البروسيانيين الى ستراسبرج فنشر الحاكم هذا الاعلان والصقه على حيطان الشوارع بعد ان كتب في ذيله انه لما كان كثيرون من الاهالى من أصل المانى كان لابد من ان يعاملوا أولئك الاسري باللطف والمحاسنة . وكان الاهالى قد انتخبوا معتمدين وأرسلوهم الى الحاكم ليطلبوا اليه بالنيابة عنهم ان يخابر العدو بشأن التسليم بدون تأخير غير انه لما رأي المعتمدون المذكورون ذلك الاعلان اقلعوا عن قصدهم ورجعوا الى منازلهم ليقيموا الاستعدادات اللازمة ليقابلوا الاسرى مقابلة قوم متمدنين عندهم من اللطف ورقة الجانب مالامزيد عليه . هذاولايخفى ان الاسري المذكورين لم يدخلوا ستراسبرج مطلقاً على ان الحاكم نفذغايته فان الاهالى والجنود تشجعوا وثبتوا في الدفاع حتي قطعوا الامل من نفع الثبات وقد حمل تصرفهم اهالى فرنسا على ان يثنوا عليهم ويمدحوهم فانهم بعد الابتداء في دفاع المحاصرين لم يخطر التسليم لهم ببال حتي بات أكثر مدينتهم

خرابًا وفي ٤ و ٥ ايلول (سبتمبر) أطلق الالمان مدافع كثيرة على المدينة المذكورة واحرقوا بيوتًا كثيرة من بيوت الاهالي المبنية في انحاء مختلفة منها . وفي صباح اليوم السادس من الشهر المذكور هدموا بكرات مدافعهم باب المدينة وهو الباب الواقع بينها و بين القلعة في جهة كهل وانتشبت نار شديدة من وراء الحواجز وفي قاعة التمثيل وهلك في تلك القاعة أكثر من مائتي نسمة أكثرهم من النساء اللواتي دخلن القاعة المذكورة للالتجاء فيها وفي ذلك الوقت انتشبت النار في منازل كثيرة مبنية في انحاء مختلفة من المدينة وهلك فيها كثيرون من الرجال والنساء والاولاد والاطفال قبل ان تمكن القوم من المبادرة الى اسعافهم . والذين لم يتركوا ليدافعوا عن المدينة من الرجال كانوا مشتغلين على الدوام في الاعتناء بتخليص عيالهم من ويلات النار والكرات المندفعة عليهم . اما الذين كانوا من أهالي المروءة الغير المشتغلين بامور عيالهم فكانوا في حيرة دائمة لان القوم كانوا يعرفون انهم يقومون بمساعدة المصابين وعلى الخصوص النساء اللواتي لا يقدن ان يخلصن انفسهن من الويلات التي يقعن فيها وكانوا يطلبون اليهم أن يذهبوا الى محلات كثيرة في وقت واحد لان الكرات كانت تشب النار فى انحاء مختلفة في وقت واحد وهلك كثيرون من هؤلاء الرجال لانهم كانوا يقتحمون المخاطر بدون مبالاة ليخلصوا غيرهم . وكان الصراخ يرتفع من كل جهات المدينة وكثر البكاء والنوح . وفي أوائل شهر ايلول (سبتمبر) ابتداء الحر وكانت النار والدخان تزيد انه وكان الاهالي يكادون يختنقون من الاحتياج الى الهواء الموافق وعلى الخصوص الذين كانوا يسيرون في الشوارع للقيام بخدمة ضرورية أو لاسعاف المصابين المنكودي الحظ فان الحر والاحتياج الى الهواء الموافق والتعب والكدر كانت تزيد ويلهم وضيقاتهم ومشقاتهم وكانوا على الدوام في خطر من وقوع حيطان الابنية المحترقة أوغير ذلك مما يسقط في أحوال كهذا الاحوال وقد كتب المؤلف المشهور برتولد اورباش رسالات كثيرة عما رآه من اعمال الحصار في ستراسبرج وقد صار نشر هذه الرسالات

وما يأتي هو ترجمة ملخص بعضها : ان ستراسبرج آخذة في الاحتراق وهذا الكلام يدل على كل ويلات الليلة الماضية وضيقاتها ومخاوفها ومشقاتها فان عيني لاتزالان تتألمان من أنوار النيران التي رأتاها ويداي لاتزالان ترتجفان. وهذه الليلة هي كليلة سان بارتلمي (ليلة قتل فيها الكاثوليك كثيرين من البروتستانت في فرنسا) فانها ستقرر فى التاريخ تقريراً يدل علي ويلاتها وشرها علي ان الملام لايقع علينا . فانه من الواجب أن نلوم الذين يرغبون في أن يكللوا رؤوسهم بالمجد فان الملامة تقع عليهم . فان أشد الاضرار التي يقدر العدو أن يلحقها بالانسان أو بالامة انما تكون بواسطة حملهم على فعل مايكرهون ان يفعلوه ويتجنبوه فاننا كرجل يتمنع عن القيام بالمبارزة ومع ذلك يلتزم ان يقتل خصمه وبناء علي ذلك نقول انه لسوء الحظ لامفر من ذلك . فاننا أرسلنا امس وخابرنا قائد ستراسبرج وطلبنا اليه أن يخرج الينا اوان يرسل ضابطاً من الذين يركن اليهم ليرى مواقفنا ويقنع نفسه بانه لاينتفع من الدفاع فاجاب ان القوم يقولون اذا رأوني أفحص مواقفكم ان ذلك انما هو صعود الدرجة الاولى من السلم الذى يصل بنا الى التسليم مع انني مصمم علي ان ادافع الى أن يهلك جميع رجالي وتفرغ كل مهماتهم . وبعد وصول هذا الجواب سكتت الحال عندنا الى المساء وعند ذلك شرعنا في اطلاق المدافع فكانت القلعة الفرنساوية تطلق علينا مدافعها قدر ما كنا نطلق عليها مدافعنا . وبعد برهة انتشبت النار في القلعة وعند ما أخذ الظلام يخيم صرنا نرى النيران المنتشبة ونري الكرات ترتفع الى الجو ثم تسقط فى ستراسبرج . وبعد ذلك بمدة قصيرة انشبت النار في الكنيسة والظاهر ان الكرة المحشوة سقطت في مواد سريعة الاشتعال فانه عند ماسقطت انتشب اللهيب . ومن ياترى يقدر ان يقوم بوصف ماراه فاننا نرى النار منتشبة في اماكن واتصلت بين مكانين منها ومنظرها كجبل يحترق وهو يدمدم . اما الهواء فيهب من الجهة الغربية ويشدد انتشاب النار ومن ياترى يقدران ينظر اليها بدون أن يؤثر فيه منظرها تأثيراً محزناً ومخيفاً فان لسان حالها

يبين انها تهدد الذين سببوا انتشابها وتوبخهم لانهم رجال يرمي بعضهم البعض وكان القوم يقولون نطلب الى الله ان يحمي تلك الكنيسة الجميلة من النار وكنا نتصور حاسيات اهالي تلك المدينة المنكودي الحظ الذين أمسوا في السراديب تحت الارض وهم يسمعون صوت الكرات المدفوعة والمدافع المطلقة والنيران المشبوبة التي لم يكونوا يعرفون أماكن شبوبها حال كونها ربما كانت تحرق بيوتهم وأمتعتهم وأقاربهم . أما نيران الشوارع فكانت تشب بدون أن يتمكن أحد من اخمادها لانه من ياترى يقدر أن يشتغل باخمادها والكرة المحشوة كانت لا تزال تسقط فيها باتصال وتزيد قوتها وأضرارها وكم من انسان كان يبكي لفقدان ولد عزيز اوأخ أو أخت ويأخذ يجول في تلك المدينة التي باتت كانون من النار في طلب المفقود ويمر بالقرب من منزله الذي بات لا يعرفه لان شرور الحرب قد غيرت هيئته ومنظره ومن ياترى يقدر أن يصف ويل الاهالي وخوفهم ولو كان لقلوبهم من القوة ما للمدافع لسمعنا لخفقانها صوتا أعلى من صوت اطلاق المدافع التي كانت ترسل النور المهلك في ذلك الليل المكدر وعند نصف الليل كان كل منا يرى الآخر بواسطة النار المضطرمة في المدينة التي كانت بعيدة عنا كما يراه في ليلة البدر وكنا نرى الكروم والحقول وكنيسة ماندلزهم ومحاجر قبورها البيضاء . وبعد ذلك ببرهة قصيرة اشتد النور دفعة واحدة وعرض اللهيب واشتد هيجانه . وكان يصعب على الناظر أن يميل نظره عن ذلك المنظر المخيف . وكان أهالي القرى الذين كانوا معنا يدعون بأنهم يعرفون الاحياء التي كانت النار مشبوبة فيها وكنا نحب أن نصدق ماقالوه وهو ان الكنيسة القليلة النظير ستنجو من النار على اننا رأينا ان النار كانت تشب في سطحها وبعد امعان النظر تبين انها لا تزال سالمة وان مارأيناه كان في مكان آخر . فأخذنا نسير قاصدين منازلنا بنور النار التي كانت تحرق ستراسبرج وكان الجو مغطي بما يحاكي الغيوم المصبوغة بلون أحمر قان والمظنون ان أهالي البلاد الواقعة وراء الرين حتي أهالي الحرش المسمى بالحرش الاسود (ترجمة الاسم) كانوا يرون تلك النار الا كلها انتهى

وقد قال الجنرال يولرك قائدجيوش ستراسبرج الفرنساوية أنه حضر معارك كثيرة وانه كان في القوم وشاهد النيران التي كانت تدفعها أسلحة جيوش دول أوربا المتحدة في محاربة روسيا على سباستبول وان القائد الروسي كان يسميها نار جهنم ومع ذلك لم تكن قدر النار التي دفعها الالمان الى ستراسبرج . هذا ولا ريب ان الجنرال الموما اليه كان يعلم قبل شبوب النار في المدينة انه لا أمل له برفع الحصر عن المدينة وقد قال الالمان انه يدافع نعم الدفاع ولكن بئس النتيجة . ومع ذلك لا نقدر أن نضرب صفحاً عن مدح جسارته ونشاطه وحبه لوطنه الذي حمله على الثبات الى أن رأى الجميع انه ليس من الممكن اطالة زمان الدفاع وان اطالته انما تكون واسطة لاهلاك كثيرين من المنكودي الحظ وربما كان ما قاله الالمان ان من الصواب تسليم الضعيف للقوي يوافق المنتصر صاحب السلطان والاقتدار غير انه لا يوافق الامم ولا الاقوام ولا الافراد لأنه اذا شرع الضعيف في العالم ان يسلم نفسه الى الذي هو أقدر منه قوة مادية أو أدبية بدون دفاع يبيت العالم في وقت قصير في يد الاقوياء الذين يصيرون يحصلون على مرغوباتهم بدون تعب و بدون أن يصادفوا ممانعة ولو كانت مرغوباتهم صادرة عن شر وطمع .

وفي أواخر ايلول (سبتمبر) تعطلت اكثر المدافع الفرنساويه وفتحت كرات الالمان نوافذ في حيطان القلعة . وفي ٢٠ الشهر المذكور بعد الظهر استلم المحاصرون الحصن الاول من القلعة وكان الالمان قد وضعوا باروداً تحت الارض واشعلوه وملأوا اكثر مجاري المياه بالتراب و بعد ذلك أخذوا يطرحون فيه اكياساً من الرمل والتراب وغير ذلك وفي مدة قصيرة أقاموا جسراً ليقطعوا عليه و يدخلون ذلك المكان ثم أنزلوا قاربا وركبه جنود وساروا فقتل اثنان منهم حالا أما الباقون فتقدموا الى أن قطعوا الخندق و وقفوا سالمين في الجهة الثانية ودخلوا بواسطة النافذة التي كانوا قد فتحوها في الحيطان . وهكذا تمكنوا من استلام جهة السور الاصلي ومن هذا تبين انه لا بد

من التسليم ولم يهلك كثيرون من الالمان في القيام بالاعمال المذكورة ومع ان عدد المحاصرين كان ٦٠ ألف جندي لم يقتل منهم في أواخر الحصار اكثر من ٢٠ جندياً كل يوم وعدد الذين قتلوا منهم منذ الابتداء كان قليلا جدا حتى انه في فرق كثيرة لم يقتل رجل واحد فان الفرنساويين كانوا يطلقون مدافعهم اطلاقا ضعيفا وقد قيل انهم كانوا يطلقون مدفعاً واحداً كلما أطلق الالمان مائة مدفع . وعند ذلك تمكن الفرنساويون خارج ستراسبرج من أن يبلغو أهاليها بوسائط سرية . لم يقدر الالمان ان يقطعوها مع انهم اجتهدوا أن يقطعوها بضبط الحصر . انه كان قد صارت اقامة الحكومة الجمهورية في باريز وكان أهالي ستراسبرج يخابرون مرارا كثيرة أهالي فرنسا بتلك الوسائط السرية وقيل ان الحكومة أرسلت والياً جديدا الى ستراسبرج وانه تمكن من الدخول الى المدينة بقطع النهر الجاري في شمال القلعة سابحاً أما كتاب الجرائد فكانوا ينظرون الى اكثر أعمال الالمان والفرنساويين من التلال الواقعة وراء أوفنبرج فانهم كانوا يرون اكثر المدينة منها .

هذا وكان كثيرون من السياح يأتون تلك التلال ليشاهدوا ستراسبرج وكانوا يجلسون في كرومها كثيرين من الجرحي الالمان الذين كانوا يأتونها بعد الشفاء للتنزه وكانوا يأكلون من عنبها ليقووا أجسامهم . وقد قال قوم ما يخالف كلام الكاتب الالماني المشهور الذي ترجمنا عنه ماقد نشرناه أعلاه وهو ولئن كان القوم يحاولون أن يروا ما كان يحدث في ستراسبرج في زمان حصرها كانوا لا يقدرون أن يروا شيئاً يستحق الذكر لان الدخان كان على الدوام يغطي الحصون والمنازل ولم يظهر تحتها غير أعلى الكنيسة المذكورة وظهوره كان نادراً وانهم كانوا أحيانا يرون اللهيب يرتفع بغتة والجنود تخرج لتقاتل المحاصرين وهذا نادر لان الدخان كان يحجبهم عنهم . هذا وقد ذكرنا ان الالمان كانوا يطلقون المدافع بدون انقطاع في أواخر الحصار . وفي ٢٦ ايلول (سبتمبر) ليلاً كان الالمان يطلقون كرات محشوة باتصال وكان بعضها

كبيراً جدا لان وزن السكرة منها كان نحو ١٥٠ ليبرا وكان عليها مادة محترقة فكانت تحرق السكرة المدفوعة وتجعلها تنفجر عندما تسقط الى الارض فتخرج منها المواد المذكورة المحرقة . وكان المحصورون يرونها وهي مدفوعة ولذلك كانوا يقدرون أن يميلوا عنها على انها كانت تقع على السطوح وتضر بها وتحرق بعضها وكان سقوطها كسقوط حجر ضخم ثقيل جدا ومنها ما كان ينزل الى السراديب تحت الارض ومنها ما كان يهدم منازل برمتها وكانت تندفع من مدفعين كبيرين جدا صنعهما الالمان للقيام بحصار ستراسبرج وقد قيل انهما دفعا السكرات الى مسافة أبعد مما تدفع سائر المدافع المصنوعة في العالم كراتها اليها .

ولا يخفى اننا لا نقدر أن نعرف عدد الذين قتلوا في ستراسبرج في تلك الليلة الا اننا نعرف انه قتل كثيرون منهم بانفجار السكرات التي كانت تقتل كثيرين في وقت واحد غير ان اكثر الذين قتلوا ماتوا بسقوط البيوت والابنية . وتحقق أهالي ستراسبرج بعد ذلك الليل انهم لا يقدرون أن يثبتوا في الحصار و بناء على ذلك انتهى حصر ستراسبرج في ٢٧ ايلول (سبتمبر) وكان قد ابتدأ في ١٠ آب (اغسطس). ويوم تسليمها هو نفس اليوم الذي سامت فيه للملك لويس الرابع عشر الفرنساوي قبل تسليمها للالمان بمائة وتسع وثمانين سنة وهكذا رجعت تلك المدينة الحصينة الى أصحابها الاولين .

ولما سمع الفرنساويون بتسليم ستراسبرج حزنوا حزناً لا مزيد عليه وعلى الخصوص لان أهاليها كانوا قد قاموا بحق الدفاع قياما يستحق كل المدح والثناء حتى ان أهالي باريز كانوا يظنون انها أحصن مكان في فرنسا وان الالمان لا يقدرون أن يفتحوها ولو أفرغوا في حصرها كل قوتهم لان الباريزيين كانوا يجهلون حقيقة مركز فرنسا وجيشها أكثر مما كان يجهله غيرهم . هذا والظاهر ان الشقاق كان قد وقع بين أهالي ستراسبرج في ابتداء الحصار لان بعضهم كانوا يحبون أن يتفقوا مع الاعداء ولولا غلبة الاكثرية وابتداء المهاجمة بغتة لتمكنوا من تنفيذ غاياتهم . ومع ان الظاهر ان جميعهم

كانوا يقومون بحق الدفاع قياما حسناً تبين عند التسليم ان منهم من كاد يموت حزناً ومنهم من كان ينظر الى الامر بعدم المبالاة ومن الامور الغريبة اننا اذا لاحظنا أسماء الذين أظهروا انهم يكرهون الالمان كرهاً لامزيد عليه نرى ان اكثرهم من أصل الماني

أما حاكم المدينة موسيو كوس وهو الذي وقع عليه الانتخاب بعد اقامة الجمهورية في باريز فتوفى بعد تسليم المدينة بزمان قصير حزناً وكدراً من جراء انضمام الالزاس الى المانيا وهي وطن أجداده ولما دخل الالمان الكنيسة وضعوا قوانين شديدة على الاهالي فانهم عينوا القوانين الحربية ليسوسوهم بها وتهددوهم بقصاصات شديدة اذا حاولوا مقاومة الحكومة الالمانية وجمعوا أسلحتهم وأبطلوا نشر الجرائد وأمروا القوم ان يقفلوا المواضع العمومية الساعة التاسعة أفرنجية من المساء وقالوا لهم ان الذي نراه بعد ذلك خارج بيته بلا مصباح يمسي محلاً للقصاص وظهر ان الخراب الذي لحق بالمدينة كان عظيما جدا ولا يمكن أن يصير ترميمه الا في زمان طويل هذا اذا صار قطع النظر عن المصاريف الكثيرة اللازمة لذلك • فانه خرب فيها اكثر من مائتي منزل خلا المنازل العمومية والقاعات وما أشبه ذلك وأمسى ثمانية ألاف نفس بلا مأوى ولحق ضرر بأكثر من ستمائة منزل . أما الالمان فتمنعوا عن ايقاع الضرر بالكنيسة المشهورة الجميلة على أنهم ربما كانوا غير قادرين أن يمنعوا كل المنع وقوع الضرر عليها • ومع ان الفرنساويين يقولون أن الالمان كانوا يجتهدون في أن يخربوها نقول انهم كانوا يجتهدون في أن يمنعوا وقوع الضرر عليها لانهم لو أرادوا أن يضروا بها لتمكنوا من ذلك وربما كانوا قادرين أن يخربوها كلها على انه لم يصبها غير ضرر قليل فان الكرات أصابت ما ارتفع منها في مكانين أو ثلاثة أما كن ولوت الصليب المقام في أعلاها وعطلت قليلا من نقوشها الخارجية غير انه يسهل تصليحها . أما احتراق المكتبة الثمينة المحتوية على ألوف من المجلدات التي لا يمكن تعويضها فالمظنون انه ناتج عن اهمال نفس أهالي ستراسبرج لانهم لو أرادوا لسهل عليهم أن ينقلوها الى حيث لا تقدر الكرات أن تدركها والمظنون

انهم كانوا يحبون أن ينسبوا الى الالمان عملا قبيحاً كهذا العمل ولولا ذلك لتمكنوا في العشرة أيام الواقعة بين ابتداء الحصر ووقوع الضرر على المكتبة من نقلها وتخليص تلك الكنوز العلمية التي لا يمكن تعويضها من الحريق ·

هذا ولا ريب فى ان الجنود الفرنسا ويين كانوا يقاتلون قتال الابطال الشجعان على أنهم كثيرا ما كانوا يتصرفون تصرفا مشيناً بعد الانكسار أو التسليم وعلى الخصوص بعد تسليم ستراسبرج فان منهم من كانت لوائح الكدر تلوح على وجههم ولكن كثيرين منهم كانوا يهينون قوادهم و يطرحون أسلحتهم وزادهم وأمتعتهم ويظهرون غضبهم بالحلف والشتائم ·

أما شهر ايلول (سبتمبر) فكان شهر اقامة الحصار فانه سامت فيه للالمان ميتس وستراسبرج وتول وكان الالمان يتهددون باريز بالحصر وهم يحاصرون أو يهاجمون مونميدي وتيونفيل وفوردن وفالسبرج و بيتش • هذا ولا يخفى انه لم يتقرر في تواريخ العالم ذكر حصر قلاع ومدن كثيرة كحصر المدن والقلاع المذكورة في وقت قصير كالوقت المذكور لانه لم يسبق أحد الالمان في سرعة انتصاراتهم · أما حصار تول فابتدأ في ١٤ آب (اغسطس) على أن الفرنساويين دافعوا دفاعا شديداً عنها وفي ٢٣ ايلول (سبتمبر) أطلق الالمان المدافع بكثرة عليها ودام اطلاقها النهار بطوله وكان الفرنساويون يطلقون مدافعهم عليهم على ان نيران الالمان كانت أقوى وأفعل وقبل أن خيم الظلام انتشبت النار في المدينة في ٢٣ مكانا وعند ذلك تبين انه لا أمل في اطالة زمان الحصار وأخذ الاهالي يطلبون بالحاح الى الحاكم أن يسلم فطلب الى الالمان أن يقبلوا تسليمه فأجابوا طلبه · وفى الساعة السابعة مساء دخل الالمان تول بعد أن تقررت شروط التسليم بحسب الشروط التي عقدت عند تسليم ميتس ومن الامور التى تستحق الذكر والمستغربة أنه ولئن كانت تول قد تمكنت من أن تدافع عن نفسها بنجاح ستة أسابيع لم يجد الالمان عند دخولها جنديا واحدا من جنود المدافع وقد قيل ان الالمان تكدروا جدا عند ما رأوا ان خمسمائة جندي من

الاحتياطية أي من الاهالي الذين تعلموا قليلا من متعلقات اطلاق المدافع فى اثناء اقامة الحصار تمكنوا من أن يمنعوهم عن فتح المدينة ستة أسابيع ولم يقطعوا الموصلات التي كانت جارية بينهم وبين باريز • أما فتح تول فكان من الامور المهمة عند الالمان لأنها متسلطة على الطريق الحديدية الباريزية وبدونها تمسي الجنود امام باريز فى خطر من أن تبيت بلا زاد بواسطة قطعه . وقد خربت كرات الالمان كثيرا من المدينة وهدمت أكبر كنيسة قوطية قديمة فانها بنيت سنة ٨١٤ للميلاد وأسر الالمان من تول ٢٣٤٩ أسيراً و١٢٠ حصانا و١٩٧ مدفعاً وراية ونحو ستة ألاف بندقية وغدارة وغيرها من الدروع والمهمات والزاد وغيرها • ومع ان أهالي تول دافعوا عن أنفسهم وعن مدينتهم دفاعا حسناً جدا تمكنوا به من أن يحفظوا الترتيب فيها اثناء الحصار ولم يجرح منهم غير قليلين قابلوا الالمان مقابلة حسنة فانهم كانوا يعرفون انهم دافعوا حق الدفاع وكانوا يقرون بأنهم غلبوا وبما أنهم كانوا قد أفرغوا جهدهم في القيام بواجباتهم كانوا يحبون أن يستريحوا من الاتعاب الكثيرة التى لحقت بهم وهكذا كانت هذه المدينة قدوة حسنة للمدن الاخرى فانهم امتزجوا بعد زمان قصير مع المنتصرين وارتضوا بأن يصرفوا وقتهم معهم بالحظ ليعوضوا على أنفسهم الخسارة التي لحقت بهم باثقال الحصر •

أما فى باريز فأخذت مبادي الحمر والكمون (الثوروبيين) تظهر شيئاً فشيئاً وفي ليون وهي مدينة المعامل أخذ أصحاب تلك المبادي يظهرون عدوانهم للحكومة الموقتة . وصارت اقامة اجتماعات سياسية في باريز وتقررت فيها امور معجبة ومخيفة منها أن يصير اصدار نقود من ورق مكفولة بارزاق وامتعة الذين خرجوا من باريز خوفا من الخطر • وقال رجل من المجتمعين في احدي جمعيات باريز المذكورة انه من الواجب ان نمنع الباعة عن رفع اسعار المأكولات عندهم فان الفقراء يمسون غير قادرين ان يشتروا منها • وقال جندي شيخ حامل علامات امتياز في الشجاعة انه من الواجب ان يصير ابطال كل الامتيازات . ثم طرح علامة الامتياز التي كان حاملا

اياها ليبين للقوم انه يطلب ابطال ذلك حباً بخير الجمهور . وطلب رجل آخر ان يصير قطع معاشات جميع الذين كانوا متوظفين في الدولة الامبراطورية وتنصيب غيرهم . غير ان هؤلاء القوم الذين هم من أهل الثورة الحمراء لم يتمكنوا من تنفيذ غاياتهم فان أكثر اهالي المدينة كانوا عارفين بانه لانجاة لهم الا بالاتحاد للدفاع والاقلاع عن كل شقاق وخلاف . على ان (ليون) ملجأ الاشقياء والمشاغبين احتملت تعديات أولئك الحمر فانهم أثاروا فتنة ولو لم يكن للحاكم تفويض تام في استخدام كل القوة المدنية والعسكرية لما تمكن من كبحهم بالقوة وبالتسليم لهم ببعض مطلوباتهم .

وكان قد ظهر ان الالمان كانوا قد صمموا على ان يحاربوا الى ان يبلغوا الغاية بواسطة قطع النظر عن كل شيء خلا الانتصار اي ان يستخدموا كل الوسائط التي تمكنهم من المرغوب ولئن كانت وحشية وكان ملك بروسيا مصمماً على ان يفتح عاصمة فرنسا وان يضم الى بلاده بلاداً من أحسن البلدان الفرنساوية وأنفعها وعلى ان لا يغير هذا العزم لانه ما من شيء غيره يرضيه ولذلك اجتهد الفرنساويون كل الاجتهاد في الدفاع والتأهب لانهم كانوا يؤملون بانهم سوف يتمكنون من أن يطردوا عدوهم من بلادهم .

فاخذ الجنرال تروشو وغيره يحركون الغيرة الوطنية في صدور اهالي باريز وكانت تحرك حالاً فيهم واذا رأى العالم في اعلاناتهم وخطبهم من الكلام مالا يناسب ذوقه فعليه أن يعرف ان لكل أمة عادات وان الكلام المهيج والطيش وغير ذلك من هذا القبيل ليس هو محصوراً في الفرنساويين ولكنه من خصوصيات كل جنس السلت (منهم في فرنسا واسبانيا وشمالي ايطاليا وغيرها) وان الفرنساويين لا يقدرون أن يعيشوا الا في وسط الفخفخات والتمليقات وبناء على ذلك صار استخدام كل الوسائط المهيجة لتحريك الامة واظهار حالة الخطر التي امست فيها . حتى انه صار استخدام التعصب الديني يهيج الجهلاء تهييجاً لا مزيد عليه وفي ٢٢ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٠ للميلاد

صار نشر الاعلان الآتي :

قد اصبح العدو في وسط فرنسا وهو قاس وثابت ومخيف . وفي كل يوم يتقدم فيها ولذلك هلموا ننهض لندافع عن وطننا ونسائنا واولادنا واجعلوا كل اجتهاداتكم مصروفة في سبيل حمايتهم فسيروا واستندين الى مريم المقدسة ومحتمين بها . ان آباءنا كانوا ابطالاً وناضلوا عن الايمان فمن واجباتنا ان نقتدي بهم بالشجاعة والغيرة فانهم قدماتوا ولبسوا أكليل المجد لانهم انتصروا وحافظوا على ايمانهم ولذلك ستحيا أسماؤهم المجيدة الى الابد فهبوا يااولادهم لتستحقوا ان تنتسبوا اليهم فان فرنسا قد امست في الويل وهي في احتياج اليكم وتلتجيء اليكم لتقوموا بحق ناموسها ومجدها فاصرخوا قائلين «الله وفرنسا» وجائزتكم تكون النصر . انتهى .

و بعد ذلك صار نشر الاعلان الآتية ترجمته على الفنديانيين من الفرنساويين :

يا أيها الفنديانيون اصغوا فان زمن المانيا الاراتيكية الوحشية قد هاجمت فرنسا المقدسة . و بعد مدة قصيرة ستدخل ولاياتكم ١٢٠ فرقة من جيوش الاهلان الالمانية تابعين رائحة الدم التي يشمونها ليذهبوا بانفسهم الى الاهانة والسلب والهلاك . اما مجيئهم اليكم فهو ليثلموا اعراض نسائكم وفتياتكم وليذبحوا الأبرياء منكم أى اولادكم الصغار الذين لايقدرون أن يدافعوا عن أنفسهم وليطلقوا الرصاص بلا شفقة على الشيوخ منكم وليبعثوا شبانكم الاقوياء والنشيطين الى السجون البحرية والبرية وليخربوا بيوتكم وليحرقوا قراكم وليهدموا كنائسكم وليكسروا بالاهانة المعيبة تمثال العذراء المقدسة فان هذه هي الحروب التي يقيمها الالمان المتوحشون

يا أيها الفنديانيون هلموا وتقلدوا اسلحتكم بحيث لا ينقص أحد منكم عند مايصير الاجتماع اما المجتمع فهو وراء اللوار فان ذلك المكان هو المكان الذي يجب ان تجتمع فيه صفوفكم القادرة وان تهجم فيه على العدو عند مايظهر في ميدان القتال فتذكروا ان في احراشكم دام ناموس فرنسا سالماً في الايام القديمة اما أولادكم فيحاربون عند اسوار

باريز فحاربوا أنتم في احراشكم وفي الاودية وفي البرارى وفي جوانب تلال وطنكم المحبوب وذلك باسم الله و باسم فرنسا . يا أيها الكهنة قودوا رعاياكم الى القتال و يا أيها الامهات قلدن رجالكن بالاسلحة فانهم والدو بنيكن الباسلين وذلك ليقوموا بحق ثار الذين هلكوا في اراضى الالزاس واللورين المخضبة بالدماء .

فلتقل النساء ان الذين يحاولون مجانبة الاشتراك في المدافعة عن الوطن هم ملعونون . يا أهالي الولايات الغربية هبوا و بادروا الى تقلد اسلحتكم فاحملوا بنادقكم وتقلدوا سيوفكم فان لم تجدوا منها عندكم فتقلدوا عوضاً عنها المجارف والمعاول والفؤوس ومهما وجدتموه عندكم واصنعوا الكرات الرصاصية والبارود وانضموا الى بقية أبناء وطنكم لتشبوا نيران الحروب على أعدائكم بدون انقطاع و بدون رحمة . يا أيها الفنديانيون ان اجدادكم وهم الشوان الابطال يدعونكم من قبورهم لتحاربوا باسم الله باسم بلادكم الواقعة في الاخطار باسم أولادكم و باسم دياناتكم المهانة فافهموا اننا سنجتمع في نوار في ٢٥ ايلول (سبتمبر) ولذلك من واجبات كل منكم ان يأتي ذلك المكان في الوقت المعين هذا واننا نطلب الى الله الجواد العظيم ان يحمي فرنسا و يصونها .

تحريراً في مجتمع جيش فنديان في نوار من لدن رئيس الجنود الفنديانية الآخذة في الاجتماع . (الامضاء) دولبوجمن

هذا ولا يخفي ان خطابا كهذا الخطاب يؤثر تأثيراً شديداً ونافعاً جداً للمصلحة في جنس كاثوليكي باسل نشيط متقن بسيط القلب ذي خرافات ومع ذلك لا نقدر ان نضرب صفحاً عن تنبيه المطالع الى الخداع الذي استخدمه الذين كتبوا هذا الاعلان فانهم هيجوا امة كاثوليكية وهي الامة الفنديانية الى أن تبادر الى طرد المراطقة البروتستانت من بلادهم مع ان الجنود الالمانية الجنوبية كانت من الكاثوليكيين الذين ربما كان يزيد تعصبهم على تعصب نفس الفنديانيين ومن المعلوم ان البافاريين فعلوا افعالا كثيرة تجاوزوا فيها حدود الانسانية في هذه الحرب تجاوزاً حمل الفرنساويين على الغيظ

وهكذا يكون الكاثوليكي متعدياً على الكاثوليكي كما كان يتعدي عليه البروتستانتي ولذلك نقول ان الذين رغبوا ان يجعلوا هذه الحرب حرباً دينية كانوا يخدعون الجهلاء المتعصبين للدين ٠

ولما تحقق الباريزون ان الالمان مصممون على حصر باريز أخذوا في أن يقيموا جميع الاستعدادات التي كانوا قادرين ان يقوموا بها فاقاموا ثلثمائة ألف رجل متقلدين أسلحة كاملة ومتعلمين فن الحرب تعليما حسنا بالنسبة الى الزمان القصير الذي تعلموه فيه في حواجز باريز ووراء اسوارها وتعدل ان سبعين ألفاً من هذا الجيش تقدران تكون على الدوام مشتغلة بالدفاع وبما ان جميع اهالي باريز كانوا مهيجين بالغيرة الوطنية الشديدة وكانوا يعلمون ان عندهم من الزاد ما يكفيهم اشهرا وان الالمان سيصادفون مشقات كثيرة وبردا واحتياجاً الى الزاد فلذلك كانوا يؤملون بان الالمان سيلتزمون أن يرجعوا عن حصر باريز وان يقرروا شروطاً موافقة لفرنسا وبناء على ذلك كانوا ينتظرون بهدو قدوم الالمان لقيام حصر عاصمة فرنسا العظيمة ٠

— تسليم ميتس وحصار باريس —

ومع ان الالمان كانوا متيقظين كل التيقظ كان الباريزيون يتمكنون من اقامة المخابرات بينهم وبين فرنسا غيرانه في ٥ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧١ ميلادية غلقت باريز أبوابها فانقطعت عن بقية العالم وأخذت في الاستعداد للقيام بحصر مخيف وتم ذلك في صباح اليوم المذكور الساعة السادسة ومنذ هذا الوقت منعت الحكومة الخروج من المدينة والدخول اليها بدون اذن مكتوب مخصوص منها ٠ وهكذا باتت تلك المدينة العظيمة جنة العالم وفخره منفردة انفراد المسجون ومنقطعة عن العالم كل الانقطاع وأبوابها مقفلة بدون أن يقدر احدان يخمن زمان فتحها والظروف التي تمكنها من ذلك ٠ ومع

ان أهل العالم كانوا ينتظرون تحقق حصر باريز كانوا يكادون يكذبون مايسمعونه عن حصارها وانقطاعها عن العالم لانه كان يصعب عليهم أن يصدقوا ان تلك المدينة العظيمة الجميلة التى كان يدخلها كل يوم ألوف من أهل العالم طلباً للتنزه والتفرج ستمسي مقفلة الابواب وستحتمل ويلات الحصر وضيقاته . وهذه هى الحادثة الثالثة العظيمة من حوادث هذه الحرب فان الاولي هي انتصار الالمان انتصارا تاما في ورث ووسنبرج والثانية هي تسليم الامبراطور في سيدان . وكان القوم يسمعون بذلك بخوف ورعدة لانهم كانوا يتأملون بالضيقات الكثيرة التي كانت مزمعة ان تعرض على اهالي مدينة السرور قبل أن يتمكن المتصرون من أن يفتحوا أبوابها . وكانوا يعرفون ان فيها رجالا كثيرين جداً قادرين على ان يقوموا بالدفاع وعلى الخصوص بعد ان سمعوا بان الجنرال تروشو وغيره كانوا قد قالوا انهم هم وكل سكان المدينة يفضلون ان يهلكوا عن آخرهم دون التسليم . ومع ان كثيرين كانوا يعتقدون بان الحصر سيكون طويلا وصعباً كانت الاكثرية لاتعتقد بان الجنرال تروشو وقومه كانوا مصممين على ان ينفذوا ماقالوه . وكان الخبيرون في فنون الحرب يقولون انه ولئن كان الباريزيون محصنين وكثيرين لايقدرون ان يدفعوا جيش الاعداء الجرار لانهم لم يكونوا من المتعودين القتال وكان عدد الجنود داخل باريز في ابتداء الحصر ١٢٠ ألف جندي من الجنود المنظمة ونحو ثلثمائة ألف جندي من جنود الحرس الوطني و ١٢٠ ألف جندي من الاهالي الذين تعلموا الحركات العسكرية للقيام بالحصر وغيرهم كثيرون من الملاحين الذين كان قد صار ارسالهم الى باريز ليطلقوا المدافع الكبيرة . ومن يتأمل في ان أكثر هذه الجنود حتى الجنود المنظمة كانت تجهل فنون الحرب وحركاته فان كثيرين من ١٢٠ ألف جندي المنظمة كانت جنوداً جديدة جمعت في أثناء الحرب وقبل اجتماعها في باريز باقل من شهرين كانت تشتغل في الحقول في الولايات يقول انه لو نجح الباريزيون في دفاع الاعداء لكان سبب نجاحهم شدة غيرتهم وحبهم لوطنهم وليس اختبارهم

العسكري ومعارفهم الحربية ·

ولا يخفى ان في ايام لويس فيليب ملك فرنسا كان حول باريز سور وكان جميع الذين يدخلونها أو يخرجون منها يلتزمون ان يمروا في أبواب محروسة بالجنود غير ان الامبراطور نابوليون الثالث كان قد هدمها للقيام بالاصلاحات الكثيرة التي أجراها ولذلك كانت حصون باريز في وقت هذا الحصر قلاعاً كثيرة مبنية خارج المدينة · ومنذ عشر سنين أو اثنتي عشرة سنة كانت حصون باريز من الحصون التي لا تفتح · غير ان الآلات الحربية قد تغيرت جداً وتحسنت حتى ان كل الحصون القديمة في الداخلية وعند الشواطئ باتت ضعيفة بالنسبة الى المدافع العظيمة الجديدة حتى ان اصحابها باتوا ملتزمين ان يجددوا بناءها بنوع يوافق مقتضيات الحال · وبناء على ذلك لم تكن حصون باريز قادرة ان تقوم حق القيام بالدفاع بحيث يبيت الالمان غير قادرين ان يطلقوا مدافعهم عليها ويضايقوها · هذا وكان الباريزيون قد عرفوا قبل وصول الالمان الى عاصمتهم بانهم مصممون على حصرها فشيدوا حواجز وحصوناً كثيرة كانوا يعتقدون بانها قادرة أن تمنع المحاصرين عن أن ينزلوا بهم ضرراً · ومع ذلك باتت محلات كثيرة حول المدينة غير محصنة لان القلاع كانت بعيدة ولا تقدر أن تحميها وسرعة سير الالمان بسبب عدم مصادمتهم دفاعاً منع الباريزيين على أن يتحصنوا تحصناً تاماً ومع ذلك لم يقصروا عن اجراء كلما يمكن اجراؤه في زمان قصير فانهم أقاموا الحواجز الترابية وغيرها في الاماكن المفتقرة الى التحصين حتى انهم التزموا أن يتركوا بعضها قبل ان اكملوها لان مسير العدو كان سريعاً · وكانوا قد تمكنوا من اقامة الحواجز في نهر السن الذي يمر في باريز ويمر حول بعضها واقاموا فيه جسوراً عائمة وحصوناً ومراكب صغيرة مدرعة في كل منها مدفع واحد وأغرقوا فيه بارودا موضوعا في ما يمنع دخول الماء اليه ليحرقوا به المراكب التي ربما كان الالمان يأتون بها ليستعينوا بها في حصر المدينة · وكان المحاصرون في أول الامر أقل كثيراً من المحصورين على ان الجنود الالمانية كانت كلها

مجربة ومختبرة وعارفة فنون الحرب وأبوابها وحالما وصل الالمان الى ظاهر باريز أخذوا في النزول في المحلات المقابلة للاماكن الضعيفة والمناسبة وهذا مما يبين ان قوادهم كانوا يعرفون حق المعرفة أحوال باريز وقوتها ومواقعها ولم يتأخروا لحظة واحدة عن اقامة الاعمال التي تضعف المحصورين وتكدرهم غير انه مضى زمان طويل قبل أن هجموا عليهم . فابتداؤا بتحويل مياه ترعة أورك فخسر الباريزيون الانتفاع بمائها وقوى الالمان مواقفهم بتحويله وأقاموا حاجزاً بالقرب من سرو مقابل غاب بولون و بعد أن هدموا حصن فلحويف في جنوبي باريز استولوا عليه وأقاموا جسراً فوق نهر السن في بوجيفال وهكذا تمكنت فرق الجيش الكثيرة من أن يقيم بعضها المخابرات مع البعض الآخر ونزل أكثر الجيش الالماني في التلال الواقعة بين بيون وشاتيليون ممتدا من الجهة الشمالية الغربية من باريز الى الجهة الجنوبية الغربية وأقاموا مركز مدافع في مودون في الجهة الغربية وأقاموا مدافع كثيرة في تلال سان كلو .

وفي ٢٣ ايلول (سبتمبر) فتح الالمان مدينة سان كلو المذكورة ونزلوا فيها بعد أن قتل منهم رجل واحد وجرح ١٢ رجلا فرجع الفرنساويون الى الجهة الاخرى من السين ثم فتح الالمان قلعة مونتر تبو وحصن جانفيليه ونزلوا فيها عندما اخلاها الفرنساويون والمظنون ان الجيش الالماني الذي حل في ظاهر باريز في اليوم الاول من الحصر لم يكن أكثر من مائة ألف جندي غير انه كان يزيد يومافيوما بوصول جنود المانية جديدة فانهم كلما كانوا يفتحون قلعة من التي كانت في الطريق الواقعة بين باريز والحدود كانت الجنود التي فتحتها تنضم الى جيوش حصر باريز . فعند ما سلمت تول وستراسبرج انضم الى جيش باريز الالماني عشرة آلاف جندي من جيشهما . وأما بقية الجنود فارسلت الى محلات أخرى لتقيم الاعمال الحربية في الولايات لان الالمان كانوا لا ينفكون عن التقدم فيها حال كونهم كانوا مشتغلين بحصر باريز ودامت الحال على هذا المنوال الى أن صار جيش حصر باريز ٢٢٥ أو ٢٥٠ ألف جندي .

هذا ومع انه لم يحدث قتال عظيم بين الالمان والفرنساويين عند ما كانوا آتين من معارك سيدان وغيرها الى باريز ولم يتمكنوا من الوصول الى ظاهر العاصمة بدون مصادفة صعوبات وموانع كثيرة فان الطريق الحديدية بين نانسي وباريز كانت عرضة لمدافع قلعة تول الفرنساوية وذلك بين شالون وابوني فان الالمان كانوا ملزمين أن يوقفوا المركبات البخارية قبل الوصول الى مقابل تول وان يخرجوا منها الزاد والمهمات ويسيروا بها في طريق طويلة متعبة بعيدة عن القلعة المذكورة وان يرجعوها الى المركبات البخارية في الجهة الغربية وكذلك كانت الطريق المستقيمة الواقعة بين ميتس وباريز وهي التى تمر بروم وسواسون عرضة لمدافع قلعة فيردون الفرنساوية وكانت مدافع قلاع تيونفيل ولونكوي ومونميدي وميزير تتمكن من اصابة طرق أخرى حال كون الالمان كانوا ملزمين أن يبقوا في قلعة بيتش وفالسبرج جنوداً كثيرين للمحافظة وكان ذلك جميعه يعيق اجراآت الالمان ويمنعهم عن جمع جيش جرار في ظاهر باريز في وقت قصير .

وقد قررت جريدة الكواترلي ريفو ما يأتي عن مراكز الالمان ووسائط اقامة المخابرات بين جيوشهم عند اقامة حصر باريز وهو أن صدور المخابرات كان من أمكنة واقعة بين سار بروك في الشمال وبين بازل في الجنوب وكان في هذه الاماكن كل القلاع المنيعة خلا ستراسبورج منها ميتس وتول وفردون وتيونفيل وغيرها وكان الالمان يقومون بحصر هذه القلاع عند ما فتحوا سيدان . وكانت الجهة الجنوبية من الاماكن المذكورة مركزاً لحركات الجنود التى كانت تقوم بحصر ستراسبرج والتى قامت بعد ذلك بحصر شلستاد ونوبريزاش وبلفور وغيرها وبالحركات الحربية في جهات بيزانسون . وكان للجيش الذي كان يقوم بحصر باريز مركز آخر لحركات الجنود التى كانت تمتد الى جهة اورليان وشارتر ودرو وافر وواميان وسان كانتين وغيرها وكان المقصود من استخدام هذه الجنود في الاماكن المجاورة لمركزها أو

التى هي أقرب اليها من غيرها جمع الزاد للجيش المركزي ومنع هجوم الجيوش الفرنساوية التى كانت الامة شارعة في اقامتها في أماكن كثيرة اه

هذا ولا يخفى ان تلك الاحتياطات الالمانية تبين ان الجيش الالماني الذي كان في ظاهر باريز كان عرضة لهجوم غير الباريزيين عليه ولذلك كان قوادهم متيقظين على الدوام لمصادمة كبسات الاعداء وان الالمان كانوا يركنون الى قوتهم كما انهم كانوا يعرفون ان للفرنساويين قوة عظيمة قادرة على أن توقع الارتباك في جيوشهم غير أن الفرنساويين أهملوا اغتنام الفرص المناسبة ليس لانهم كانوا مفتقرين الى الشجاعة ولكن لانهم كانوا مفتقرين الى الاتحاد والتكاتف التام فى سبيل تخليص وطنهم

وعند وصول الالمان الى ظاهر باريز شرع المحصورون فى اطلاق المدافع عليهم غير أن ذلك كان يجعلهم يخسرون المهمات التى لم يكونوا قادرين على الحصول على غيرها بدون أن يوقعوا ضرراً عظيماً في العدو الذي كان مستنداً الى قلاعهم المسامة ولعل الذي حملهم على ذلك تنشيط المحصورين وحثهم على الخدمة بفعل ما يدل على انهم مشتغلون بالدفاع بدون انقطاع لانه يصعب على القواد والرؤساء أن يحفظوا نظام رجال محصورين لان محافظة الانسان على ذلك واعتصامه بالصبر الجميل انما يكون عندما يرى انه قادر أن يقيم الحركات التي تقتضيها ظروف حاله وانه يأتيه في غده مايعوض عليه خسارة أمسه من الرجال والزاد والمهمات وانه اذا دارت عليه الدوائر يقدر أن يتقهقر بالاستناد الى ما يحميه الى أن يخرج من دائرة المخاطر . أما الفرنساويون فلم يكن عندهم شيء من ذلك عندما باتوا محصورين في باريز مع ان الالمان كانوا حاصلين عليه جميعه ولذلك المظنون انه لولا مداومة اطلاق المدافع وتشغيل الرجال بالاستعداد للخروج لمصادمة الاعداء ومحاربتهم لعصى أهالي باريز الحكومة وكدروا نظام الدفاع وراحة العاصمة . ولا يخفى ان اطلاق المدافع لم يأت بنتيجة وكذلك نتيجة خروج الجنود ومصادمتهم للالمان في ظاهر المدينة كانت قليلة الاهمية .

ولا يخفى ان الالمان كانوا يعتقدون بانهم كانوا قادرين أن يخضعوا الباريزيين بالجوع وان صرف الوقت للحصول على النتيجة هو أوفق من اهراق الدم وعلى الخصوص لان الفرنساويين كانوا ملزمين أن يقوموا بالمصاريف اللازمة وكان كثيرون من أهالي باريز ومن أهالي القرى المجاورة لها الذين كانوا قد التجأوا اليها وباتوا محصورين فيها يطلبون الى الالمان بالحاح أن يسمحوا لهم أن يخرجوا من المدينة غير أنهم لم يسمحوا لهم بذلك لانهم كانوا يعلمون انه كلما كثر عدد المحصورين يقصر زمان الحصار لان زادهم ينفذ في وقت قصير . وقد قيل ان قواد الالمان كانوا يوصون الجنود بالامتناع عن أسر الفرنساويين الذين يرون انهم قادرون أن يأسروهم عند ردهم الى العاصمة بعد القتال خارجها لئلا يقل عدد الذين يأكلون فيها وبناء على ذلك نقول انه ربما كان قد تمكن مئات من الجنود الفرنساوية اذا لم تقل الوف منهم من النجاة من الاسر ليقعوا في ضيقات الحصر . هذا ويخطئ من يقول ان الفرنساويين كانوا يرجعون بالفشل على الدوام عن الجيش الذي كان يحاصر عاصمتهم عند ما كانوا يخرجون ليقاتلوه في ظاهر باريز فانه في ٢٧ ايلول (سبتمبر) صدمت فرقة فرنساوية من جيش الحرس ثلثمائة بروسياني في مكان يبعد قليلا عن الجهة الشمالية من باريز اسمه كلرمون وكسرتهم على ان عدد الفرنساويين حينئذ كان أكثر من البروسيانيين . أما الالمان فكانوا يبادرون الى الانتقام من الفرنساويين عند ما كانوا يتمكنون من قهرهم في الخروج من باريز ففي تلك المرة رجع البروسيانيون بعد ان انكسروا وأتوا بمدافع واطلقوها على اطراف قرى كثيرة ثم فتحوا قرية كلرمون وأحرقوها . وفي شهر ايلول (سبتمبر) عرض الالمان على الفرنساويين التسليم مرات كثيرة وطلبوا اليهم ان يسلموا القلاع التي كانوا لا يزالون غير متمكنين من فتحها . أما الفرنساويون فكانوا يجيبون اننا لا نسلم مادام عندنا رجل واحد فيه روح

وفي ٢٧ أيلول (سبتمبر) وجد الالمان الاسلاك البرقية التي كانت جارية بين باريز

و بين جنوبي فرنسا تحت الارض وقطعوها وهكذا امست باريز منفصلة عن البلاد الفرنساوية وفى ذلك اليوم قطع الالمان طريق نهر السين فوق نانت في مكان في غربي باريز يبعد عنها نحو ثلاثين ميلا وهذا اضربها جداً . وفي ٣٠ من الشهر المذكور خرجت الجنود الفرنساوية من المدينة خروجاً عظيماً من مكانين وكان خروجهم عند شوازي لوروا وعند مورون وكان الجنرال فينوا قائد الجيش في المكانين والذين خرجواهم فرقتان من الجنود المنظمة وكثيرون من الحرس الوطني والعسكر الاحتياطي . واعظم خروجهم كان عند شوازي لوروا فانه قد قيل انهم طردوا الالمان من شفيلي وايلى واستولوا عليهما ثم ساروا الى ان وصلوا الى شوازي لوروا . وعند ذلك منعهم الالمان عن التقدم وارجعوهم فرجعوا بترتيب وهم يطلقون باجتهاد وسرعة اسلحتهم على فرقة المانية كانت تطلق المدافع عليهم فشكر الجنرال تروشو همة اولئك الجنود الفرنساوية ومدح كل المدح شجاعتهم وثباتهم وخصص بالمدح الجنود الاحتياطية التي لم يكن لها اختبار في فنون الحرب . وقد قال الالمان ان اشد هجوم الفرنساويين كان على الفرقة الخامسة والسادسة من جنودهم وعند اشتداد ذلك الهجوم هجمت فرقة فرنساوية على فرقة ولي عهد ملك بروسيا وهي الفرقة الحادية عشرة فبقي ولى العهد المشار اليه مدة القتال بطولها في ميدان الحرب وبعد ان قاتل الفرنساويون قتالاً شديداً ساعتين ارتدوا ملتجئين الى قلاعهم بعد أن قتل كثيرون من الفريقين ولا نعرف من منهما تكبد الخسائر الاشد . اما خروج الفرنساويين عند مورون فلم يصادف النجاح الذي صادفه خروجهم المذكور ومع ذلك قاتل الفرنساويون بنشاط وغيرة وكان ذلك واسطة لتنشيط الباريزيين وتشديد أملهم

أما الالمان فجعلوا مركزهم الاول في فرساليا وهى مدينة تبعد عن باريز تسعة أوعشرة أميال . وفي ٢٦ ايلول (سبتمبر) وهب ولى عهد بروسيا صلبانا كثيرة حديدية علامة لشجاعة حاملها

وعند مارأى الجنرال مارآه من ثبات المحاصرين وقوتهم وحالة باريز خاب أمله

من التمكن من ان يدافع عن العاصمة الى ان يضجر الالمان من حصرها و يرجعوا عنها أوالى من يطردهم من ظاهرها على أنه من المؤكد ان ذلك الجنرال قرر كيفية للدفاع منذ ابتداء الحصار وحافظ على تنفيذها الى نهايته والمظنون انها أحسن كيفية يمكن تقريرها في تلك الظروف وعدم نجاحها ليس ببرهان على عدم موافقتها . وقبل ابتداء الحصار عرف ان الالمان لايحاولون منذ البداية ان يفتحوا باريز بالقوة ولذلك صمم على أن يبقى ملتجئا الى قلاع العاصمة وان يخرج لمهاجمة المحاصرين حينا بعد حين منتظرا اقامة جنود في داخلية البلاد ليتمكن من ان يتحد معها في العمل بعد أن يكون قد تم تنظيمها وتجهيزها فانها كانت عازمة على أن تهاجم المحاصرين في وقت واحد من جهات كثيرة حال كون المحصورين يهاجمونهم من داخل فيلزموهم ان يرتدوا عن العاصمة . النقص في هذه الكيفية محصور في أمر واحد وهو ان تروشو كان يظن ان عند أهالى أواسط فرنسا وجنوبها من حب الوطن والغيرة أكثر مما ظهر من ذلك منهم عند الامتحان وانهم قادرون على تجهيز جيوش وتعليمها مع ان كل تجهيزاتهم وأعمالهم كانت غير خالية من النقص الذي يأتي بسوء العواقب ولذلك كانت تلك الجنود الجديدة غير قادرة ان تصادم جنود الالمان المجربة والمتعودة القتال والكفاح . وقد قيل ان همة الجنرال تروشو كانت دون المطلوب وعلى الخصوص في ابتداء الحصار لانه لم يكن يخرج لمهاجمة المحاصرين مع أنه معلوم أن ذلك يوقعهم في الارتباك اذا لم نقل انه يأتي بنتائج قاطعة اما الباريزيون فكانوا يعتقدون في أول الامر أنهم قادرون على الثبات الى أن يلزم الالمان أن يرجعوا عنهم بدون ان يدخلوا عاصمتهم ولذلك كانت أحوالهم حينئذ تسير كأنهم راتعون في سلام تام . ومع أن قاعات التشخيص باتت مقفلة كان لايزال فيها من الملاهي مايقصر القلم عن وصفه فانهم كانوا يقيمون احتفالات وطنية أي يجتمعون و يسيرون بالرايات و يخطبون خطباً موضوعها حب الوطن و وجوب بذل الدم في الدفاع عن الذمار وكانوا يسيرون اجواقاً اجواقاً في

الاسواق ذكورا واناثا واضعين أيدي بعضهم في أيدي البعض الآخر وسائرين بالحب والانشراح في الشوارع . فماذا ياترى قال العالم عن باريز وهي في تلك الحال وماذا قالت بروسيا فانهم كانوا جامعين بين ذلك وبين طلب القاء القبض على الجواسيس وعلى من كانوا يظنون انهم جواسيس وكانوا يقتلون بعضهم بدون أن يحملوا انفسهم اثقال البحث هل هم فعلا من الجواسيس أولا هذا خلا الاضطراب الدائم الذي كان في العاصمة فان تعليم الجنود كان جاريا بلاانقطاع وكذلك ذهاب القوم الى الاسوار لمشاهدة حركات المحاصرين وغير ذلك بالمكبرات

وبعد ذلك بمدة قصيرة وجد الباريزيون انه لابد من الاهتمام بمايمنع فراغ الزاد فيبيت الاهالي في جوع شديد . وكانت الحكومة قد وضعت سعرا للخبز واللحم منذ أوائل الحصار . ومع ان الاهالي كانوا يتكلمون عن أكل لحم الخيل والكلاب الهررة والفيران لم يكن احد منهم يظن انهم سيضطرون ان يأكلوا ذلك . وبالجملة نقول انه عندما امسى أهالي باريز محصورين تجدد عزمهم بعد ان كان قد ضعف قبل ذلك بواسطة انتصارات الالمان مع ان اعداءهم كانوا يفوزون على الدوام وكانوا وهم محصورون داخل أسوار عاصمتهم يتصورون حلول الرزايا والبلايا والويلات الجديدة على أعدائهم وان جيوشهم الجرارة القوية أصبحت مشتتة الشمل ومكسورة بحيث تهلك كلها قبل ان تتمكن من الخروج من فرنسا فتبقى مدفونة فيها . وياليتهم اكتفوا بذلك فانهم كانوا يعتقدون بانهم سيتمكنون من فتح المانيا ودخول برلين وحينئذ يقررون الصلح الذي يوافقهم ومع ان اكثرهم كانوا يعتقدون بانهم سيحصلون على ذلك كانوا يقولون اذا لم نفز نموت رجلا فرجلا وامرأة فامرأة ثم ولدا فولدا فانهم كانوا عازمين اما على الحصول على الفوز واما على الهلاك . فهذه هي الافكار التي كانت تخطر لاهالي باريز وهم في تلك الظروف .

أما فيكتور هيكو الكاتب المشهور الذي ذكرناه فكتب الى الالمان في خطبه

العمومية بان يفعلوا كل ما يتمكنون من فعله وقد قال في خطبة من خطبه ما يأتي :

لقد وصلتم الى ظاهر أسوارنا وحصوننا ولذلك صارت حربكم حربا ظاهرة تليق بالرجال فانكم امسيتم لا تقدرون أن تكبسونا ولا أن تكسرونا بالاستتار بظلام الليل وبالاحراش الملتفة بحيث تصيرون قادرين على أن تهاجمونا بجيوش يفوق كثيراعددها عدد جيوشنا وهكذا قد أمسيتم بلاظلام وبلا احراش وبلا حيل ومكر فانكم ستقابلون الاسد وجهاً لوجه فلا يفيدكم المسير شيئاً فشيئاً فان الموتى يقدرون أن يسمعوا صوت مشيكم فان باريز تراقبكم وفي يدها صواعق الهلاك وسترمي بها جيوشكم الكثيرة وبعد برهة قصيرة ستقابلون بطلا وكان اسمه غاليا عند ما كان اسمكم البروسيان البرابرة أما الآن فاسمه فرنسا واسمكم فاندال ٠ أما باريز التي عادتها اقامة الملاهي للبشر فستقيم الرعب الآن في قلوبكم وستقف الدنيا دهشة عند ماترى العظمة التي بها تقدر باريز أن تقابل الموت .

هذا ومن طالع هذه الخطب ووقف علي تلك الاعمال والاقوال يقول ان الفرنساويين أمة شأنها الافتخار بالباطل على ان الذي يمنعنا عن أن نقول ذلك ما نعهده من انها أمة باسلة وتحب وطنها . ومن الامور الغريبة ان أهالي باريز كانوا يصدقون ما كان كتابهم يسمعونهم اياه من مدحهم حتى ان كلا منهم وهو محصور كان يخيل له انه أصبح بطلا فاتكا تهتز الارض عند ذكره وان فرائص الالمان ترتعد كلما سمعوا ذكر اسمه ومع انهم كانوا يتصرفون هذه التصرفات الصبيانية كانوا جميعهم ذكورا واناثا يقومون بما يخلص مدينتهم المحبوبة من الخراب والسقوط حتى انهم أفرغوا الجهد في هذا السبيل ولذلك استحقوا الثناء على الذي حصلوا عليه . اما الآن فلا بد من أن نتركهم تحت الحصار لنقرر أمورا أخرى كانت تجري في تلك الاثناء :

لا يخفى ان الحرب ومسير الالمان في ولايات فرنسا الشمالية الشرقية جعلا أهالي هذه الولايات يمسون في أسوأ حال من الحروب وفعل نيرانها وجنودها قد باتوا في فقر وضيق وشعروا

بفعل الجوع المخيف فيهم بعدان كانوا في رخاء ولذلك تحررت تقريرات في براية من ولاية الموزل ليصير ارسالها الى كل الامم المحافظة على الحياد والى المانيا وعلى الخصوص الى انكلتر وأميركا ومآلها اظهار حال تلك البلاد التي دخلها الالمان وعلى الخصوص أهالي ولاية الموزل والموز والمورث والاردن وطلب بلجاجة وشدة توسل الاسعاف لتخليص الانفس وليس لاهلاكها وتقرر فيها ثناء عظيم على الذين يأتون ميدان الحرب لاسعاف الجرحى والمرضى الذين وقعوا في الويل بسبب الاشتراك في الحرب وقالوا بحزن يبين شعورهم بويلهم ان من الاهالي من يحتاج الى المساعدات بدون أن يكون من الجنود فان كثيرين من الاهالي وقعوا في ضيقات وشدائد تفوق ضيقات الحرب وشدائدها فان بساتين ومغروسات وحقولا كثيرة أمست خربة خالية من كلما كان فيها ومخازن محصولات كثيرة باتت فارغة فان الجنود نهبتها وقالوا ان بيوتا كثيرة ومخازن وغيرها أمست مهدمة فان السكرات دخلتها وحرقت بعضها وهدمت البعض الآخر وان الالمان المنتصرين أخذوا من بقرهم وخيلهم وغنمهم وخنازيرهم وغيرها وأنهم يلزمون كثيرين من الفعلة الفرنساويين ان يشتغلوا أشغالهم ويتركوا نساءهم وأولادهم ليموتوا جوعاً وان الاهالي باتوا لا يملكون البذر اللازم لزرع حقولهم في السنة القادمة هذا اذا تمكنوا من زرعها وان أميالا كثيرة من الاراضي أمست لا تصلح للزرع لان أجساد القتلى مدفونة فيها بدون أن يكون فوقها من التراب مايغطيها وان الجوع أخذ يفعل في الفلاحين المنكودي الحظ وان الظاهر ان الجوع والامراض هي نتيجة الحرب عندهم فان صراخ الاولاد الجياع قد ابتدأ يكدر مسامع والديهم الذين لا يقدرون أن يخلصوهم من فعله وان دموع الارامل والايتام الذين باتوا بلا مأوى تبل الارض التي بات أزواجهن وآباؤهم مدفونين تحتها لانهم يحتملون شدة الجوع فضلا عن شدة الحزن من جراء فقدهم . وكان في هذه التقريرات أمور مؤثرة جامعة بين الصحة وطلب المساعدة من الجنس البشرى كله وفي ختامه خطاب باسم أهالي انكلتر واميركا ذكروا فيه انهم يطلبون الى انكلترا

أن تسعفهم لانه لم يدخلها عدو محارب منذ دخلها وليم النبروجي عنـد ما غلب هراولد في هيسنز منذ ثمانية قرون والى الاميركان لأنهم ولئن كانوا قد خضعوا للاعداء وذاقوا مرارة الحروب منـذ برهة قصيرة قد رجعت قوتهم اليهم لان بلادهم واسعة وغنية طبعاً مع ان فرنسا ضيقة وفقيرة طبعاً بالنسبة اليها وقد ختموا هذا الخطاب بطلب المساعدة من جميع العائلة البشرية في كل الدنيا حتى من الالمان المنتصرين فانه قيل في ذلك الخطاب انه لا ريب في ان لالمان لا يرغبون في أن تباد الامة الفرنساوية المغلوبة • وأمضى هذا التقرير حاكم برايه وأكثر اكابر أهالي المدن والقرى الفرنساوية الواقعة بالقرب من ميتس ونانسي وسيدان وغيرها من الاماكن التي حلت بها نوائب الحرب مع خدمة دينهم • وكان كل من يقرأ هذا التقرير يحزن جداً على انه لم يأت في بعض الاماكن بمساعدة مادية تستحق الذكر • وأثر جداً في انكلترا واميركا وعلى الخصوص في انكلترا حتى ان كثيرين من الانكليز بادروا على الفور الى ارسال أموال كثيرة احسانا الى مدير الجريدة الذي طبع هذا التقرير قبل غيره وهذا مصدر المال المسمى بمال اعانة فلاحي فرنسا ومما يسرنا ان نقول ان الذين اشتركوا بهذا الاحسان قد نالوا نتيجة عظيمة فانه بواسطة كرمهم قد خلصوا مئات من العيال المنكوة الحظ من احتمال الضيقات والشـدائد التي يصـعب على القلم أن يقوم بوصـفها وقد خلصوا كثيرين بعناية الله من الموت جوعاً كما أنهم منعوا امتداد الويل فانهم مكنوا الفلاح الذي بات بلا بذار من الحصول علي البذار الذي هو مصدر ما يقوم باوده وأود كثيرين معه وامتدت هذه المساعدات الى اكثر من أربعين مقاطعة وفضلا عن ذلك قد صار توزيع خبز ولحم وملابس وآلات وأثاث وأدوية وأجرة بيوت علي كثيرين من أولئك الفقراء ودام ذلك ستة أشهر وصرف في سبيل تقديم هـذه الامور الثانوية نحو ١٦ ألف ليرا وكان يتوزع كل اسبوع ٣٤ ألف ليبرا من الخبز والفاليبرا من اللحم على الاهالى والليبرا اقل قليلا من نصف أقة • وفي ١٩ اذار (مارس) سنة ١٨٧١ قرر مجلس البلدية فى سيدان انه

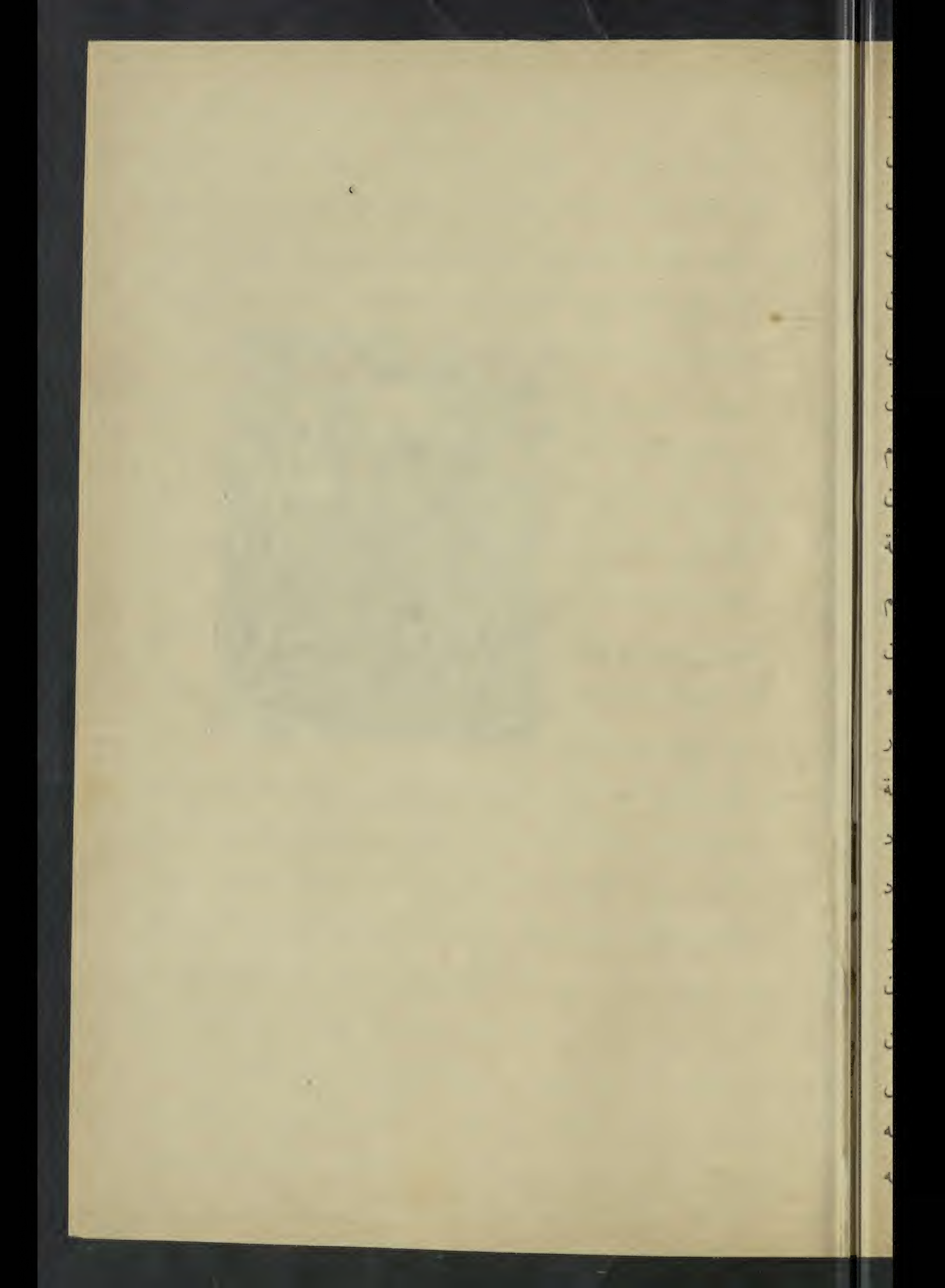
يشكر انكلترا على كرمها ومبادرتها الى مساعدة المحتاجين . والمساعدة التي حصل عليها فلاحو فرنسا بواسطة هذه الجمعية لايجاد البذار وما أشبه ذاك هي خلا المساعدات التي حصلت عليها فرنسا عموماً من انكلترا في وقت الحرب فان تلك المساعدات وحدها أي الغير المختصة باسعاف الفلاحين هي اربعمائة ألف ليرا انكليزية وهذا مبلغ عظيم وذلك مع قطع النظر عن المساعدات الكثيرة الانكليزية التي حصلت عليها باريز بعد رفع الحصار فان انكلترا قدمت لها مأكلاً ومشربا وملابس وادوية واثاثا وغيرها

وكان ملك بروسيا يحب أن يبقي قسما من جيشه مشتغلا حال كون بعضه كان مقيما حول اسوار باريز للقيام بحصرها ولذلك عزم على ان يهاجم مدينة سواسون وقلعتها فحل الألمان في ظاهرها في ٢٨ ايلول (سبتمبر) وبعد ذلك ببرهة قصيرة أضرموا النار في البيوت المبنية حولها ومع انه حدثت معارك كثيرة صغيرة في ظاهرها لم يصر الشروع في المهاجمة شروعاً صحيحاً الا في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) وفي ١٥ منه دخلها الالمان وكان المقصود من فتح هذه المدينة العلاقات التي كانت بين الاماكن المجاورة باريز وبين عاصمة البلجيك

اما متس فلم تسلم الا في ٢٨ من شهر تشرين الاول (اكتوبر) وقد قال المرشال بازين ان الذي حمله على الاستسلام انما هو رغبة الاهالى في ذلك لانهم كانوا يكادون يهلكون جوعا . وكان قد فر مرات كثيرة بجيوشه واقام قتالا بين اواخر شهر ايلول (سبتمبر) و٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) وتمكن من ان يضر بعض الضرر بالعدو . وقد قال كثيرون انه لو أراد المرشال بازين لخرج وقاتل الاعداء اكثر مما قاتلهم وأوقع بهم اضرارا لم تلحق بهم وانه لما كان قائدا لمائة ألف جندي كان يهون عليه ان يخرق صفوف المحاصرين وينجو بجيشه بعد ان يبدد الجيش الذي كان يحاصره فانه لما كانت أعمال الالمان كثيرة في وقت واحد كانوا يلتزمون احيانا عديدة ان يأخذوا من جيش حصر ميتس لمحاربة الفرنساويين في اماكن أخرى ولذلك كان يبيت جيشهم في ظاهر تلك المدينة ضعفاً هذا وكان أهالى

متس يعلمون ان داء الاسهال وغيره من الامراض كان يفعل افعالا مهلكة في جيش الالمان المذكور وانه كان يبيت احيانا في احتياج الى الزاد • ومن اصعب الامور الوقوف على الحقيقة من كتابات الكتاب الذين كانوا في متس فانها متناقضة فيما يتعلق بتصرفات المرشال بازين وقد تناقضت كتابات الفرنساويين انفسهم بهذا الشان وهكذا نرى ان البعض يقول انه خائن شرير والبعض الاخر انه محب لوطنه وذو حكمة ومعارف في فنون الحرب فانه افرغ كل الجهد في سبيل المحاماة عن المدينة التي حصر فيها ومن الفرنساويين من يقول انه رجل بوربوني خائن فانه يفضل أن يطرح بلاده في الويل على أن يخدم حكومة جمهورية وانه جبان فانه كثيرا ما كان يعرض جيوشه لخطر لم يكن يتجاسر أن يعرض نفسه له وانه على غير ثبات وقليل العزم فانه كان قادرا أن يخرج لمحاربة الاعداء مرات كثيرة بحيث يجعلهم غير قادرين على الثبات في حصر المدينة ومنهم من يقول انه ذو اهلية واختبار يعتني براحة رجاله و يحافظ عليهم والذي يمنعه عن الخروج بهم للقتال انما هو لانه كان يعلم أن خروجهم ينقص عددهم ولا ينفع البلاد• هذا ماقيل عن المرشال بازين ولا بد من تأخير الحكم القطعي بهذا الشان الى ان يصدر حكم المجلس الحربي الذى أقيم ليحاكمه (أنظر صفحة ٦٣) على ذلك فان الامة الفرنساوية أبت الا أن تفحص عن صحة التهمات التي وقعت على قائد عظيم من قواد جيوشها لتبرئه اذا كان بريئا وتعاقبه اذا كان مذنبا بحيث يكون عبرة لغيره من القواد

وفي أواسط ايلول (سبتمبر) أتى رجل فرنساوى اسمه دنيه من هستنز وهو المكان الذي كانت قد أقامت فيه الامبراطورة اوجيني امرأة الامبراطور نابوليون في انكلترا بعد ان هربت من فرنسا وطلب أن تسمح له بمقابلتها • وبما انها لم تكن تعرفه تمنعت عن اجابة طلبه فلم يحظ بمقابلتها على ان الرجل المذكور ترصد البرنس امبريال ابنها واجتمع به وهو يتمشى طلبا للتنزه وأخبره باسمه وأظهر له شدة تعلقه بالعائلة البونابارتية و بالغ في مودته واحترامه فسر بذلك البرنس حتي انه وهبه صورته





الجنرال بورباكي

بعد ان كتب عليها بخط يده . و بعد ان حصل عليها خرج من هستنز وسار الى أن وصل الى الجيش الالماني النازل في ظاهر متس وتمكن من الحصول على اذن ليدخل المدينة المحصورة فدخلها واجتمع بالمرشال بازين وقال له انه رسول الامبراطورة المذكورة وأتى بشهادة على ذلك صورة ابنها البرنس وخط يده عليها وانها أي الامبراطورة تحب أن يذهب اليها المرشال كانروبر او الجنرال بورباكي لانها تحب أن تبلغه أموراً مهمة تتوقف نتيجة الحرب عليها وان أهمية ذلك منعتها عن أن تخابره برسالة خوفا من وقوعها في أيدي الاعداء . فسار الجنرال بورباكي قاصدا انجلترا وكان يمر في وسط جيوش الاعداء وهو يظن أن المخاطر تحيط به من جميع الجهات مع ان ذلك حدث بمعرفة قائد الجيوش الالمانية . فلما وصل الى انجلترا بلغ الامبراطورة بأنه هرب من متس فاجتمعت به وقد تقرر انه عند ما أخبرها بما جرى قالت انه لا علم لها بذلك . وان الظاهر انه قد بات مخدوعا بحيل شريرة ذات مقاصد خبيثة . وقد قال آخرون ان ذلك لم يحدث كما تقرر فان الالمان سمحوا للجنرال بورباكي بأن يخرج من متس للقيام بمأمورية سرية متعلقة بصوالح الامبراطور نابوليون وانه لم ينجح فرجع . على انه ولئن كان قد وصل الى أسوار المدينة لم يدخلها فانه تبع الجمهورية وعرض عليها خدماته فقلدته قيادة جيش كانت قد جمعته في أثناء الحرب وهذه هي نهاية هذا الامر السرى الذى كان موضوعا لكلام كثير عند حدوثه ولا يزال موضوعا للتخمين . على انه من المؤكد ان الالمان كانوا يقولون انهم يحبون ان يعقدوا الصلح ولكنهم لم يكونوا يرتضون بعقده مالم يحصلوا على كل ما كانوا يرغبون فى الحصول عليه وان المسيو دنيه المذكور اجتمع بالبرنس بسمارك وقال له انه من الفرنسا وبين أصحاب الاملاك الذين يقطنون انجلترا وان كلامه مع البرنس بسمارك كان عن ترقية أسباب عقد الصلح وقد قال ان الامبراطورة المذكورة كانت قد فوضته باجراء المخابرة بهذا الشأن مع انها كانت قد هربت من بلادها وقطنت انجلترا فأجاب البرنس بسمارك المسيودنيه بما يأتي :

ياسيدي من يا ترى من الفرنساويين يقدر أن يخابرنا عن عقد الصلح أما نحن فقد غلبنا ولذلك قد صممنا على الانتفاع بما فزنا به بحيث نمنع فرنسا عن أن تحاربنا قبل مضي زمان طويل اذا لم نقل اننا نمنعها عن ذلك الى الابد ولذلك لابد من أن نصر على طلب بعض الاملاك الفرنساوية وعلى تغيير الحدود . ولا يخفى ان في فرنسا الآن حكومتين حكومة قانونية أي حكومة الامبراطور نابوليون وكان البرنس بسمارك يعدها الحكومة الاصولية لان الامبراطور لم يترك الملك ولكنه خلع عنه . والحكومة الاخرى الحكومة الموقتة (حكومة طور) وما دامتا على هذه الحال لا نقدر أن نخابر احداهما بخصوص عقد الصلح لان الامبراطورة أوجيني هي وكيلة الامبراطور القانونية وهي خارج فرنسا ولا تتداخل في الاعمال والحكومة الموقتة لاتقبل بان تعطينا أرضاً . ولكنها تطلب أن تستشير فرنسا . أما نحن فنقدر أن نصبر فان لنا في البلاد الفرنساوية أربعمائة ألف رجل وعند ما تسلم ميتس وغيرها من القلاع يصير عندنا فيها للقتال من خمسمائة الى ستمائة ألف جندي فيقدرون أن يصرفوا الشتاء فيها وعند ما نرى حكومة أصولية نخابرها بهذا الشأن ولا يلزم الآن أن نطلب ما نرغب الحصول عليه من الاراضي لان حكومة طور لا تقبل أن تسمع شيئاً عن اعطاء أراضي . وفي نفس ذلك اليوم اجتمع البرنس بسمارك بمسيو جول فافر وزير خارجية فرنسا فتكلما بخصوص عقد الصلح بدون الوصول الى نتيجة . وفي ٢٣ ايلول (سبتمبر) اجتمع المسيو دنيه المذكور بالمرشال بازين في ميتس فقيل له ان القلعة أي متس لا تقدر أن تثبت في الحصار الى ما بعد ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) وثباتها الى ذلك الوقت انما يكون باكل الجنود لحم الخيل ولذلك قال المرشال بازين انه مستعد ان يسلم اذا سمح له الالمان بأن يخرج من المدينة بجيشه ومدافعه ومهماته بشرط ان لا يحارب الالمان مرة أخرى . فأخبر المسيو دنيه البرنس بسمارك بذلك وعند ذلك بعث رسالة برقية الى المرشال بازين يسأله بها هل فوض المسيو دنيه أن يخابره عن التسليم فاجاب بازين بأنه لايقدر ان يجيبه بالايجاب . وهكذا انتهت هذه المداخلة

الغريبة وربما كان لم يخطر ببال أحد قبل موسيو دنيه أن يقيم مخابرة ذات أهمية حال كونه بلا مأمورية ومن الساكنين خارج بلادهم وقد قال أنه كان يتداخل من تلقاء نفسه وانه ولئن كان يقيم المخابرات باسم الامبراطورة فان ذلك بدون ارادتها ومن المؤكد انه كان يحب أن يرجع الامبراطورية النابوليونية لانه لو تمكن من ذلك لوصل الى درجة عالية من الرفعة والسطوة ·

أما الالمان فكانوا يعلمون انه لابد من أن تسلم متس بسبب الاحتياج الى الزاد وبما انهم كانوا يعرفون ان ميتس لا تؤخذ بالهجوم وانهم قادرون ان ينتظروا الى أن تسلم من الجوع أمرهم الملك غليوم بالامتناع عن اطلاق المدافع على المدينة اطلاقا يضر جداً بالمحصورين بدون أن ينفع المحاصرين ولذلك اكتفي باصدار الاوامر باقتراب الجيوش من أسوار المدينة لمنع الفرنساويين عن الخروج لحاجتهم · وكان من المنتظر أن يكون في ميتس من الزاد ما يكفي جيش بازين الذي كان عدده ١٨٠ ألفا مدة طويلة · على ان هذا الجيش اضطر أن يذبح أفراسه ليأكل لحمها وكان ابتداء ذلك في أواسط ايلول (سبتمبر) · أما الالمان فكانوا قد تمكنوا من الاقتراب من المدينة وكانوا يتسلون حيناً بعد حين باطلاق مدفع على المدينة المحصورة · وكان زادهم غالباً كافياً حتى الكفاية ولذلك كانوا معتصمين بالصبر الجميل يصرفون أوقاتهم بالسرور والتنعم بأموال أعدائهم فكانوا يقيمون الولائم ومآدب الرقص واجتماعات الغناء وغيرها هذا مع انهم كانوا عرضة لامراض كثيرة منها الاسهال والحمى · وكانت مدافع القلاع الفرنساوية تكدر حظهم في بعض الاحيان غير أنها كانت قليلة الفعل · وكان نزول الجيش الالماني في مكان قريب من الجيش الفرنساوي حتى ان كلا من الجيشين كان يسمع صوت الموسيقى التي كانت تصدح عند الجيش الآخر وكثيراً ما كان الضباط يقيمون السلام وهم في طليعة الجيش مثلا كان الضابط الالماني يرسل رسالة صغيرة مع جندي الماني فيذهب بها الى القرب من المكان الذي يكون فيه الضابط الفرنساوي

و يضعها تحت حجر وما آلها طلب قنينـة من الشامبانيا (وهو نوع من النبيذ المسكرر الفاخر) فيأتي الضابط الفرنساوي بالقنينة و يضعها في مكان مناسب مع رسالة أخرى مآلها طلب ملح من الضابط الالمانى لانه كان قد قل جداً في متس فيبعث اليه به وهكذا

أما مستر رو بنسون مكاتب جريدة المانشستر كارديان فالتزم أن يدخل مـدينة متس هو والجيش الفرنساوي الذي كان قد التجأ اليها بعدمعركة كرافلوت وهوالذي خطر له ببال أن يرسل مركبة هوائية من متس . فاخبر بذلك بعض الضباط فاستحسنوا رأيه وصار عمل المركبة الاولى في ٤ ايلول (سبتمبر) واشعلوا النار فيها بقش خفيف يابس لان الفحم كان قليلا ولذلك لم يقدروا ان يستخدموا الغاز فنجح العمل على ان المركبة الهوائية خربت فصنعوا غيرها ووضعوا فيها ثمانية آلاف تحرير وذلك في ١٥ ايلول (سبتمبر) وعلقوا خارجها تحريراً مآله ان الذي يجـدها يقبض مائة فرنك اذا أوصلها الى أقرب مركز البوسطة منه فسارت الى الجهة الجنوبية وكانت تقطع نحو ثلاثين ميلا في الساعة و بعـد ذلك صنعوا مركبات كثيرة كبيرة من منسوجات قطنية وكانوا يملأونها بالهواء بنافخ ضخمة وكان في المركبة الثانية ٤٥ ألف مكتوب غـير أن الالمان أطلقوا الرصاص عليها وأصابوها فسقطت بين عساكرهم فحجزوا المـكاتيب على ان غيرها من المركبات نجحت اكثر منها وأرسـلوا معها حمام بطاق ليحثوا معه أجوبة المـكاتيب على ان البروسيانيين تمـكنوا من الوصول الى المركبة وا كل الحمام ولذلك تمنعوا عن ارسال غيرها وفي ٣ تشرين الاول (اكتوبر) أرسلت المركبة الاخيرة وفيها أكثر من ١٥٠ ألف رسالة .

والظاهر ان المرشال بازين خابر القواد الالمان مرات كثيرة بخصوص التسليم . ففي أول الامر طلب اليهـم أن يسمحوا له بأن يخرج بجيشه خروج جيش غـير مسلم فرفضوا اجابة طلبه . و بعـد ذلك طلب أن يسمحوا له بأن يخرج بجيشه بلا أسلحة فاجابوه انهم لا يقبلون الا بان يسلم اليهم بدون شرط كما سلمت الجيوش في سيدان .

هذا ولا نقدر أن نقول انه لا ريب في انه خابر الالمان مخابرة سرية بخصوص أمور متعلقة بالتسليم وبالامبراطورية . هذا وقد تقرر انه تمكن ستمائة جندي من الفرنساويين من أن يهربوا من متس في اثناء الحصار وانهم كانوا يختبؤن في الاحراش لئلا يراهم الالمان ثم يسيرون الى ميزير وعند ما بلغ هذا الخبر باريز ظن القوم ان بازين تمكن من الفرار . وفي ٧ ايلول (سبتمبر) بلغ متس خبر تسليم سيدان فكذبوا ذلك في أول الامر . على انه في ١١ من الشهر المذكور أدخلت جريدة المانية سرا الى المدينة وانتشرت كل الاخبار المتعلقة بكيفية تسليم سيدان وغير ذلك من الحوادث المكدرة التي كانت قد جرت . ومع ذلك كان الجنود يترددون عن تصديق الخبر مع انهم تمكنوا من قراءة تلك الاخبار في جريدة فرنساوية بعد ذلك بأيام قليلة . على انه لم تطل هذه الحال فان المحصورين رأوا من البراهين ما اكد لهم ذلك ولما سمعوا باقامة الجمهورية اشتد اضطرابهم فان الذين يحبون الجمهورية انفصلوا عن غيرهم وقد قال مستر روبنسون المذكور ان كل جيش بازين تبع الجمهورية خلا جنود الحرس الامبراطوري ولم يسر بازين بنشر خبر اقامة الجمهورية بين الجنود والاهالي لانه من المتحزبين كل التحزب للامبراطورية .

وعند ذلك نشر المرشال بازين اعلانا على جيوشه وبين لهم فيه التغيرات التي كانت قد حدثت وقال في ختامه يا قواد جيوش الرين وضباطها وجنودها ان واجباتنا تجاه وطننا الذي بات في خطر لا تزال على ما كانت عليه ولذلك من واجباتنا أن نخدمه بامانة وان نجتهد في طرد الاعداء منه وفي مضادة الاميال الشريرة بنظام الهيئة الاجتماعية . هذا ومن المؤكد عندي ان ما أظهرتموه من حسن السلوك سيتغلب على صعوبة الاحوال فتزيدون مجد فرنسا . اه

هذا ولم يأت هذا الاعلان بالمرغوب ولذلك كثرت الاحزاب في المدينة وكان بعضها يضاد البعض الآخر . وكان أهل متس مغتاظين لان بازين لم يبادر الى خرق

صفوف الاعداء بجيشه بحيث يتمكن من الرجوع الى البلاد وكانوا يعتقدون بأنه قادر على ذلك بواسطة القوة التي كانت تحت قيادته . والظاهر من كتاب مستر روبنسون انه كان يعتقد اعتقادهم بهذا الشأن . وكان الجنود والاهالي في ميتس يظنون ان الجيش الذي كان يحاصرهم هو أقل مما هو بالفعل . هذا ومع ان الظاهر ان بازين كان يفعل ما يجلب عليه اللوم وانه كان قادراً أن يكدر الالمان أكثر مما كدرهم المرجح ان كثرة عدد جيش المحاصرين كان يمنعه عن التمكن من خرق صفوفهم ومع ذلك خرج الفرنساويون مرات كثيرة من متس وقاتلوا الاعداء قتالا شديداً وبما ان الالمان كانوا لا يعرفون الزمان الذى كان الفرنساويون يقصدون أن يهاجموهم فيه كانوا يلتزمون أن يبقوا على حذر بلا انقطاع حتى انهم التزموا أن يصرفوا ٣٦ ساعة وهم متقلدون الاسلحة بدون أن يرتاحوا أوقاتا قصيرة جداً للاكل والنوم . واشد تلك المهاجمات تأثيراً المهاجمة التي جرت في ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) فان الفرنساويين هجموا بغتة على تيونفيل الواقعة في الجهة الشمالية من متس وتظاهروا بانهم عازمون على مهاجمة مرسي لوهو في الجهة الجنوبية الشرقية وكانت قلعة كيلين تطلق المدافع بلا انقطاع على الحاجز الالماني في كاومبي . وبعد ان قاتل الفرنساويون قتالاً شديداً جداً تقهقروا الى الوراء بعد ان قتل كثيرون منهم ومع ذلك جددوا المهاجمة في اليوم الثانى وساروا الى جهة لا كرانج او بوا وهي قرية واقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من متس وكانوا يسيرون ومدافع قلعة كيلين تدافع عنهم . أما الالمان فتمكنوا بواسطة الجواسيس من أن يقفوا على مقاصد الفرنساويين وقوفاً واضحاً وبناء على ذلك أقاموا الجنود في المراكز الموافقة وأقاموا الحواجز التي منعت هي والاحراش المجاورة الفرنساويين عن أن يتمكنوا من اقامة الحركات الحربية اللازمة وبعد ان تقابل الجيشان هجمت فرقة من الالمان عددها أكثر من عدد المهجوم عليهم ومراكزها حسنة وأطلقت السلاح على الفرنساويين باتصال مهلك فالتزموا أن



الجنرال شانزي

ص ١٨٥

يتقهقروا ولم يتمكن الالمان من أن يطاردوهم لان مدافع القلاع كانت تصادمهم ولذلك رجع الفرنساويون الى المدينة بدون أن يقعوا في ارتباك و بدون أن يقتل كثيرون منهم • ولم يقتل من الالمان غير جندي واحد وجرح ١٥ · وفي ٢٤ من الشهر المذكور خرج الفرنساويون بنشاط لا مزيد عليه وجددوا المهاجمة وكانت مدافعهم تسعف المشاة الذين كانوا يتقدمون بترتيب صفوفا كثيرة · وكان الالمان قد عرفوا بواسطة السلك البرقي نوايا الفرنساويين المتعلقة بالمهاجمة وجمعوا جيوشا كثيرة في الاحراش التي كانت تسترهم ومع ذلك كانت قلاع كيلين الفرنساوية تطلق عليهم المدافع · و بعد ذلك بمدة قصيرة أخذت قلعة لابوت في اطلاقها ثم ابتدأت المدافع الراشة المخيفة ان تطلق كراتها على الاحراش المذكورة · فقتل كثيرون من الالمان وكذلك من الفرنساويين و بعد ذلك ببرهة قصيرة عرف الالمان ان الفرنساويين كانوا يخدعونهم في ذلك فان قصدهم الصحيح هو أن يسيروا الى جهة تيونفيل تحت قيادة المارشال بازين نفسه وكان الالمان يتقهقرون من جميع الجهات على انهم تمكنوا من الرجوع الى مواقفهم بعد الغروب ببرهة قصيرة ومن ارجاع الفرنساويين الى جهة المدينة · فتقهقر الالمان في احدى الجهات ليخدعوا الفرنساويين وجروهم من مواقفهم ثم طبقوا عليهم من كل الجهات وأحاطوا بهم وسلبوا زادهم وأسروا سبعمائة منهم • وحاول الالمان أن يخدعوهم مرة ثانية مقابل متس ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك لان الاختبار كان قد علمهم وجوب مجانبة الوقوع في مثل ذلك وهكذا تمكنت بقية الجيش من الرجوع الى القلاع في متس

وفي اليوم الثاني الواقع في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) فحص المرشال بازين الحرس الوطني والفرسان المتطوعين في المحل المسمى بلاس دارم من متس وفي ٢٧ منه أرسل بضع فرق من المشاة ومعهم مدافع عادية وراشة في مركبة بخارية عن طريق ساربروك الى جهة كريبي · فاسروا منها ١٢٠ بروسيانياً ولكن بما انه لم يكن لهم ما يمكنهم من

المحافظة على الاسرى أخذوا بنادقهم وأطلقوا سبيلهم ثم هاجموا ديراً كان قد فتحه الالمان وقتلوا كثيرين من الذين دافعوا عنه وأخذوا قطعاناً كثيرة من الثيران والابقار والغنم وكميات وافرة من السكر والقهوة والتبن والعشب اليابس وغيرها ثم رجعوا في المركبة البخارية الى متس وفي ذلك اليوم بعد الظهر خرج قوم من الفرنساويين بمركبات فارغة وكانت مدافع قلعة سان جوليان تحامي عنهم وكبسوا طليعة الالمانيين في كولومبي وملأوا مركباتهم وعددها ٣٦ مركبة بالفحم الذي أخذوه من مخازن البروسيانيين وساروا راجعين غير ان البروسيانيين أخذوا يطلقون المدافع عليهم وألزموهم أن يتركوا كثيرا من المركبات المذكورة في الطريق ومع ذلك تمكنوا من ادخال ١٤ مركبة الى متس . وفي نفس ذلك النهار خرجت فرقة ٦٠ و٩٠ من الجيش الفرنساوي تحت قيادة الجنرال ونتورون وهاجموا مرسى لوهو غير ان الالمان صادموهم مصادمة شديدة فانهم ثقبوا بيتاً كبيرا وأخذوا يطلقون البنادق على الفرنساويين منه ولما رأوا انهم لا يقدرون أن يصعدوا اليه لان السلم ضيق حذوا حذو البافاريين في بازيل باحراق البيت واطلاق البنادق بدون رحمة على جميع الذين كانوا يحاولون الهرب من نوافذه على انه لم يكن فيه نساء وأولاد ومع ذلك لا نقدر الا أن نقول ان وجودهم فيه هو من الصدف ولذلك لا نعذرهم في ما فعلوا وفي ذلك اليوم هاجم الفرنساويون الالمان في ماكس ولادوشاف في عبر الموزل ولكن بدون نتيجة حسنة لهم فهذه هي أعظم المهاجمات التي أقامها الجيش الفرنساوي وهو محصور في ميتس . واذا نظرنا اليها نظراً اجمالياً نقول انها من أكبر حروب فرنسا نجاحاً في تلك الحرب .

وبعد حرق ذلك البيت الى نهاية الحصار كان الالمان المحاصرون يحرقون في اكثر الايام قرية أو بيتاً من بيوت الفلاحين وكذلك كان الفرنساويون لا يتجنبون تلك الافعال القبيحة غير ان ظروفهم لم تمكنهم مما مكنت منه الالمان ظروفهم . ويقولون ان من مصلحتهم لمنع اضرار مهاجمات أعدائهم تدمير كل الاماكن التي تمكن

الفرنساويين من الالتجاء اليها وكانوا يجعلون ذلك عذرهم في حرق القرى والبيوت . ومن الاعمال الوحشية التي جرت في تلك الاثناء اطلاق الرصاص على الحراس وهم يقومون بواجباتهم الخصوصية وتجاوز الفريقان حدود الاعتدال في ذلك حتى انهما التزما أن يتفقا على منعه . وقد قال الالمان أن الفرنساويين نكثوا حالاً بعهودهم من هذا القبيل فاجاب الفرنساويون انهم لم يشرعوا في ذلك الا بعد أن نشر الاعلان البروسياني الوحشي بخصوص جواز قتل الجنود المعروفين بالفرانتيرور بدون رحمة باطلاق الرصاص لأنهم اعتبروهم من الخائنين . أما الفرانتيرور فهم من المتطوعين الذين يقدرون أن يحاموا عن وطنهم بحروب غير منتظمة فاغتاظوا جداً هم وكل الامة الفرنساوية لان الالمان سوغوا قتل رجال اجتمعوا للدفاع عن وطنهم وتخليصه من يد الاعداء كانهم قطاع طرق لا يستحقون الرحمة . وفي أثناء الحصار صار القاء القبض على جواسيس كثيرين في متس ومنهم من ألقي القبض عليهم بمجرد وقوع الشبهة عليهم على أنهم جميعاً كانوا يصادفون بئس المعاملة ولولا مداخلات الجنود لمزقهم الاهالي أرباً أرباً قبل أن يعرفوا هل هم بالحقيقة جواسيس أولا : وقد قال مستر روبنسون ان الالمان تمكنوا من اقامة خدمة منظمة من الجواسيس في متس وكانوا يعرفون كل يوم ما كان يحدث فيها بواسطتهم ومن هؤلاء الجواسيس رجل اسمه نقولاشل وهو مجري ومن عائلة كريمة وكان ذا معارف على انه كان بلا مبادىء ولا أداب لانه كان جاسوساً للفريقين أي للالمان وللفرنساويين وكان يأخذ أجرة من الفريقين وعند ما ألقي القبض عليه وجد في جيبه ألف فرنك فحاكموه امام مجلس حربي فحكم عليه بالقتل فقتلوه .

وعند ما شاع في متس خبر سقوط الامبراطورية وقع الاضطراب بين الذين كانوا يدافعون عنها حتى انه أثر في نفس الحرس الامبراطوري . فان الطعام قد قل فكانت كل العامة تلتزم أن تكتفي باكل قليل من لحم الخيل والخبز ولم يتمكن الاغنياء من الحصول على غير ذلك كالسمك والطيور الا بدفع أثمان مرتفعة جداً . وفي ١٢ تشرين أول (اكتوبر)

هاجم الالمان الفرنساويين بصفين من المدافع فدافعوا عن أنفسهم في أول الامر ببسالة ونشاط و بعد ذلك ارتدوا والتجأوا الى قلعة سان جوليان التي أطلقت مدافعها على الالمان الذين كانوا يتبعون الفرنساويين و بعد ذلك لم يحدث الا معارك صغيرة جداً لم يكن لها من النتائج غير تشغيل بعض الجنود . ومع ان الفرنساويين كانوا يداومون اطلاق المدافع على المحاصرين ليمنعوهم عن اقامة الحواجز وحفر الخنادق وغير ذلك تمكنوا من اقامة حواجز حول المدينة من التراب ومن أن يضعوا على كل حاجز عشرة مدافع وحولها خنادق لتستتر فيها الجنود عند اطلاق البنادق . و بعد ذلك انشأوا منازل للشتاء ثم أخذت الامراض تقل عندهم .

وكان الالمان يحبون أن يروا كل ما كان يجري في المدينة ولذلك أقاموا برجاً مرتفعاً للمراقبة وذلك على تل مرتفع بالقرب من كورني في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة واسم هذا التل سان بلز وأقاموا فيه حراساً من الضباط لينظروا الى المدينة بنظارة مكبرة بدون انقطاع . أما الجنود الفرنساوية فكانت قد باتت بلا نظام ولذلك كان كثيرون منها يتركون العسكرية و يأتون جيوش الاعداء . ففي أول الامر قابل الالمان بعض تلك الجنود مقابلة حسنة ليتمكنوا بواسطتهم من الوقوف علي حالة الجيش المحصور وكمية زاده . على انهم بعد ذلك بمدة ظنوا ان مصدر ذلك انما هو بازين فانه لما رأى انه لا يقدر ان يرفع الحصار عن المدينة بالقوة جعل جنوده يذهبون الى الاعداء ليقلل عددهم في متس و يصير قادراً على أن يطيل زمان الحصر لانه مادام عدد جيشه كثيراً لا يقدر أن يثبت بسبب الاحتياج الى الزاد ولذلك كان الالمان يرجعونهم و يقولون لهم انهم اذا أبطأوا بالرجوع يطلقون الرصاص عليهم . وقد قيل ان كثيرين من الضباط الفرنساويين كانوا يعرضون أنفسهم للاسر ليقعوا في أيدي الالمان وينجوا من الحصر ومن الاحتياج الى مايقوم باودهم حق القيام . وفي ذات يوم خرج جمهور غفير من أهالي متس رجالا ونساء وأولادا وساروا قاصدين جيش الالمان بعد أن رفعوا منديلاً أبيض

على عمود صغير من خشب وذلك عبارة عن راية السلام . أما الذي كان حاملا هذه الراية فكان يسير في مقدمة طليعة القوم فاطلق الرصاص عليه فمات . فلما رأى الباقون ذلك خافوا خوفًا لا مزيد عليه ووقفوا فاخذ الالمان يطلقون الرصاص باتصال فوق رؤوسهم وعند ذلك رجعوا خلا امرأة واحدة فانها كانت تسير الى جهة الالمان على انها لما رأت انها باتت وحدها أدبرت ورجعت الى المدينة مع قومها . هذا ولا يخفى انه مامن أحد يعتقد بان الالمان يسمحون لالوف من أهالي متس أن يخرجوا منها حال كونهم يحاولون فتحها باحتياج أهاليها الى الزاد .

و بعد ان مضى شهر تشرين الثاني (نوفمبر) اشتد الجوع في ميتس وكان الاهالي يرون في كل يوم مايبين لهم قرب زمان التسليم . فانه كانت قد فرغت ما كل الافراس القليلة الباقية واشتد جوعها حتى ان ذبحها اسد جوع الجنود كان رحمة لها . ومع ذلك كانت جرائد متس تجتهد في أن تشدد عزم الاهالي بنشر اخبار كاذبة على انه ربما كانت تلك الاخبار من الاشاعات التي كثيرا ما تشيع في المدن المحصورة فكانت تقول ان الحكومة الفرنساوية قد هيأت زادا كثيرا جدا لترسله الى المحلات المحتاجة اليه فان الامة كلها قد نهضت بنشاط وعزم لتطرد المهاجمين وانه لا بد من ان تتمكن من ادخال مايكفيهم من ذلك الزاد الكثير الى مدينتهم وان الالمان لايتجاسرون ان يسيروا في فرنسا الا في الليل فان الجنود الغير المنظمة (فران تيرون) كانت تقتلهم أقواما أقواما وهم يحاولون الوصول الى بلادهم من طرق جبال الفوج وان دون ذلك صعوبات كثيرة فان الطرق الحديدية الواقعة بين فرنسا والمانيا باتت مقطوعة . وكان اكثر الاهالي يعتقد بهذه الاخبار والمظنون ان كثيرين من الذين كانوا ينشرونها في الجرائد كانوا يعتقدون بها . على انه كان قد ضعف أمل أكثرية الجنود والاهالي حتى ان الظاهر ان الجميع باتوا يرتابون بامانة المرشال بازين وكانوا يحتقرونه خلا قليلين من الذين كان يلتفت اليهم التفاتا مخصوصا وكانوا يعضدونه لانه كانت لهم صوالح في ذلك . فانه

قيل انه كان يعيش في مدة الحصر عيشة راحة وتنعم فانه كان متنحياً عن الجيش و يصرف الزمان بالتدخين و بلعب الورق والبلياردو مع اصدقائه الاخصاء بدون أن يحاول تنشيط وتعزية الجنود الذين كانوا تحت قيادته حتى انهم قلما كانوا ينظرونه وكان حيناً بعد حين يبعث برسل الى معسكر المحاصرين وكان القوم يظنون انه كان يرسلهم ليخابروا الاعداء في أمر التسليم وكان ذلك موضوع بحث الاهالي والجنود . وقد قيل انه كان يتجنب الذهاب الى المستشفيات التي كانت جنوده المجروحة والمريضة ملقاة فيها .

أما المجلس الحربي الاول الذي اجتمع في متس و بحث جهاراً عن التسليم فكان اجتماعه في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) على انه لم يتقرر شيء فيه . وكان لا يزال القوم ينشرون أخباراً كاذبة عن نجاح الفرنسويين في محاربة الالمان . وكانوا يسألون بازين عن صحتها فكان يقول انه لم يرد اليه ما يثبت صحة تلك الاخبار . وكان يقول للجنود انه مامن سبب يحمله على كتم ما يبلغه عن نجاح فرنسا وتأخرها على انه من واجباتهم أن يقطعوا النظر عن كل شيء متعلق بذلك وان يوجهوا عنايتهم الى شيء واحد ذي أهمية وهو تخليص البلاد . فلم يرض ذلك القوم . ومع اننا نعلم ان لبازين أغلاطاً كثيرة نقول انه بات في الظروف التي يبيت فيها كل من يكون متقلداً منصباً عالياً في فرنسا في أوقات الضيق أي ان الذين يكونون في تلك الظروف يبيتون هدفاً لسهام لوم اقوام من احزاب مختلفة لكل منهم غايات دنيئة طفيفة يجعلونها في المحل الاول ويتركون الامور المهمة في المحل الثاني ولذلك يبيت غير قادر ان ينفذ آراءه اذا كانت مصيبة أو مخطئة ولا ان يرضي أحداً . وكان ذلك شأن أهالي متس وهو ديدن الفرنساويين في ظروف كتلك الظروف التي كثيراً ما أوقعت بلادهم في ويل باتت تكاد لا تقدر ان تخرج منه .

وفي ١٢ من الشهر المذكور اجتمع جمهور غفير في الشوارع امام أوتل دي فيل حال كون المجلس البلدي كان مجتمعاً فيه . فطلب الاهالي الى حاكم المدينة ان

يطلب الى المرشال بازين ان يسلمهم المدينة والحصون وان ينضم الحرس الوطني الى حراس القلاع • فوعدهم بانه سيتبصر في الامر بكل جهده • •

و بناء على ذلك انفض ذلك الاجتماع • وفي ١٢ منه كادت الاحوال تبلغ درجة نهائية فان عمدة من جنود الحرس الوطني اخبرت الجنرال كوفنير ان المدينة في اضطراب شديد لانه قد شاع ان بازين شرع في أن يخابر الالمان ليسلم القلعة لهم • فاجاب انه من الواجب أن يتعود الاهالي استماع خبر التسليم بدون ان يضطربوا فانه قدفرغ أكثر الزاد ولم يبق الا مايكفيهم ثلاثة أيام • وعند ذلك اشتد هيجانهم وأظهر الاهالي مايدل على عدم ارتضائهم بذلك و بعد ان خيم الليل قرأ حاكم المدينة الخطاب الآتي وسلمه الى الجنرال المذكور :

أيها الجنرال • ان مافعله ضباط جنود الحرس الوطني هو نتيجة تصميمهم على ان يدافعوا بنشاط عن متس • ولذلك يقدر الحراس الذين يدافعون عن القلاع ان يستندوا الى حمية قوم من أهل الثبات والنشاط عند مايرون لزوماً لذلك • ولاريب في ان اجتهادات الحرس الوطني بالاتحاد مع حراس القلاع تحمي الى النهاية أعظم قلعة فرنساوية وشرف متس فانهما مما نعده عزيزاً • هذا وان المجلس البلدي بالنيابة عن الاهالي لايقدر ان يمتنع عن ان يظهر كدره وتعجبه من جراء تأخركم الى اليوم عن اظهار قرب فراغ الزاد • اما الاهالي فيحتملون بنشاط نتيجة ذلك غير انهم لايقبلون مسئولية حالة لم يصر تبليغهم قرب وصولهم اليها • وبناء على ذلك نطلب اليك ان تبلغ ذلك الى المرشال جاعلين ختام كلامنا : فلتعش فرنسا •

وكان القوم راغبين في ان يدافعوا عن متس الى النهاية وان يتمنعوا عن التسليم مادامو قادرين ان يتمنعوا عنه • على ان ذلك كان ميلاً فقط فان المحرك الاول لذلك هو الافتخار الباطل لان جنود بازين وأهالى متس كانوا قد باتوا في حالة لا يقدرون وهم فيها ان يدفعوا جنود الالمان المنظمة والحاصلة على جميع أسباب الراحة وعلى زاد

كاف . وفي ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) قرأ الجنرال كونفنير جوابه وقال فيه انه يثني على الاهالي الذين قالوا انهم مستعدون أن ينضموا الى الجنود ليدافعوا عن القلعة وان ذلك الانضمام لا يكون ذا نتائج حسنة مالم يمتنعوا عن كل التحزبات والقلاقل والتظاهر بما يضر بالراحة العمومية . وانه من واجباتهم مهما كانت اغراضهم السياسية ان يتبعوا الحكومة الفرنساوية الموقتة و يجعلوا نصب أعينهم غاية واحدة موضوعها « فلتعش فرنسا » وليس غير ذلك . اما عدم تبليغ الاهالى قرب نفوذ الزاد فلا يعتذر عنه غير انه يقول انهم يعلمون ان وجود مايقوم باود الجيش كان من أصعب الامور وان الذين كانوا قائدين الجيش افرغوا جهدهم في ذلك وانه لا يسوغ لهم ان يوبخوهم على شيء لم يكونوا قادرين ان يمنعوا حدوثه وعلى الخصوص بعد ان يكون قد حدث ماقد حدث بحيث لا يفيد التوبيخ وكان الجنرال بوير الفرنساوي قد ذهب ليخابر البرنس بسمارك من قبل المرشال بازين فرجع الى المدينة حاملاً اخباراً مخيفة عن البلاد الفرنساوية واخبر القوم بان بسمارك قال له انني قد دخلت فرنسا بمليون وثلاثمائة ألف جندي ولذلك لا اعقد صلحا الامع وكيل قانوني فاذا شئتم أن تجعلوا بازين وكيلاً فاجعلوه لانني لا اعقد صلحاً مالم يتم ذلك بيني وبين وكيل . انتهى .

فلما سمع القوم فى ميتس ذلك صرخ بعضهم فليعش بازين . وقال البعض انهم لا يصدقون ذلك الخبر لانه لا يمكن أن تبيت فرنسا في تلك الحالة المهلكة فطلبوا برهانا على صدق ذلك الخبر فعجز المخبر عن تقديمه . أما المرشال بازين فكان يخاف أن يقيم الجنود الذين باتوا في تلك الحال ثورة ولذلك جعلهم يؤملون بقرب اقامة مهاجمة عظيمة عمومية علي المحاصرين . ولم ينفك الجنود عن الاعتقاد بانهم سيهاجمونهم الا في ٢٥ من الشهر المذكور فانه في ٢٤ منه كان قد تقرر في مجلس حربي وجوب التسليم ولذلك قطع الذين في يدهم زمام الامور الامل من المدافعة خلا الجنرال كوفنير فانه كان يرغب في أن يحاول خرق الصفوف الالمانية وان ينجو بالجيش بعد أن يكون قد

ترك في متس حرساً يقدرون أن يمنعوا الالمان عن فتحها عنوة . وفي ٢٥ منه أخبر المرشال بازين المجلس الحربي ان الامبراطورة كانت قد أخبرته بواسطة الجنرال بويه انها لا تقبل الوكالة وان البرنس بسمارك لم يرتض بان يعامل الجيش معاملة تختلف عن معاملة المدينة ولذلك لا سبيل للنجاة الا بالتسليم . وبناء على ذلك صار ارسال الجنرال سسي ليجمع قواد الجيشين فيتخابروا بامر واحد وهو هل تخرج الجنود الفرنساوية خروجاً لا يضر بناموسها أولا . فاجتمعوا في فرسكاتي وهو قصر يبعد عن متس ثلاثة أميال في الجهة الجنوبية فالذين اجتمعوا بالقواد الفرنساويين من القواد الالمان هم الجنرال اشتيكل والكولونل فون هرسنرك فاول رئيس أركان حرب البرنس فردريك والثاني جنرال المعسكر . ودامت المخابرة الى اليوم الثاني وكانت المفاوضة حادة فان القواد الفرنساويين أصروا على ان يصير السماح للضباط الفرنساويين بان يبقوا متقلدين أسلحة الوسط أي السيف وغيره مما يتقلده الجندي عند وسطه فخابروا بهذا الشأن ملك بروسيا برسالة برقية فاجاب بالايجاب برسالة جوابية وردت في ٢٧ من الشهر المذكور بعد الظهر بثلاث ساعات . ودامت المباحثة ذلك اليوم بطوله وفي نهايته تقررت عهود وأمضيت عن تسليم متس وحصونها ومهماتها وزادها وكل الجيش المقيم فيها مع حراسها وثلاثة من المرشالية وهم المرشال بازين والمارشال كانروبر والمارشال لوبوف و٦٦ جنرالا . واكثر من ستة آلاف من الضباط و١٧٣ ألف رجل وأربعمائة مدفع ومائة من المدافع الرشاشة و٣٥ راية . وتقرر في الشروط ان يصير خروج الجنود الفرنساوية من متس فرقاً مرتبة بدون سلاح وان تسير الى المكان الذي يعينه الالمان . وانه عند الوصول الى ذلك المكان يسوغ للضباط أن يرجعوا الى متس أو الى حواجزها اذا تعهدوا بانهم لا يخرجون منها الا باذن من القائد الالماني خطاً . وانه يبقى للجنود آنية الطبخ والملابس . وان القواد الذين يتعهدون كتابة بأنهم لا يحاربون المانيا في هذه الحرب ولا يهيجون القوم عليها يصير السماح لهم بان يذهبوا حيثما أرادوا باسلحتهم وذلك لانهم قاتلوا بشجاعة وبسالة وان الاطباء الفرنساويين

سيبقون في متس ليطببوا الجرحى وأن تصير معاملتهم كأنهم من الاطباء الالمان . وانه سيصير تحديد ما يتعلق بحقوق متس التجارية وصوالح الذين لم يشتركوا بالحرب بعد التسليم . وانه اذا وقع خلاف في تفسير شيء من تلك الشروط المعقودة يصير تفسيرها تفسيرا مناسبا للفرنساويين . و بعد ذلك نشر المرشال بازين اعلانا مآله انه بات هو وجيشه فريسة للجوع ولذلك لا بد من التسليم بدون اجراء مايلحق به و بجيشه عاراً فانهم فعلوا كلما يقدر البشر أن يفعلوه وان المأمول ان بعض الجنود يعامل بعضها الآخر بلطف محترمة الشروط المقررة وانه قد بات مدهشاً مما شاهده من بسالتهم وشجاعتهم وان انفصاله عنهم انما يكون بقلب حزين .

فاستلم الالمان متس في ٢٩ من الشهر المذكور قبل الظهر بساعتين ودخل القلاع جنود المدافع الذين هم من الجيش السابع البروسياني . و بعد الظهر بساعة خرج جيش الحرس الامبراطوري الفرنساوي فقابله المنتصرون بصمت يدل على اعتبارهم له . هذا ومن المعلوم ان فتح متس هو اتمام تقهقر فرنسا في تلك الحرب فانه كان معلوما انه لا بد ان تسلم باريز اذا حصرت مدة بسبب الاحتياج الى الزاد . وكان الالمان وأوربا يعرفون ذلك و يقطعون النظر عن كلام الفرنساويين الذين كانوا يقولون بافتخار انهم مصممون على أن يقاتلوا الى أن يهلكوا عن آخرهم . لانه مامن أحد ينتظر ان تثبت عاصمة فيها اكثر من مليون من الاهالى في الدفاع الى أن يموت أهلها جوعاً . ولذلك نقول ان كبر المدينة وكثرة أهاليها هما مما يجعلها غير قادرة على الثبات في الحصار . أما متس فكانت قلعة فرنسا العظيمة . فان أهاليها قليلون جداً بالنسبة الى الجنود الذين كانوا فيها ليذبوا عنها ولا يخفى ان الفرنساويين الذين كانوا يقدرون أن يحكموا بحقيقة الحال كانوا يقولون انه اذا لم تتمكن متس من الثبات مع انها أقوى قلعة في فرنسا وفيها أحسن الجنود الفرنساويين وأعرفهم بفنون الحرب ومن كسر المحاصرين ورفع الحصار عن أنفسهم تبيت فرنسا مغلوبة غلبة تامة . ومن المعلوم ان الخسارة التي وقعت على

فرنسا بتسليمها كانت أعظم من خسارة سيدان فان الفرنساويين خسروا في سيدان خدمة ٩٥ ألف جندي وهم الذين أسرهم الالمان وأرسلوهم الى بلادهم ، أما في متس فكانت الخسارة ١٨٠ ألف جندي منهم الحرس الأمبراطوري والجيش الثاني والثالث والرابع والسادس التي كانت تحت قيادة الجنرال فرواسار والجنرال ديكيين والجنرال لادميرول والمرشال كانوبر ٠ وقد قال كاتب الماني انه بفتح متس رجعت أملاك ألمانيا القديمة التي كانت بيد فرنسا الى أصحابها فان الملك غليوم كان قد صمم على ارجاعها فان متس التي كانت تحمي الالزاس واللورين أقوى قلعة في جهة الموزل٠ والصحيح ان البلاد التي تستلم متس تحصل على الاسبقية في القوة عند الحدود فانها تصير أقوى من الاخرى ٠ وفي الساعة الرابعة بعد الظهر من النهار المذكور تبدل الحراس الفرنساويون الذين كانوا واقفين عند الابواب والمخازن وغيرها بحراس المانيين ٠ والجنرال فون زاسترو قائد الجيش السابع الالماني حل في المدينة والقلعة وأقام فيها كحاكمها العسكري وكان البرنس فردريك شارل الساكسوني قد تكرم بان يسمح للفرنساويين بان يخرجوا من القلعة حاملين أسلحتهم وان يلقوها على مرأى من الالمان عوضاً عن ان يخرجوا من القلعة بلا سلاح ٠ على ان المرشال بازين لم يقبل بذلك وقال انه لا يكون مسؤولا بتصرف جنوده اذا خرجوا بسلاحهم ورأوا أنفسهم مقابل أعدائهم فانه كان قد وقع خلل عظيم في نظام كل الجيش خلا الحرس الامبراطوري ولذلك لم يخرج غير صفوفه الباسلة والحسنة جداً متقلدة الاسلحة وتركوها في بسكاتي وهم مارون امام البرنس فردريك شارل ٠

هذا وقد قيل ان كل الجنود الفرنساوية خلا الحرس الامبراطوري كانت قد أمست بلا ترتيب و بلا نظام حتى ان كثيرين منهم خرجوا من القلعة وهم سكارى حتى انهم باتوا كالوحوش وثيابهم بلا ترتيب غير مبالين بظهور ما يخل بالادب ظهوره من أجسادهم ولا بالمصائب التي قد حلت ببلادهم وكان يظهر للناظرين انهم كانوا

يبالون بامر واحد وهو الجصول على الاكل والمسكرات • وكثيراً ما كانوا يشرعون في أن يغنوا أغنيات سكر ويصرخون صراخ السرور عندما كان قوادهم يامرونهم بالمحافظة على ترتيب صفوفهم • فاحتقرهم الالمان بقدر ما اعتبروا جنود الحرس الامبراطوري

وقد تقرر انه في مساء يوم التسليم أي قبله بليلة كانت المدينة في اضطراب دائم فان الاهالي كانوا يتكلمون عن قوانين الحرب التي كانت تحكم بالقتل بعد التنزيل عن الرتبة على كل قائد قلعة لا يلزم العدو أن يقوم بجميع أصول الحصر التي لا تتم الا في زمان طويل بدون أن يدفع العدو عن مكان هاجمه فيه • وكان الاهالي يكتبون هذا البند من القوانين وفي صباح يوم التسليم علقوها على الحيطان وكتبوا تحتها الموت للخائن الموت لبازين • وكتب البعض لكوفنير • ولولم يكن حول بازين حراس كثيرون لقتله الاهالي • ونشرت بعض الجرائد في ذلك اليوم وحولها خط عريض أسود علامة للحزن وفي صدرها جمل مآلها ان التسليم تم بالخيانة وتحزبت بعض الفرق للاهالي وعزمت على أن تهاجم الاعداء مهاجمة يأس في الدقيقة الاخيرة غير ان بازين عرف ذلك وأخذ سلاح الفرق التي كان يخافها • ومن المعلوم انه قد أصاب بذلك ان كان خائنا أو غير خائن لان نتيجة هجوم كذلك الهجوم رديئة على الفرنساويين لان الالمان كانوا أقوياء جدا وترتيبهم متقن • ومع ان التسليم تقرر تمكن نحو ألف ضابط من الفرار ونجوا من الاسر وحاربوا في أماكن أخرى • وأطلق الرصاص ثلاث مرات على الجنرال كوفنير ولو صادفه الاهالي المهيجون والجنود الذين تحزبوا لهم لحدثت معركة هائلة • وركب رجل حصانا وأخذ يجول في الاسواق ويحرض الاهالي على القتال وهو يطلق غدارة وكذلك ركبت فتاة وسارت وفي يدها غدارة وكانت تحثهم على الانتقام غير ان أهالي متس على جانب من الرزانة فلم يلتفتوا الى ذلك بل نظروا اليه بعين الاحتقار مع انه لوحدث ذلك في باريز لاحدث هيجانا وقال القوم انه دليل حب الوطن والبسالة وظن القوم انه بعد استيلاء الالمان على المدينة يسيئون معاملة الاهالي على انه جرت

علاقات حسنة بين الفريقين بعد ان رأى الاهالي ان الجنود الالمانية اعطت الجنود الفرنساويين تعييناتهم من الخبز • وتعزي الاهالي عند ماعرفوا ان في كورسل ألف مركبة فيها زاد لسد احتياجاتهم وان في لوندرا نقوداً مجموعة لمساعدتهم • فانه ولئن كان الاهالي وجنود الحرس الامبراطوري راغبين في مداومة الدفاع كان الزاد يكاد ينفد اما عدد الذين قتلوا وماتوا من الجيش الفرنساوي من ١٨ آب (اغسطس) الى يوم التسليم فكان نحو ١٢ ألف رجل. واما الخراب الذي لحق بالاماكن المجاورة لمتس فكان مخيفاً فان القصور والقرى الكبيرة والصغيرة باتت خربة الى مسافة بضعة اميال حول متس وكذلك البساتين والحقول وجميع الاشجار أمست مقطوعة فان الفرنساويين والالمان كانوا يستخدمونها لصنع وسائط للدفاع أو الهجوم في الحرب . ومات البعض في نفس المدينة من الاحتياج الى الاكل وعلى الخصوص الاولاد الصغار فان سوء الطعام وقلته اثرا فيهم .

اما أكثر الاهالي فكانوا يعتقدون بان بازين خبأ زاداً كثيراً كان لايزال موجوداً في المدينة عند التسليم • ومع انهم تجاوزوا حدود الاعتدال في بيان الكمية التي كانوا يقولون انها موجودة فيها قد ظهر انه كان فيها كميات كثيرة من الزاد مع ان الاهالي كادوا يموتون جوعاً وانه صار اخفاؤها ليلتزم الجنود والاهالي ان يسلموا • ومن المعلوم ان بازين لم يقدر ان يبين ماذا حمله على التسليم حال كونه كان لايزال في المدينة زاد ولذلك لايخطئ من يقول انه لم يقدر ان يبرئ نفسه من التهمة التى وقعت عليه وهي انه سلم المدينة والجيش بخيانة .

ولما بلغ ذلك الحكومة النائبة في طور والامة الفرنساوية اغتاظوا جدا وتكدروا وقال الجميع ان بازين خان بلاده . وصار نشر اعلان مآله انه من واجبات فرنسا ان لا تقع بالياس وقيل فيه عن بازين ماترجمته : انه قد جعل نفسه وكيل رجل سيدان (أى الامبراطور نابوليون) ومسعفاً للعدو المهاجم . وعند وصول خبر تسليم متس الى

برلين فرح القوم فيها بقدر مااغتاظ الفرنساويون عند وقوفهم على ذلك الخبر فان تسليمها بشرهم بقرب نهاية الحرب . هذا وكان كثيرون من الفرنساويين يعتقدون بانه لانفع لهم بمداومة القتال بعد وقوعهم في مصائب عظيمة بعد حلول النوائب التي حلت عليهم في أول الامر . اما بازين فبات مرذولا وقد أقامت له الحكومة الفرنساوية مجلس حرب ليحاكمه ولاتزال النتيجة غير مقررة والمظنون اننا سنجعلها ذيلا لهذا التاريخ فانها لاتتقرر قبل نهاية نشره . فانه سلم الجيش الوحيد المنظم الذي بقي لفرنسا مع تلك القلعة والمهمات والاسلحة وكانت فرنسا غير قادرة ان تقيم جيشاً غيره لان الجيوش التي جمعتها كانت جنودها جديدة لاتعرف أصول الحرب ولا أبوابها فانها كانت تتعلم بسرعة وكانت ملابسها رديئة وأسلحتها غير كاملة ولذلك نقول انه كان لايجوز ارسالهم الى حروب اعداؤهم فيها جنود بروسيانية مجربة تعرف فن الحرب وأبوابه حق المعرفة . وكان الشتاء يقترب وصار الفقراء يشعرون بالضيق والشدائد فصار الشروع في الكلام عن عقد الصلح بجد . وصدرت تقريرات من بعض الاهالي مآلها انه اذا كانت الحكومة الفرنساوية لاتقدر ان تقبل الشروط التي يطلبها الالمان فعليها بمراجعة الامة للوقوف على رأيها وصارت الاشارة الى اعطاء المانيا بعض املاك فرنسا عند الحدود لانه تقرر انه لوفاز الفرنساويون على الالمان كما فاز الالمان عليهم لاخذوا من املاك المانيا . وكان هذا الرأي محصورا في قليلين ولذلك نشرت الحكومة اعلاناً طلبت به أن ينتظم كل رجال الامة في العسكرية لتنهض كل فرنسا وتغلب العدو بكثرة العدد فان ذلك يوقعه في الارتباك فتخلص فرنسا . وقد قال البعض ان فرنسا لم تصل الى درجة تجعلها تقطع الامل من طرد الالمان من بلادها لانها لم تكن قد أظهرت كل قوتها . وقالوا ان قوات الجمهورية الخفية لاتزال مستترة وقال قوم ان دفاع فرنسا عن نفسها بعد ان خسرت الجيش المنظم يكون أشد من دفاعها وهي مستندة اليه فهذه هي الاقوال التي كان يقولها الفرنساويون وهم على تلك الحال .

هذا ولم يصدق الفرنساويون بتسليم متس عند ما بلغهم خبر تسليمها • ولذلك اجتمع جمهور في ليون وحاولوا ان يخربوا مطبعة جريدة لانها نشرت خبر تسليمها • ونشر الوالي فيها اعلاناً مآله ان الخبر هو غير رسمي وانه مامن شيء منه يدل على صحته وانه لايصدق كلمة منه ولكنه يحكم بكذبه و بصدوره من اعداء مبغضي الراحة والجمهورية وكذلك الباريزيون لم يصدقوا الخبر حتى انهم كادوا يطلقون الرصاص على محرر مشهور ذى اعتبار من محرري جريدة من جرائد الحمر لانه نشر الخبر • وفي ستراسبرج صار تكذيب الخبر •

وكان حصر متس جارياً في تشرين الاول (اكتوبر) حال كون غيره كان جارياً في أماكن أقل أهمية منها • ففى ٢٨ ايلول (سبتمبر) تهدد الالمان سواسون باطلاق المدافع عليها • وفي ٣ تشرين الاول (اكتوبر) خرج الجنود الذين كانوا فيها تحت قيادة الدوق دوفتزجيمس وقاتلوا المحاصرين قتالا شديدا على انهم التزموا ان يرتدوا ولم يبتدئ الحصر بشدة الا في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) غير انه شدد المحاصرون القتال عليهم تحت قيادة الدوق دومكلنبرج فسلمت في ١٦ من الشهر المذكور هي وجنودها وعددهم ٤٧٠٠ رجل و١٣٢ مدفعاً و٩٢ ألف فرنك وغيرها من المهمات والملابس والزاد الذي كان يكفي الذين كانوا في القلعة ثلاثة أشهر بعد التسليم • اماتيونفيل فشددوا عليها الحصار أكثر من سواسون وفي ٩ تشرين الاول (اكتوبر) أقاموا الحصار على نووبر يساس وشلستاد الواقعة في جنوبى ستراسبرج بالقرب من الرين • وفي ١١ منه نجح الفرنساويون في الدفاع نجاحاً قليلا وخرج جيشان من مونتميدي ومن مدينة ستانى القريبة منها فاسر سبعة ضباط وأكثر من مائتي جندي من الالمان • ومع ان هذا النجاح نشط الفرنساويين لم يضر بتقدم الالمان . وعلى الخصوص بعد ان انضمت الجيوش التي كانت تحاصر متس وقدرها مائتا ألف جندي الى الجيوش التى كانت في فرنسا . فان الجيش الثاني منها ذهب لينجد الجيش الذى كان يحاصر باريز والجيش

السابع بقي في متس ليحافظ عليها والبقية أرسلت الى لونكوي وتيونفيل .

ولم يكن الفرنساويون يصرفون الوقت في الباطل فان موسيو كامبتا وهو من العلماء بالقوانين والنظامات وهو الذي كانت له سطوة عظيمة تفوق كل سطوة أدبية في بلاده قبل الحرب شرع في المحاماة عن بلاده غير انه كان قد بات محصوراً في باريز فركب مركبة هوائية في ٧ تشرين الثاني (اكتوبر) وسار فيها معرضاً نفسه الى رصاص الالمان الذين كانوا يطلقونه عليه حتى انه مرت رصاصة ومست يده فوصل في ٨ من الشهر المذكور بعد الوقوع في مخاطر كثيرة الى امين ومنها ذهب الى طور ودخلها في ٩ منه وتولى بنفسه ادارة أكثر اعمال الحكومة هناك .

وفي نفس ذلك اليوم وصل الجنرال غاريبالدي الايطالي الى طور ليتقلد قيادة المتطوعين الذين صار جمعهم في تلك الاثناء . اما غاريبالدي فاظهر في أول الامر ميله الى بروسيا لان عدوه القديم نابوليون كان قد اشهر الحرب عليها . على انه بعد سقوط نابوليون مال الى فرنسا وعرض عليها خدماته فانه من الحاذقين في ادارة الجنود الغير المنظمة ولذلك أقيم قائداً لفرقة من الجيش الفرنساوي وقائدا عمومياً للجنود الفرنساوية الغير المنظمة .

وعند ماوصل كامبتا الى طور نشر اعلاناً مهيجاً على الامة قال فيه ان في باريز مليوني رجل من الذين نسوا كل الاختلافات التي كانت واقعة بينهم واجتمعوا حول الراية الجمهورية وان ذلك كدر المهاجمين فانهم كانوا مؤملين بحدوث اختلافات داخلية في البلاد . وان في داخل اسوارها أربعمائة ألف جندي من الحرس الوطني وستين ألف جندي من الجيش المنظم وانه صار الشروع في جمع مائة ألف جندي من الجنود الاحتياطية . وان المعامل آخذة في عمل المدافع وان النساء يصنعن مليون رصاصة في النهار وان الملاحين يحرسون فيها الحصون والقلاع والجنود شارعة في تهيئة المدافع للهجوم على المحاصرين . وان لكل فرقة من الحرس الوطني مدفعين من المدافع الراشة وان

فرنسا و وصف بكلام مؤثر حالة باريز المخيفة عند مايأخذ الزاد في ان ينفد من باريز وقال في ختام اعلانه ان الحكومة الفرنساوية تعرف هذه الامور كما نعرفها نحن ولذلك هم المسئولون عن سوء العواقب التي لابد من ان تنتج اذا التزم الالمان أن يقاتلوا الى النهاية في حرب جروا اليها على غير رضاهم ·

هذا وكل من طالع ذلك الاعلان يقول ان قصد بروسيا هو أن تجعل الدول المحافظة على الحياد تجتهد في ان تجعل الفرنسا وبين يسامون حالاً · غير ان شدة رغبة بسمارك في الحصول على ذلك جعلته يبالغ في تقريراته مع انه كان يعرف ان تلك الدول المتحائدة كانت قد اجتهدت في ان تحمل الدولتين على عقد الصلح ولم تصادف منهما غير شكر قليل · وانه أوفق لفرنسا ان تسلم من جهة واحدة على انها لم تكن قد باتت في سقوط تام يحملها على ان تبادر الى التسليم بكلما يطلبه الالمان بدون ان تخاف ان يمس ذلك ناموسها ·

اما باريز فكانت لاتزال في هيجان حربي فان الزاد كان لايزال كافياً وكان الهواء معتدلا ولذلك لم يكن الجنود يتذمرون من أن يسيروا في الشوارع ولذلك كان الباريزيون يعتقدون كل الاعتقاد بان مدينتهم لا تفتح و بانهم مستعدون أن يموتوا جوعاً قبل أن يسلموا وان يقاتلوا الى ان يقتلوا عن آخرهم ذكوراً واناثاً · وكانت اوربا ترى هذه الامور متعجبة والمؤرخون يقررون شجاعة الباريزيين وثباتهم ليجعلوا الاجيال الآتية تندهش من ذلك · ولم يكتفوا بذلك فان اعتبارهم لانفسهم ولاهميتهم ولمدينتهم الجميلة كان متجاوزاً حدود الاعتدال فانهم كانوا يعتقدون بانهم اذا باتوا في اسوإ حال ستنهض شعوب اوربا وتاتي بسرعة الى باريز ليخلصوها من الخراب بواسطة الالمان · و بناء على ذلك اقاموا مائة رأي من الاراء المضحكة وجعلوها موضوعاً لمفاوضة جدية · وأقاموا افراحاً في ٢١ ايلول (سبتمبر) وهو اليوم الذي اقيمت فيه الجمهورية الاولى في فرنسا سنة ١٧٩٢ وأقاموا تذكاراً حسناً لسلفائهم فانهم كانوا قد حلفوا بان

يخلدوا ذكرهم ويقتفوا أثرهم ·

وفي أثناء الحصار كانت الحكومة كثيراً ماتبيت في ارتباك من جراء ميل كثيرين من الاهالى الكثيرين المحصورين الى الاخلال بالراحة والنظام وهذا الميل هو الذي اضرم نار الحرب الاهلية فى باريز بعد عقد الصلح وهي الحرب المعروفة بحرب الكمون · وكانت تصير المفاوضة في كل ليلة فى جمعيات كثيرة بخصوص تغيير الحالة الحاضرة بالقوة · فاجتمع ثلاثمائة نفس من الادنياء تحت قيادة موسيولدرورولن الذي كان وزير الداخلية فى الحكومة الموقتة سنة ١٨٤٨ وطلبوا حالاً انتخاب مجلس بلدي ومجلس محلى وان يجتمعا كل يوم ويدبرا كل مهام الجيش وسياسة البلاد وتصرف الاهالى وبالجملة ان يكون لهما سلطان مطلق · ففضت الحكومة الباريزية هذا الاجتماع فضاً موقتاً فانه فى ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) اجتمعوا مرة ثانية وحاولوا ان يستلموا مركز ولاية باريز وان يقيموا حكومة من انفسهم فغلبوا مرة اخرى ومع ذلك تكدر الاهالي الذين يحبون السلام من عملهم فان مجرد وقوفهم على مايدل على ان بينهم قوماً غير مرتضين أضعف املهم فى زمان كانوا مفتقرين فيه كل الافتقار الى الاتحاد والتيقظ ليدفعوا العدو الذي كان مجتمعاً عند أبواب مدينتهم · وكثرت في ذلك الزمان الثورات الصغيرة المشابهة لهذه الثورة · وهذا هوالذي يزيد تعجبنا واندهاشنا من ثبات باريز وهي على هذه الحال ·

وبعد ذلك بمدة قصيرة أخذ القوم يتبصرون في مايتعلق بامر نفاد الزاد مباحثة جدية · فان اسباب الراحة الاعتيادية امست من الامور العزيزة في ابتداء الحصر فان اللبن انقطع في زمان قصير وارتفعت اسعار البيض والزبد · وانقطع اللحم الاعتيادي بعد ابتداء الحصر بشهر واحد وشعر الاهالي بالاحتياج اليه كل الشعور فاقيمت اجتماعات للتبصر فى ذلك وقررت أنه من الواجب أن يتمكن جميع الاهالي من الحصول على الزاد أي انه لا يصير السماح لباعة اللحم وغيرهم الآن

يبيعوا كمية معينة لكل نفس . وكانت أثمان الزاد ترتفع والاجرة تقل حتى ان كثيرين كانوا لا يجدون شغلا . ومع أنهم باتوا في هذه الحال منقطعين عن العالم كانوا يجتهدون في ان يبلغوا العالم أخباراً عن أحوالهم . أما هم فلم يتمكنوا من أن يقفوا على أخبار العالم و بلادهم بالوسائط التي كانوا يبلغون أخبارهم بها . وفي غاية ايلول (سبتمبر) ركب موسيو تيسندرس مركبة هوائية في باريز ووصل في اليوم الثاني الى طور . وكان قد خرج منها بالطريقة نفسها موسيولوي فنزل في فرنولي الواقعة في الجهة الغربية من درو وهي تبعد عنها مسافة بضعة أميال . و بعد ذلك بايام قليلة خرج بالون ثالث منها وكان يديره موسيو نادرا وكانت سفرته أشد تلك الاسفار خطراً .

وكانت الحكومة في اليوم الرابع من ايلول (سبتمبر) تجتهد كل الاجتهاد في جمع جيوش جديدة . فاصدرت الاوامر بجمع كل الرجال . فاجتمع كثيرون من الجنود المجربين الذين كانوا قد شاخوا وأتي بكثيرين من الملاحين ومن الذين يطلقون المدافع من البوارج وادخلوا في سلك العسكرية للدفاع عن البلاد . فاجتمع عدد عظيم . ومع انه كان كثيرون منهم من المجربين في الحروب كانت الاكثرية من فتيان لا يعرفون غير ما تعلموه بالعمل من فنون الحرب وكانت أسلحتهم ومهماتهم غير كاملة وكان قد ضعف عزمهم بسبب انكسار الذين سبقوهم . أما الجنود الشيوخ الذين أقيموا بين اولئك الفتيان فاساؤا التصرف وكانوا بئس القدوة للجنود فانهم كانوا يخلون بالنظام ولذلك أضعفوا الجيوش الجديدة وقللوا نشاطها مع ان النشاط والامل هما من ضروريات الجيش الفرنساوي لان الظاهر انه لا يقدر أن يحسن القتال مالم يكن معتقدا بانه سينال الفوز . وأحسن أولئك الرجال هم الذين أتي بهم من البوارج ولكنهم كانوا لا يكفون ليصلحوا كل الجيوش . وكانت الجنود محتاجة الى الحركات الحربية والى قواد من أهل الحذق والدراية والى نظام اساسه الانقياد والى مدافع فان مدافعهم كانت غير كافية لجيش جرار ممتد في بلاد واسعة . ومع كل ذلك أدهشت هذه الاجراآت الالمان مدة

ومنعت تقدمهم . وفي اثناء اشتغال البار يز يين في الافتخار بالباطل وفي التكلم عن جمع جيوش جرارة لغلب العدو كان الالمان يقوون مر كزهم سراً و بدون تظاهر وهم امام بار يز و كانوا يفتحون طرقا بينهم و بين المانيا ليتمكنوا من اقامة اتصاليات دائمة وأقاموا ترتيباً للحصول على الزاد من الفرنساو يين ولو عرض دون ذلك من الصعوبات مهما عرض فانهم قالوا انه لا يجب أن يحتاج الماني الى الزاد ما دام في يد أحد الفرنساو يين شيء للاكل . ولم يغفلوا عن اقامة الاستعدادات اللازمة للحرب وهم مشتغلون باقامة ما يتكفل لهم بالراحة .

وفي أول ايلول (سبتمبر) ورد الى بار يز خبر تسليم ستراسبرج فلم يكذبوه كما كذبوا خبر تسليم متس ولا طعنوا بالذين دافعوا عنها كما طعنوا في الذين كانوا يدافعون عن متس . ولكنهم سمعوا الخبر بافتخار وتهاون . فان البار يز يين لم يكونوا يعتقدون بأنها تقدر ان تثبت في صدام الالمان فافتخروا لما رأوا انها ثبتت زمانا طو يلا وان أهالي ستراسبرج حار بوا الالمان لنفع فرنسا مع انهم من الجنس الالماني . وقال ان ذلك برهان أمانة الالزاس التي كان قدعزم البرنس بسمارك على ان يضمها هي واللورين الى المانيا المتحدة . ومع ان البار يز يين كانوا محصور ين ومدافع الاعداء تدمدم نهارا وليلا في آذانهم صمموا على ان يقيموا يوما لتذكار بسالة أهالي ستراسبرج فاقاموا ذلك اليوم وخطبوا خطباً مؤثرة و بكوا . وهكذا كان الالمان يشتغلون بثبات وجد في تقو ية مرا كزهم وترقية أسباب راحتهم حتى انهم لم يغفلوا عن أقل شيء مما يسعفهم أقل اسعاف في نوال المرغوب والفرنساو يون يصرفون الوقت و يبذرون الاموال في سبيل القيام بأمور صبيانية خالية من كل نفع فهذا ما كان يجري في بار يز .

و بعد فتح ستراسبرج بعث الالمان نجدة لتعو يض الخسارة العظيمة التي كانت قد لحقت بهم وفي ٣ تشر ين الاول (اكتوبر) عبر الجنرال شمرلن الالماني الرين ومعه الفرقة الرابعة من جنود اللاندوهر الالمانية لينجد الجنرال وردر في حصر ليون

وبيزانسون . أما الجيش الفرنساوى في ليون فكان في حالة رديئة فان الجنود كانوا من الذين لا يركن اليهم وكان قد صار فض الجنود الغير المنظمة (فرانتيرور) ليصير ضمهم الى الجنود الاحتياطية وصار القاء القبض على قائدهم الجنرال مازور وسجنه بضعة أيام وقد قيل ان ذلك كان ظلما . وجرى قتال قليل في اماكن مختلفة في أوائل تشرين الاول (اكتوبر) ولم يأت بنتيجة . وحل الالمان في البرنون في ٤ منه وهي بلدة صغيرة تبعد ٣٥ ميلاً عن شرقي باريز وكذلك حلوا في لافرتي السن وهي تبعد ٢٤ ميلا عن جنوبي باريز . وفى ٥ ايلول (سبتمبر) انضمت فرقة من الجنود الغير المنظمة تحت قيادة الجنرال ريان الى جيش اللوار فحاربا فرقة من الفرسان والمشاة الالمان وكسراها وارجعاها من أرتيني الى ايتم . بعد ذلك خرج البروسيانيون من بيثيفية . وفي ٦ منه انتشب القتال بين جيش الشرق الفرنساوي تحت قيادة الجنرال دوبروي و بين الجنود الالمان تحت قيادة الجنرال شمرلين وبين فرقة تحت قيادة الجنرال فون دوجنفيلد فانكسر الجيش الفرنساوي كسراً شديداً بعد قتال طويل شديد فانه دار من قبل الظهر بثلاث ساعات الى بعده بأربع ساعات وهذه أول معارك جيش الشرق الفرنساوي وحدثت في ولاية الفوج بالقرب من سان ريمي . وقد قال الفرنساويون أن عدد الجنود التي تقاتلت في هذه المعركة متساو . أما الالمان فقد قالوا ان عدد الفرنساويين فيها كان ضعف عددهم . والمظنون ان تقريرات الالمان أقرب للحقيقة من تقريرات الفرنساويين فاننا قد عرفنا انه كان قد صار جمع جيش الشرق الفرنساوي من الفتيان الصغيري السن ولذلك كانوا لا يقدرون أن يثبتوا سبع ساعات في قتال جيوش مجربة منظمة عددها قدر عددهم . فقتل وجرح من الالمان فيها ٢٠ ضابطا و ٤١٠ جنود . أما الفرنساويون فقتل منهم اكثر من ذلك وأسر منهم ٦٠ ضابطا و ٦٠٠ جندي . ولا عجب من انكسار هذا الجيش الفرنساوي نظرا الى عدم انتظامه وجهل جنوده فنون الحرب . ومع ذلك أثر انكساره في الفرنساويين تأثيراً رديئاً فانه أضعف عزمهم ونشط أعداءهم .

وفي ٨ تشرين الاول (اكتوبر) نجح الفرنساويون نجاحا قليلا في سان كنتين فان فرقة من الجنود الاحتياطية قاتلت تسعمائة من البروسيانيين وأخرجتهم من المدينة غير ان الالمان فتحوا مرة ثانية في ٢١ منه تحت قيادة الغراندوق دومكانبرج ومع ان الالمان اجتهدوا كل الاجتهاد في فتح تيونفيل لم يتمكنوا من ذلك قبل أواسط شهر تشرين الاول (اكتوبر) المذكور.

ومع ان الباريزيين كانوا لايزالون يعتقدون بان الالمان لا يقدرون أن يفتحوا باريز كانوا يخافون اطلاق المدافع عليها ولذلك نقلوا أمتعة وتحفا كثيرة من اللوفر ومحلات العرض الى محلات أخرى كانوا يظنون انها أبعد عن الخطر من امكانها الاولى وفي أثناء ذلك خرج الفرنساويون وهاجموا الالمان الذين كانوا يحاصرون باريز وأقاموا حروبا أخرى قليلة الاهمية في ٨ و١٠ و١٢ من الشهر المذكور ولكن لم ينتج عن ذلك شيء مهم . وفي ١٥ منه أطلقت المدافع الفرنساوية بشدة من قلعة سان فلريان وخربت القصر الجميل المسمى بقصر سان كلو وهو يبعد خمسة أميال عن غربي باريز وهو قصر ملوكي لا يفوقه قصر فرساليا الا بأمور قليلة وكان نابوليون الثالث يحب أن يقيم فيه . وكان في ذلك القصر عند خرابه بعض الضباط الالمان فحاولوا أن يخلصوا من النار بعض موجوداته الثمينة غير انهم لم يتمكنوا الا من تخليص أشياء قليلة من الاثاث والصور الثمينة والآثار التاريخية وكانت النار تشب فيه النهار بطوله وفي الليل كان مرتفعاً فوقه لهب عظيم مظلم وكان الباريزيون يرون ذلك والدخان الكثيف الاسود الذي كان يرتفع منه حيناً بعد حين . وقال الفرنساويون الذين رأوه أن ذلك نافع لانه يبين للالمان اننا لا نمتنع عن هدم كل مايلزم هدمه للدفاع وانه يتعب القواد الذين كانوا ساكنين فيه وهذا ممالا طائل تحته لانه لم تكن أهمية حربية لذلك القصر عند الالمان ولم تكدرهم خسارة بعض منازل أقاموا غيرها بسرعة . وأما الخسارة الصحيحة فوقعت على الفرنساويين الذين خسروا قصراً عظيماً وآثاراً كثيرة من تواريخهم

هـذا وكانت حالة باريز تشغل أوروبا عن النظر الى المعارك الصغيرة الكثيرة التي حدثت في تشرين الاول (اكتوبر) ومكنت الالمان من فتح قلاع ومدن صغيرة ودامت الحال على هذا المنوال الى اليوم العاشر من الشهر الذي كسر فيه الجنرال فون درتان الالماني جنود الجنرال ريان الفرنساوي وذلك في أثناي وهي مدينة صغيرة تبعد عن مدينة أورليان نحو عشرة أميال في طريق باريز و بعد ذلك سار الالمان قاصدين أورليان وكانت محصنة تحصيناً غير تام ولذلك التزمت أن تستند الى جيش اللوار الفرنساوي الجديد الذي لم يكن له من الاسلحة والمهمات ما كان يكفيه - وقد قيل ان كثيرين من الجنود تمنعوا عن أن يقاتلوا حتى ان منهم من كان يرمي بندقيته ومنهم من كان يكسرها غير ان الجنود الزواف الباباوية وقليلين من الجنود الفرنساويين تصرفوا تصرف الابطال الباسلين . أما الالمان فكانوا يفوقون الفرنساويين في كل شيء خلا عدد الجنود فان عدد الفريقين كان يكاد يكون متساويا ولذلك تمكن الالمان من أن يكسروا جيش اللوار بسهولة فالتجأ الجنرال موطروج قائدهم الى أورليان . ولما رأى المخاطر التي باتت تتهدد المدينة واحتياجه الى الاسلحة والمهمات للدفاع عن المدينة الغير المحصنة بعث برسل الى طور ليطلبوا الى الحكومة أن ترسل اليه مدافع ومهمات على انه لم يحصل على شيء من ذلك لان الظاهر انه لم يكن في طور ما يلزمه منها . و بعد أن انكسر الجنرال ريان في اثناي التجأ الى حرش وحاول ان يدفع الالمان عنه غير انهم لم يتأخروا عن مهاجمته وهو فيه و بما أنه لم يكن عنده مدافع الزموه أن يتقهقر في ١١ من الشهر المذكور . وفي ١٢ منه سار الالمان قاصدين اورليان وكان الفرنساويون فيها مجبورين ان يحاولوا صد العدو بالمدافع الرديئة التي كانت عندهم ولذلك لم يقدروا ان يثبتوا فالتزم الجنرال ريان ان يتقهقر وكان الجنرال اراكو يمنع دخول الالمان اليها بثلاثة آلاف جندي واما الجيش فاخذ في الخروج من المدينة لينجو من الاسر . وكان الالمان نازلين في تل اسمه تل جوا وهو مشرف على المدينة . ومع ذلك تمكنت فرقة اراكو من الثبات مع انه كان قد اشتد الخطب

عليها وقتل كثيرون منها وثبتت في الدفاع الي المساء وكان الجيش قد تمكن من الخروج اما قتال فرقة اراكو فيكاد يكون مما لم يسبق له مثيل وكان دفاعهم لمنفعة الجيش أي ليتمكن من الهرب ولم يسلم من ١٥٠٠ الزواف البابا وية الا ١٧ جندياً . ومع ان الجيش كان قد خرج من المدينة بعد الظهر بخمس ساعات ثبت رجال اراكو في الدفاع الى سبع ساعات بعده لانهم لم يعرفوا بان الجيش كان قد خرج مع ان الالمان كانوا يقطعونهم كما يقطع الحصاد حصاده وعند ذلك تمكن الالمان من الدخول الى المدينة مع انهم كانوا قد ارتدوا عنها مرات كثيرة . اما بقية رجال اراكو فحاولت الفرار للانضمام الى الجيش الذي كانت قد خلصته غير ان الالمان كانوا يفتكون بهم وهم فارون ولذلك لم ينجح من هذه البقية القليلة التي نجت من الحرب غير قليلين . وكان كثيرون من اهالي المدينة لا يرغبون في الدفاع لانهم كانوا يعرفون ان حصون مدينتهم ضعيفة وكانوا يخافون أن العناد في الدفاع يشدد عليهم ظلم الالمان . و بعد ان دخل الجنرال فون درتان المدينة طلب الى الاهالي ان يدفعوا له نقداً ستمائة ألف فرنك فدفعت البلدية ذلك . و بعد ذلك بايام قليلة طلب اليها ان تدفع له ار بعمائة ألف فرنك علاوة على ذلك فلم تدفعها الا بعد صعوبات كثيرة وكان ذلك الجنرال لا يصغي لهم ولكنه تهدد الحاكم والمجلس بالسجن اذا امتنعوا عن دفع المال المطلوب . وبالجملة نقول ان هذه المدينة امست عرضة للسلب التام فان الالمان كانوا يأخذون كلما يتمكنون من اخذه من اهاليها ومن حوانيتهم فان الجنود كانوا يدخلون حوانيت العطور و ياخذون منها بدون استئذان من أصحابها وكانوا ينهبون الخمر وكل المواشي و يسلبون كلما كانوا يقدرون ان ينتفعوا منه فان اورليان كانت مدينة ذات ثروة ولذلك كان الالمان يجتهدون ان يحصلوا منها كلما كان يتيسر لهم تحصيله وكانوا يسلبون المواشي من الحقول القريبة منها و يرسلونها الى باريز للقيام باود الجنود التي كانت تحاصرها .

وفي أثناء حدوث ذلك في الشرق كان الالمان يتقدمون في الجهات الشمالية

فانهم فتحوا جينر ومن ولاية الاور وبروتول من ولاية الواز فى ٩ و١٣ من الشهر المذكور بدون ان يصادفوا دفاعاً شديداً ودخلوا مدناً اخري كثيرة وأخذوا منها غرامة . وفي ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) دخلوا سان كنتين والظاهر انهم دخلوها ليأخذوا منها غرامة فانهم طلبوا الى بلديتها ان تدفع مليوني فرنك وسجنوهم وقالوا لهم انهم اذا امتنعوا عن ذلك ينهبون المدينة غير انهم التزموا ان يكتفوا بتسعمائة وخمسين ألف فرنك لان الحاكم لم يقدر ان يجمع أكثر منها . ولم يكتفوا بذلك ولكنهم جعلوا الجنود يعيشون بمال الاهالي وفي منازل اجرتها منهم وامروهم بان يقدموا لهم طعاماً حسناً وقنينة من الخمر لكل رجل منهم . وفتحوا نوبريساش في ١٣ من الشهر المذكور وأخذوا منها غرامة . وحصروا قلعة فردون المبنية عند نهر الموز في اليوم نفسه وفي ٢٨ منه سلمت هذه القلعة . وكانوا يحاصرون محلات اخري كثيرة قليلة الاهمية غير انه فى أواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) امسى كل شرق فرنسا في قبضة الالمان حتى انه لم يكن يلزمهم لاتمام اخضاع فرنسا غير فتح باريز .

وفي أوائل تشرين الاول (اكتوبر) كان جناح الجيش الالماني الايمن في لودوهذا الجيش كان أمام باريز تحت قيادة ولي عهد ملك بروسيا . وكانت مساحة الدائرة التي تصل اليها كرات المدافع من حصون باريز أكثر من اربعين ميلاً ولذلك كان الالمان ملتزمين ان يبقوا متيقظين كل التيقظ لئلا يهاجمهم الفرنساويون بغتة وهم مستندون الى قلاعهم . وكان جيش وليعهد ساكسونيا ممتداً من عكفة نهر السن الغربية الى عكفة نهر المارن الشرقية وكان نصف دائرة أولها طريق روون الحديدية وآخرها بضع قرى في الجهة الشمالية الشرقية وكانت متصلة هناك بقلب جيش ولي عهد ملك بروسيا الذي كان ممتداً من بونول الى شاكون بالقرب من شوازي لوروا واسووفرساليا وكان هذان الجيشان بعيدين عن فعل مدافع قلاع باريز . وفي أواسط الشهر المذكور وصلت مدافع كثيرة من المانيا لاقامة الحصر . غير ان الالمان كانوا قد انخدعوا فانهم كانوا

يعتقدون بان الزاد في باريز اقل مما كان فيها ولذلك كانوا ظانين انها لاتثبت زمانا طويلا فلم يقيموا مدافع الحصار الا بعد مضي زمان طويل . وقل الزاد عند الالمان الذين كانوا يحاصرون باريز قبل ان قل في المدينة المحصورة . فانهم ظنوا انهم يقدرون ان يجدوا زادا كافياً في فرساليا . غير ان الزاد الذي وجدوه هناك نفد في وقت قصير ولذلك التزموا ان يبعثوا قوماً ليأتوا بالزاد من الاماكن المجاورة وكان أولئك القوم يلتزمون ان ينفصلوا عن الجيش ليصلوا الى الاماكن التى كان فيها زاد وهذا هو الذي مكن الفرنساويين من أن يدافعوهم ويكسروهم كما جرى في سان كانتين ولو قام الالمان بالاحتياطات اللازمة لتخلصوا من تلك التقهقرات القليلة الاهمية والنتائج .

ولما رأت باريز انه قد مضت أسابيع كثيرة بدون ان يطلق المحاصرون المدافع عليها اشتد عزمها . والذي حمل الالمان على ذلك اعتقادهم بأن العاصمة لا تقدر أن تثبت زمانا طويلا في الدفاع بسبب الاحتياج الى الزاد ولذلك فضلوا الانتظار مدة قصيرة على احتمال مشاق اطلاق المدافع ومصاريفها . على ان الباريزيين كانوا يعتقدون بان ذلك نتيجة اقتناع الالمان بان مدينتهم لا تفتح وانه قبل مضى زمان طويل يلتزم المحاصرون أن يرفعوا الحصار . ولم يبت أولئك المحصورون في ياس ولا في كدرشديد لانه كان لايزال عندهم من الزاد ما يسد احتياجاتهم الضرورية . ومع انهم أمسوا منقطعين عن العالم كانوا يقيمون بعض المخابرات بينهم وبين بلادهم بواسطة حمام البطاق والمركبات الهوائية . وكانوا يطلقون المدافع من قلعهم على الدوام ليمنعوا الالمان عن الدنو منهم غير ان المحاصرين لم يطلقوا عليهم المدافع . والمظنون انهم لم يخطئوا كل الخطا بالاعتقاد بان الالمان كانوا غير قادرين ان يطلقوا عليهم المدافع في ذلك الحين ومن المعلوم انه قل الشغل جداً في باريز فان أعمالهم كادت تكون محصورة في اقامة الحرس على الحصون والحواجز وبما انه لم يحدث من الامور السياسية مايشغلون أفكارهم

به أخذوا في أن يتجسسوا الأعداء حول المدينة وان يراقبوا جواسيسهم داخلها . لانه لاريب في انه كان للالمان جواسيس في المدينة لانه كان فيها كثيرون من الاوباش ذكوراً ونساء الذين كانوا يبلغون الالمان أخبار العاصمة ولذلك ما من أحد يلوم الباريزيين اذا تيقظوا وأكثروا من المراقبة ولااذا قتلوا الجواسيس الذين كانوا يلقون القبض عليهم ويتحقق أمرهم لديهم على ان شدة مراقبتهم حملت كثيرين من الاجانب الابرياء اثقالا وشدائد كثيرة فانهم كانوا يلقون القبض عليهم ويسجنونهم . ومع أنهم نجوا من القتل كانوا يصادفون معاملة قاسية قبل أن يثبت ذنبهم أو تظهر براءتهم

ولما نفد فيها لحم الغنم والبقر قبل كل شيء التزم أكثر الاهالي أن يأكلوا لحم الخيل قبل ان طال زمان الحصار . ولايخفى ان الباريزيين لا يكرهون اكل لحم الخيل كما نكرهه نحن . فانهم كانوا يبيعونه في الاسواق قبل الحصار وكان الفقراء يأكلون منه ولو لم يكن ذبحها محصوراً بالافراس العاجزة أوالتي تصادف أمراً يجعلها غير قادرة على الخدمة لما تمنع الاغنياء عن اكلها . ولا يخفي ان لحم الافراس الفتية والسمينة لايكون أعلى من لحوم بقية الحيوانات . ولم يكن لحم الخيل كثيراً فانه في أوائل تشرين الاول (اكتوبر) كان يعطي لكل نفس أوقيتان وربع أوقية في اليوم وليس اكثر . وفي أواخر هذ الشهر انقطع لحم الخيل . وكان لحم الطيور يباع في نهاية الحصر باثمان مرتفعة جداً واصبح لحم الحمير عندهم من المآكل المطلوبة جداً وكان ثمنه أكثر من ثمن لحم الخيل فانهم كانوا يبيعون الليبرا منه وهي أقل قليلا من نصف أقة بفرنك أما الليبرا من لحم الخيل فكانت تباع بستة عشر سوا (٤ غروش) وكانوا يبيعون البيضة بغروش أو بغرش ونصف والليبرا من السمك المملح بفرنك ونصف . وانقطع اللبن والجبن . وكان عندهم كثير من القهوة والارز والخمر ومع ذلك كانت أثمانها مرتفعة . واذا عرفنا ان أجرة الفعلة في باريز هي قليلة بالنسبة الى أجرتهم في بلدان أخرى متمدنة فان دخل العامل في الشهر هو نحو ثلاثة فرنكات في اليوم وان اكثر العمال باتوا بلا شغل يتبين لنا ان

الفقراء لم يقدروا أن يحصلوا الا على شيء قليل من اردأ أنواع المأكل . ولولم تبادر الحكومة الى أن تقدم شيئاً من الطعام كل يوم للذين باتوا بلا عمل لمات مئات ألوف جوعاً وكان فصل الشتاء يقترب وكان الفحم والحطب قليلين ومرتفعي الاثمان فاشتد ضيق الاهالى لان البرد كان يفعل فيهم من جهة والاحتياج الى الطعام من جهة أخرى ولم ينحصر الاحتياج الى الزاد في باريز لان جميع اكثر رجال البلاد للخدمة الحربية قل المحاصيل فباتت البلاد كلها في احتياج الى المأكل وعلى الخصوص لان الالمان كانوا ياخذون كلما كانوا يتمكنون من الوصول اليه قبل أن يتمكن الفرنساويون من أخذه لانهم كانوا يمنعونهم عن ذلك . وكان هذا الاحتياج مصدرا لنزاع كثير فان الالمان والفرنساويين كانوا يعارضون أصحاب الزاد في الطريق ويسلبونه منهم وكانوا ينهبون المراكب التي كانت تأتي بزاد ولو كانت أجنبية بدون اصغاء الى تنبيهات الحكومة وحدث ذلك في سانمانو وشاربور وغيرهما فان الاهالي كانوا يحصلون على الزاد فيها بالمهاجمة بالحجارة والعصى وغيرها فالتزمت الحكومة أن تقيم حرساً من الجنود في المراكب التي كانت تأتي بالحنطة وعند ذلك رجع الاهالي الى أنفسهم وقالوا اننا نجلب الضرر على أنفسنا فانه عندما يعرف العالم اننا ننهب الحنطة وغيرها من المآكل تنقطع وارداتها فنبيت في أسوأ حال .

وكان الزمان يمضي وأحوال باريز باقية على ما كانت عليه غير ان صبر الاهالي كان يقارب الفراغ والزاد يقل ويرتفع ثمنه فتضاعف ثمن المقددات من لحم غنم أوستراليا وبقرها . وكانت تباع الليبرا من لحم الخنزير المقدد بثلاثة فرنكات وكذلك البطة وديك الحبش بخمسة وعشرين فرنكاً والارنبة بسبعة فرنكات والحمامة بثلاثة فرنكات . والوزة بستة عشر فرنكا . ومع ذلك كان ذلك محصوراً في أهل اليسر لان الموجود أقل من المطلوب . واحتمل الاجانب فيها ضيقات كثيرة وكانا كثرهم من الذين كانوا قد أقاموا اشغالا منذ مدة طويلة في المدينة . وبات أكثرهم بلا

مداخيل وفي أسوء حال على انه أقيمت جمعية احسان في لوندرا وجمعت مبالغ كثيرة وبعثت بها الى باريز لمساعدة أولئك الاجانب وكان كثيرون من أغنياء الانكليز الذين باتوا محصورين يساعدون المحتاجين من أبناء وطنهم وقد قيل ان المستر ولسن الانكليزي أحسن الى المحتاجين بنصف دخله في مدة الحصر . ومع ذلك احتمل كثيرون شدائد يصعب علينا وصفها لانه وقع نقص في مداخيل الجميع وكانت وسائط المخابرات مع مراكز الاحسان خارج البلاد الفرنساوية قليلة وذات خطر .

وكان الزمان يمضي وباريز محصورة والاهالي يشغلون حيناً بعد حين بخروج الجنود للمهاجمة وعلى الخصوص عندما كانوا يخرجون جميعاً الى تلك المهاجمات التى لم تجدهم نفعاً لانهم كانوا يلتزمون على الغالب أن يرتدوا بعد تكبد خسائر كثيرة وكانوا يشغلون في بعض الاحيان بنزاع يجري بين أدنياء القوم الذين كان قد فعل فيهم الجوع وبين الاهالي والحكومة والضباط وجنودهم . وكانت واجبات الجنرال تروشو صعبة جداً ومع ذلك قام بهذا قياماً مدهشاً وما من أحد يقدر أن يقوم بما قام به أحسن منه اذا بات في الظروف التي أمسى هو فيها فانه كان ينفذ أمره بنوع عجيب مع ان المدينة كانت قد باتت في تلك الحال . والظاهر ان طول زمان الحصر جعل الباريزيين يتعودونه . وكانوا في ابتداء الامر ينتظرون يوماً فيوماً ابتداء اطلاق المدافع على المدينة ولما طالت المدة ولم يبتدئ قالوا ان المحاصرين عاجزون عنه ولذلك لا يجري وأخذوا في أن يقولوا مفتخرين ان فرنسا لا تفتح وعاصمتها لا تدخل . على ان نقص الزاد واشتداد ضيقات الاهالي والحالة الرديئة التي باتت فيها ملكة الدنيا عندما ابتدأ الشتاء وشعر القوم بالبرد ورأوا ان كل ما قطعوه من أشجار حدايقهم وجناتهم الجميلة لم يسد احتياجهم برهة قليلة وشدة ضعف أولئك المنكودي الحظ الذين كان قد فعل فيهم الجوع وكانوا يسيرون في الاسواق كانهم خيالات ولم يمنعهم شيء عن أن يغوصوا في بحر من الدم للانتقام من الذين يتوهمون انهم قد اخطأوا اليهم . وكثرة الموت

جوعاً وامتـداد مرض الحميات الناتج عن الاحتياج كانتا تبينان لي ان باريز قاربت السقوط بدون أن يطلق عليها المدافع أولئك المحاصرون الذين كانوا قد جمعوا في اجرآتهم بين العناد والثبات والصبر • هذا ولا يخفى انهم عجلوا فتحها باطلاق المدافع غير انهم لم يفعلوا ذلك الا ليبينوا للباريزيين انهم قادرون أن يطلقوا عليها مـدافع تدفع كراتها اليها لانهم لو أرادوا يفتحوها بدون اطلاق المدافع . هـذا ولا يقدر القلم ان يصف ويلات وضيقات تلك المدينة التي كان العالم يدعوها مدينة الحظ والسرور . ولا ريب عندنا ان كثيرين اذالم تقل الجميع شعروا بارتفاع الويل عنهم عندما رأوا الراية الالمانية فوق حصونها .

وفي اثناء حصر باريز تمم الالمان فتح القلاع التي كانوا لا يزالون يحاصرونها ففتحوا فردون وتيونفيل ونوبريساش وسانبارشلي وتول و بتش وشلستاوغيرهاوفي شباط (فبراير) سنة ١٨٧١ انتهت الحرب بتسليم بلفور وابتدأ الالمان في اطلاق المدافع على باريز في أوائل كانون الثاني (يناير) على انه لم تطل مدته لان حالة الباريزيين الرديئة وضيقهم وخيبة أملهم عنـد ما رأوا ان الالمان قادرون أن يطلقوا مدافعهم عليهم حملتهم على الاقلاع عن التمنع عن التسليم . ومع ذلك مضت مـدة طويلة قبل عقـد الصلح عقداً نهائياً ولذلك لم يدخل الالمان باريز الا في أول شهر أذار (مارس) سنة ١٨٧١ . ومع انه لم يدخل باريز غـير عدد قليل من الجنود ولم يسـيروا الا في شوارع صار تعيينها قبل دخولهم خجل الباريزيون خجلا لا مزيد عليه بدخول الاعداء الى عاصمتهم بعدالـكلام الذي فاهوا به شفاها ونشروه كتابة . ومن المعلوم ان ملك بروسيا صنع جميلاً با كتفائه بالمرور ببعض جنوده في بعض الشوارع ولـكنه كدر جيشه الذي كان قد احتمل كل تلك الضيقات وهو يتعزى عنها بامل المسير بجلال وعظمة في شوارع عاصمة أعـدائه العظيمة التي امست بتقلبات الزمان في قبضـة يده . وكان كثيرون من أهالي أوربا يخافون أن يقع تعـد على الالمان وهم في المدينة • ومن المعـلوم ان كثيرين من أدنياء

الاهالي كانوا شديدي الميل الى أن يتعدوا عليهم مع قطع النظر عن سوء العواقب والمظنون ان الذي منع حدوث ذلك انما هو انحصار دخول الالمان الى بعض الشوارع الواسعة وتيقظهم وشدة ضبطهم . وربما كان الخوف من حدوث شيء من ذلك هو الذي جعل الملك غليوم وأعوانه يكتفون بدخول قليل من جنودهم الى عاصمة فرنسا

﴿ الخاتمة ﴾

وهكذا انتهت الحرب بسقوط فرنسا سقوطاً تاما بالويلات التي صادفتها وبالاثقال الكثيرة التي حملها اياها العدو وهكذا تمكن الالمان من أن يقوموا بحق ثارهم فانهم صادفوا معاملة قاسية عندما فتح نابوليون الاول بلادهم . ومع ان الغرامة كثيرة وهي خمسة مليارات من الفرنكات وولايتان وهما الالزاس واللورين وفيها قلعةمتس وستراسبرج لا يقدر الفرنساويون ان يقولوا انهم لم يعاملوا في الماضي بروسيا والمانيا معاملة كهذه المعاملة فانهم كثيراً ما حملوهم غرامة وأخذوا منهم ولايات كثيرة . ومع ان الظاهر ان فرنسا قد ضعفت لا يخطيء من يقول انها اذا سلكت سبل الاتحاد الداخلي وأقلعت عن الحروب الاهلية ترجع الى أحسن ما كانت عليه في زمان قصير

انتهى

صحيفة

DATE DUE

